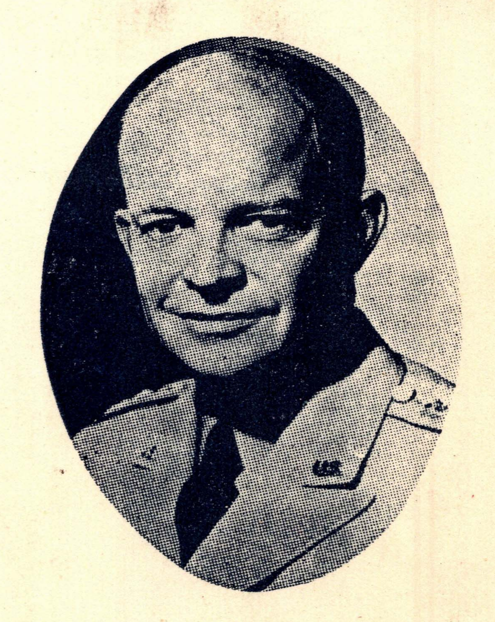
دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر



دوايت ايزنهاور

# حرب صليبية في اوروبا

غزو الحلفاء لاوربا في الحرب العالمية الثانية

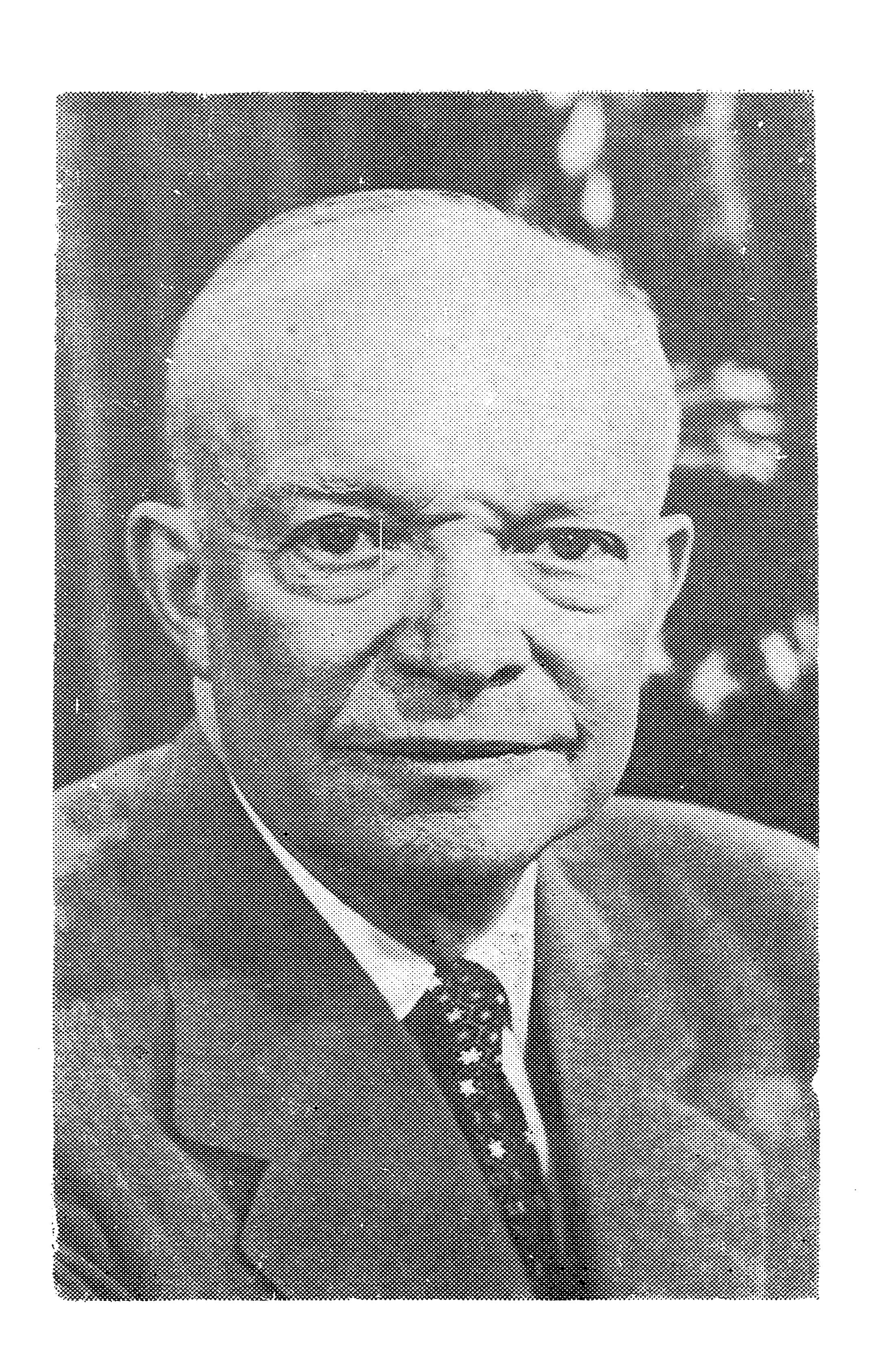
الطبعة الثانية

ترجمة

ابراهيم عبود

سلسلة عيون التاريخ العالمي

٥



## مقدمة الكتاب

مما يسر دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بدمشق أن تقدم للقارىء العربي العدد الخامس من سلسلة عيون التاريخ العالمي كتاب « حرب صليبية في أوربا » بقلم القائد الفذ داويت ايزنهاور ٠

والكتاب سجل رائع لاحداث الحرب الكونية الثانية الحاسمة ، ضمنه كاتبه ، عندما كان القائد العام لجيوش الحلفاء ، ملاحظاته الشخصية عن الصراع في أوربا ، وتصميماته الحربية الستراتيجية ، وعن السياسة العالمية ٠

وبالاضافة الى قيمة الكتاب كمستند تاريخي فانه يعطينا صورة واضحة عن ايزنهاورجنديا ، ورجلا ، وقائدا ٠

## مقدمة الطبعة الثانية

**لما كان لهذا الكتاب ( كتاب حرب صليبية في أوربا ) أهمية كبرى ، اذ هو سجل لاحداث الحرب العالمية الثانية ومستند أساسي لتأريخ فترة من أخطر فترات الحرب في أوربا ، أضف الى أن مؤلفه الرئيس ايزنهاور عاش هذه الفترة بنفسه ، اذ كان هو القائدالعام للجيوش الحليفة منذ بدأ الهجوم الحليف حتى استسلام المانيا النازية ، ونظراً لما لمسناه من رغبة المؤرخين والادباء والمثقفين عامة في اعادة طبعه بعد أن نفذت الطبعة الاولى منه في خلال أشهر قلائل ، فانه ليسر دار اليقظة العربية أن تلبي لهم هذه الرغبة وتقدم الكتاب في حلة جديدة قشيبة ، بعد أن أعيد تنقيحه واحسن تصحيحه والله ولي التوفيق ٠**

**« الناشر »**

تعهد
المؤسسة الثقافية
للنشر والتوزيع
بدمشق



الناشرون

دمشق : دار النهضة العربية - شارع خالد بن الوليد هاتف ١٤٩٧٢
القاهرة : مؤسسة الخانجي - شارع عبد العزيز « ٤٣١٤٨
بغداد : مكتبة المثنى - شارع المتنبي « ٨٣٥٨٨

# الفَصلُ الأوّل

## تمهيد

في اليوم السابع من شهر ايار ١٩٤٥ حضر اللواء يودل ممثل القيادة الالمانية الى مركز قيادة الحلفاء في مدينة ريمز ووقــــع وثيقـــة استسلام المانيا . وبذلك انتهى النزاع الذي ساد أوروبا منذ اليوم الاول من شهر ايلول ١٩٣٩ . ولكن بين تاريخي اعلان الحرب وانتهائها قتل عدة ملايين وتشوه عدد اكبر من الاوروبيين ، بينما عانت اكثر البلاد الاوروبية مــن الاحتلال الالماني ما لا يطاق من العسف والارهاق وسياسة الافقار والاذلال وكم الافواه ونحر الحريات . أما المانيا نفسها التي حالفها النصر في بادىء الامر حتى ساد الاعتقاد بأنها لا تغلب فقد أخذ الدمار يجد سبيله اليها كلما امتد الزمن حتى غدت أراضيها هدفــا لغارات الحلفاء المتعاظمة وساحات معارك تحرق رجالها وتدمر مدنهــا في زحف مطبق عليها من الشــرق ومن الغرب كفكي كماشة هائلة .

في هذا الصراع انهكت بريطانيا نفسها وضحت باقتصادها لكي تتمكن من مواصلة الحرب فعبأت الرجال والنساء والاولاد . ومن لــم ينخرط في الجندية عمل في صناعة الحرب . وفي روسيا لم يبق دولاب صناعة يدور في جميع الاراضي الواقعة غربي نهر الفولغا .

واميركا نفسها البعيدة عن جبهات القتال لم تنج من ضريبة الدم . فقبل ان تستسلم اليابان فقدت ٣٢٢,١٨٨ قتيلا من شبانها في المعارك بالاضافة الى ٧٠٠,٠٠٠ جريح . كما قدمت الامة الاميركية فيضا لايحصيه عد مــن مواردها ليس لتمون جيوشها فحسب بــل لتدعم تموين وتجهيز جيوش

حلفائها ليتمكنوا من القيام بقسطهم في العراك المرير ضد العدو المشترك ٠ وان تكن كل أمة من الحلفاء قامت بأقصى امكانياتها فان من المسلم به أن الجميع كانوا ينظرون الى الولايات المتحدة كترسانتهم وبيت تموينهم ، لان بلادنا بدأت تتحول تدريجيا من الانتاج السلمي الى الانتاج الحربي فعبأت الرجال والمعدات حتى اصبحت قواتها فعالة ثقيلة الوطأة على العدو بركة للصديق ٠

كان قد مضى على اوروبا مدة سنة كاملة قبل ان تفطن أمريكا الى حالتها وما هي عليه من عدم الاستعداد وضعف في وسائل الدفاع ومواجهة الملمات ٠ ولما فكرت باتخاذ خطوات نحو تقوية جهازها العسكري كان عليها أن تبدأ من شبه لاشيء لانه لم يكن عندها شيء مما يجب ان يكون عند أمة عظيمة ٠

ففي صيف سنة ١٩٣٩ تمكنت المانيا من تعبئة قوة مؤلفة من ستين فرقة مشاة وأربع عشرة فرقة آلية وثلاث فرق جبلية وما ينوف على الاربع آلاف طائرة مدمرة وقاذفة والوف الدبابات والمصفحات ، دفعت بهم نحو بولندا التي عبأت قوة لاتقل عن ثلث قوة الالمان ٠ فتوغلت جحافل هتلر في الاراضي البولندية تمطرها نارا وافناء ٠ وسرعان ما ابيدت قوات بولندا وشلت حركتها تحت الضربات الصاعقة الرهيبة ٠

يوم كان لالمانيا مثل تلك القوى لم يكن لدى الولايات المتحدة مايستحق أن يقارن بقوات دولة صغيرة كبولندا ٠ لم يكن عندنا في تموز سنة ١٩٣٩ الا ١٣٠,٠٠٠ مجند في قوى البر والجو ٠ بل بالفعل لم يكن عندنا الا ثلاث فرق بمعداتها الكاملة أما الست الباقية فكانت ناقصة السلاح تفتقر للتدريب ٠ هذا بالاضافة الى فرقتين من سلاح الفرسان ، ولم يكن عندنا فرقة واحدة مصفحة ! بل لم يزد رجال الدبابات عندنا عن الالف وخمسمئة رجل ٠ وبلغت قوة سلاح الجو عندنا ١١٧٥ طائرة يعمل فيها ١٧,٠٠٠ رجل ٠ واضافت الحكومة الى هذا العدد في صيف وخريف تلك السنة مجموعتين من الرجال مما جعل جيشنا ان يبلغ ٢٢٧,٠٠٠ مسلحا ٠ وقد تجمد هذا العدد كل مدة الثمانية أشهر التي انتصرت المانيا فيها بقسوة

على بولندا وجعلت تستعد لاكتساح اوروبا · تقاعسنا عن الاستعداد لان الشعب الاميركي ظن انه لن يناله أحد بسوء وهو قابع وراء المحيطات ·

من المؤسف انه لم يدرك أهمية العلاقة بين ازدهار أميركا ورفاهيتها وبين وجود عالم حر في القارات الاخرى الا عدد قليل من الاميركيين · لم يدرك الخطر المحدق بأميركا من فرط اهمالها الا بعض العسكريين المحترفين وبعض الساسة بعيدي النظر ممن ادركوا ان حياد أميركا في أي نزاع عالمي قد اصبح مستحيلا في منتصف القرن العشرين ·

في ربيع سنة ١٩٤٠ بعد ان اجتاحت جيوش هتلر بلاد الدنمرك والنروج واحتلتهما ومن ثم دكت تحصينات فرنسا وتدفقت تغزو اراضيها بسرعة البرق حتى وقفت على شواطيء المحيط الاطلسي ، بدأ الاميركيون يشعرون بالقلق وحراجة الموقف فزادوا الجيش العامل حتى بلغ ٣٧٥,٠٠٠ مقاتل · هذا بينما خول مجلس الكونغرس الحكومة في شهر آب من تلك السنة ان تجند حرسا وطنيا · وبعد ذلك بستة اسابيع بدأ تجنيد الشباب في جميع الولايات حتى بلغ مجموع جيشها المليون والنصف في سنة ١٩٤١ · ولم يكن ذلك العدد الا حلا وسطا بين القائلين بسياسة الحياد والقائلين بالتسلح ·

وبينما كانت جيوش المانيا تطوي السهول الروسية ، واليابان تستعد على قدم وساق لمهاجمتنا لم تستطع الحكومة استصدار أمر بارسال قسم من قواتنا المعسكرة في البلاد لدعم معسكراتنا فيما وراء المحيطات ، ولكن قبل ان تقوم اليابان بهجومها المفاجيء على بيرل هاربر بأربعة اشهر انتزعت الحكومة من المجلس قرارا بأكثرية صوت واحد يخولها الحق في ارسال قواتها الى ما وراء البحار وبتمديد مدة الخدمة العسكرية أكثر من سنة اذ لولا قوة شخصية الجنرال جورج مارشال واتساع نفوذه في البلاد لما استطاعت الحكومة انتزاع ذلك القرار وذلك لعدم اقتناع المسئولين بوجود خطر مداهم · وعليه بينما كانت رحى الحرب تحيط بالكرة الارضية من جميع أجزائهاخارج العالم الجديد وبينما كانت قوات المحور تنتقل من نصر الى نصر في سبيل السيادة على المعمور كان كل طلب من قبل الحكومة

الاميركية لزيادة قواتها وتراكم معداتها يصطدم باللامبالاة والتراخي من قبل الشعب فبقي أمر الاستعداد للطوارىء عندنا يتراوح بين مد وجزر حتى فاجأتنا ضربة بيرل هاربر فانفك السحر وتعطلت الطلاسم فهب الاميركيون يدافعون عن بقائهم .

من بعد غدر اليابان الاول ولمدة ثلاث سنوات ونصف استطاعت الولايات المتحدة أن تنشيء وتنمي آلة حربها العظيمة التي لعبت دورا هاما في اجبار المانيا ان تركع على ركبتيها بينما كانت تقوم بنفس الوقت في خوض حرب حاسمة ضد اليابان وحيدة .

لم يحدث ذلك التغير العظيم في اميركا في مدة وجيزة ، وبالفعل لولا وجود حلفاء لنا شجعان ولولا بعد الشقة بيننا وبين قوى العدو الضاربة لما تمكنا بما قمنا به . وغني عن البيان انه لم يوجد بيننا من يستطيع ان يتبصر طريقه ويدرك آخر المعركة . وقليل منا من أدرك مايتطلب الواجب أن نقوم به كأفراد وكأمة ، ولكن مع الايام تعلم كل منا ان يقوم بالقسط المتوجب عليه .

كنت يوم اعلنت الحرب سنة ١٩٣٩ في جزر الفلبين على وشك ان انهي خدمة اربع سنوات كمساعد لقيادة الجنرال دوغلس ماكارثر الذي اسندت اليه مهمة تدريب وانشاء جيش فلبيني مستقل . فوصلتنا اخبار غزو بولندا وسمعنا أن رئيس وزراء بريطانيا سيلقي بيانا . ولما اصغينا اليه في الوقت المعين ادركنا أن الامبراطورية البريطانية التحمت مع آلة الحرب الالمانية للمرة الثانية في النصف الاول من القرن العشرين . فصعب علي الامر لاني ادركت ان الولايات المتحدة لن تتمكن من الوقوف على الحياد طويلا .

تحققت ان بلادنا ستشترك في المعمعان ولكني لم اتبين كيف سيكون اشتراكها . ولذلك ظننت ان اليابان ستقف على الحياد على الاقل الى أن ننشغل عنها في اوروبا .

بدأ بعض كبار ضباطنا يحدثوني عن تخوفهم من وقوع حرب كونية ثانية منذ سنة ١٩٣١ ولم يطل بي الامر حتى جاريتهم في اعتقادهم هذا لأني رأيت

أن القوى الدكتاتورية في كل من المانيا وايطاليا واليابان تزداد مطامعها يوما بعد يوم • ولابد لتلك المطامع من أن تدفع ذويها للقيام بهجوم على أملاك انكلترا وفرنسا ، ولابد لهذه اذا استفزت من القيام للدفاع عن حياضها فتقع عندئذ الواقعة • ولما وقع ما ترقبناه خلنا أن هتلر قد أخطأ التقدير باثارته لقوتي فرنسا وانكلترا • وظننا أن جيش فرنسا وبحرية بريطانيا سيتمكنان من دحره واخضاعه وذلك لما كان لا يزال عالقا في أذهاننا عن اسطورة قوة الجيش الفرنسي • هذا ما خلناه ورغم ما سمعنا من آراءمؤداها أن القيادة الالمانية عجمت عود نفسها وعود اخصامها وخرجت بنتيجة أن في مقدورها تحطيم قوى الحلفاء بهجوم صاعق لا مجال فيه لاستعداد وترقب •

وأنا شخصيا شعرت منذ أن سمعت أن الحرب قد أعلنت بأن الواجب يدعوني للرجوع الى أرض الوطن وعليه ذهبت توا لزيارة رئيس جمهورية الفلبين وأخبرته عن عزمي على الذهاب الى أميركا لأتمكن من القيام بقسطي في الاستعدادات الملحة التي لا بد للولايات المتحدة من القيام بها لمواجهة الاحداث ولكن الرئيس كيزون ألح علي بأن أبقى فرفضت ورجوته أن يسمح بذهابي قبل نهاية السنة • ففعل •

لما غادرنا مانيلا عاصمة الفلبين أنا وامرأتي وابني جون رافقنا الجنرال ماك آرثر الى ظهر السفينة لوداعنا فقضيت اللحظات الاخيرة برفقته في التحدث عن المآسي التي تنتظر العالم عامة والاوربيين خاصة • ثم ودعناه وسرنا ولم تقع عيني عليه بعد ذلك الا بعد أن انتهت الحرب وأصبحت رئيسا لاركان حرب الجيش الاميركي فزرته في مركز قيادته في طوكيو •

عرجت في طريقي على بلاد اليابان ثم وصلت اميركا في أوائل كانون الثاني سنة ١٩٤٠ • وفي الحال جرى تعييني في منصب تدريبي في الفرقة الخامسة عشرة المعسكرة في قلعة لويس في وشنطن بعد أن مضى علي ثماني سنوات في المكتب بين المقاعد والاضبارات • وبحكم منصبي الجديد تمكنت من الاختلاط بالجنود والضباط مباشرة كما ازددت اختبارا بالاسلحة وانواعها •

لا مراء في أن الجندي المحترف لا يطمع في مركز أفضل من المركز الذي

عينت فيه في زمن انتشرت فيه ألوية الحرب في كل قطر حتى أخذت تقترب من الديار الاميركية • وكانت فرقتي مؤلفة على الاكثر من فئتين : الاولى فئة الجنود القدامى الذين خدموا في الصين قبـل سنة ١٩٣٨ ، والثانية فئـة المجندين الجدد الذين يفتقرون الى التدريب والترويض ، وكانت الغاية من دمج القدامى بالجدد اكتساب هؤلاء روح الجندية الحقة حتى اذا أتقنوهـا بفنونها وحركاتها فصلوا ليصبحوا بدورهم معلمين ومدربين لمجندين جدد وهكذا دواليك يندمج القديم بالجديد ليجعل منه جنديا بالفعل حتى تتمكن الحكومة من تجنيد عشرات ومئات الالوف بل الملايين الذين قد تحتاج اليهم اذا ما هاجمها العدو واضطرت الى أن تدافع عن نفسها • وبالفعل فقد أصبح الجنود القدامى نواة مهمة لقوة هائلة أخذت تتكاثف وتتكاثر بسرعة ، ولقد تسنى في زحمة هذا التجنيد والتدريب للمحترفين أن يظهروا مواهبهم ويقدموا خدماتهم على أكمل وجه •

لابـد لي أن أذكر بكل أسف ، أنه في اوائـل سنة ١٩٤٠ كانت نفسية الجيش الاميركي تعكس نفسية الشعب ، كما هي الحالة دائما في المـاضي والحاضر • وهي نفسية اللامبالاة والتراخي كأن ما يحدث في العالم لا يعنيهم • وكان الضباط يفضلون الرياضة وسائر أنواع اللهو على التدريب والترويض واستسلم أكثرهم الى نوع من نمط الحياة الهادئة حتى باتوا لا يشعرون بأي جديد ويستخفون بكل رأي لا يجاري هواهم ، ولما كانت الترقية بحسب الاقدمية لا بموجب النشاط والابداع راح كل لا يبالي بأي تدريب او ابداء أي جهد • والذي هو أسوأ من ذلك أن الكثيرين منهم اعتقدوا أن أيام جنود المشاة قد ولت لغير رجعة فما لهم اذا وللتدريب وكثرة التعب ! والذي زاد في يقينهم ذلك أنهم رأوا القيادة العليا تأمر بتخفيض المشاة الذين كان عددهم ٥٦،٠٠٠ سنة ١٩٣٩ الى ٤٩،٠٠٠ سنة ١٩٤٠

واذا التفتنا الى حالة الاسلحة لرأينا أنها أكثر بلبلة من حالة الجنود ، اذ أن البندقية التي استعملها جيشنا في السابق أصبحت قديمة لا تؤدي الغرض في معركة جديدة ، وليس في الوجود شيء أفضل منها ، كما وان معامل الاسلحة لم تصنع شيئا مما يساعد على صد أية دبابة وتهديد أيـة

طائرة • وعوضا عن أن يتسلم الجنود أسلحة فعلية تسلموا نماذج من خشب تمثل المدافع الرشاشة والمورتر •

وأسوأ من كل ذلك الطريقة في التمرين لانها اقتصرت على مسح السلاح فقط وكيفية الطعن بالحربة واستعراض السرايا والفصائل ، أما التدريب على فن الهجوم والدفاع والاختفاء للعدو او المفاجآت وما اليه من الحركات العسكرية فكانت مهملة • فنتج عن ذلك أن لا الجنود ولا الضباط كانت لهم أية فكرة عن معركة حقيقية •

كانت المشكلة الكبرى لدى وزارتنا الحربية نفسية • وهي التراخي وعدم الاهتمام حتى أنه بعد أن سقطت فرنسا في شهر أيار سنة ١٩٤٠ لم نستطع أن نقدر خطورة الحالة ، واليك مثلا على ذلك :

في نفس اليوم الذي وقعت فيه فرنسا وثيقة استسلامها وقف أحد قادة فرقنا وجندي قديم يراهن على أن بريطانيالن تستطيع الصمود أكثر من ستة أسابيع وكأنه يراهن على ما اذا كانت ستمطر في الغد أم لا •ولم يخطر على باله أن الامر يعنيه لان بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي تقف بيننا وبين خطر داهم • لم يكن موقف أكثرية الشعب الاميركي وضباطه وجنوده يختلف عن موقف ذلك القائد • ولولا وجود نفر قليل في بعض دوائرنا ممن وعى خطورة الموقف لفاجأتنا الاحداث بما لا نشتهي •

واليك مثلا آخر عن عقلية الاميركيين يومذاك : لما أصدرت القيادة العامة اوامرها بوجوب تدريب الجيش على ما يشبه معركة حقيقية مع ما يخالطها من ملابسات ومشقات تخوف الضباط من أن يؤدي ذلك الى انفجارفي الصفوف حتى تحاشوا تعريض جنودهم لحر الشمس او الزمهرير • فالجندي الذي لا يستطيع تحمل الحرارة والبرد كيف ينتظر منه أن يتحمل نيران المعارك •

ومع ذلك فان القيادة لم تيأس بل تقدمت وئيدا وبخطوات ثابتة تعالج الوضع مستمدة الهمة والاقدام من ذلك الجندي الكبير الجنرال مارشال ، فاتخذت عدة وسائل لتلاشي ما أصبنا به من استسلام وطمأنينة وتوسلت

بدعايات صحفية وصور وخطب تهدف جميعها الى الحذر والتأهب للوقوف في وجه الملمات على قدم الاستعداد مهما كانت المشقات والتضحيات •

وبعد أن وافق المجلس على المزيد من المصروفات اصبحت ترى في ربيع سنة ١٩٤١ كل معسكر في حركة دائمة من أجل بناء جيش الولايات المتحدة فاندمجت قوى الحرس الوطني والمتطوعين والجيش النظامي في جبهة واحدة وأخذت تنمو وتتعاظم بسرعة بما أضيف اليها من مئات ألوف المجندين الجدد فقامت مدن من الخيم والمعسكرات بما يلزمها من متطلبات الحياة العصرية كالمستشفيات والكهرباء واجهزة الماء وآلات النقل وغيرها وغيرها الكثير •

كان هدفنا الاول الحصول على رجال أقوياء الابدان اصحاء متعلمين عسكريا وفنيا مطيعين للاوامر ، متعاونين في السرايا والفصائل والفرق والجيوش ، معتزين برسالة الجندية وما تحتله من اباء وشرف • أما مسألة اخراج جنود متمرسين بالقتال ، متخشنين في المعارك ، مستعدين أن يخوضوا حربا فعلية • فتلك أمنية لم نطمع بنيلها لان الرأي العام لم يكن قد استعد لقبول تطبيق مثل هذه الخشونة على أولادهم •

وعلى كل فان ذلك الهدف المحدود قد استغرق معظم وقتنا واستنفد مجهودنا بما اجراه الضباط وموظفو القيادات من دورات تفتيشية وتخطيطات واصدار اوامر وتوجيهات وما قاموا به من نشاط للتوفيق بين ما تلقوه من أوامر وتعليمات وما أمكن من تطبيقات وما توجب من توزيع الرجال والعربات والمؤن والمعدات والى ما هنالك مما تقتضيه عملية تضخيم الجيش بطريقة سريعة أملتها علينا الحوادث • وأكثر ما آلمنا في زحمة ذلك النشاط هو نقص الوارد الينا من معدات وتجهيزات •

وفي شهر حزيران من سنة ١٩٤١ صدرت الي الاوامر بالانتقال الى معسكر الجيش الثالث بقيادة الجنرال ولتر كروجر حيث عينت مساعدا لاركان حربه فتسنى لي الاطلاع هنالك على ما يعانيه الجيش الاميركي عامة من مشاكل تتمركز جميعها حول نقص المدربين والمعدات • ولكنني عرفت أيضا أن التقدم يسير حثيثا في الجيوش الاربعة التي اقتضى التكتيك العسكري تقسيم قواتنا بموجبها •

فاذا قورنت الحالة في صيف سنة ١٩٤١ بما سبقها بسنة وجد ان التحسن كان ظاهرا واضحا اذ بلغ عدد جيشنا ما يقارب المليون ونصف ضابط وجندي لكنه يعاني نقصا بيناً في العربات والدبابات الحديثة والمدافع المضادة للطائرات • وطائرات المساندة كانت لاتزال شبه معدومة • وقد اتضح لي أكثر من ذلك أن هنالك حالة غريبة وهي وجود جيش اغرار كبير العدد يدربه ضباط تطرق اليهم العجز وحدت السنون من نشاطهم لهم عقلياتهم الخاصة التي حالت دون اقامة أي تفاهم بينهم وبين جنودهم •

واذا اخذنا الجنرال كروجر كمثل لرأينا بأنه ضابط مسن ترقى من جندي الى عريف فنائب فضابط ولرأينا انه كان جنديا مشهودا له سنة ١٨٩٠ فماذا ينتظر منه في سنة ١٩٤١ ؟ على ان الجنرال كروجر ذو عقلية متطورة استطاع ان يطور اساليبه مع الزمن ويحتفظ بنشاطه وقلما وجد عندنا من يباريه في ادراك ما تتطلبه حرب حديثة من الجيش ، فأنا ليس لي مأخذ أو انتقاد عليه بل اني معجب به كل الاعجاب لكنني اوردت ذكره لاعطي القارىء صورة عما كانت عليه الحالة عندنا عن عدم وجود ضباط متوسطي الاعمار يقيمون جسرا من التفاهم بين ابناء العشرين وابناء الستين والسبعين • وذلك لان التفكير السلمي طغى على البلاد بعد الحرب الاولى حتى لم يقبل على الجندية الا عدد ضئيل جدا بينما كانت الدول الاوروبية واليابان تدعو شبانها للتدريب سنويا •

بعد ان استقررت في مركزي الجديد صدرت الاوامر الى الجيش الثالث ان يقوم بتحركات عسكرية ( مناورة ) على مدى واسع في ولاية لويزيانا حيث عليه ان يقوم بمعركة شبه حقيقية ضد الجيش الثاني لاجراء اختبار فعلي بين الجيوش في حرب حديثة على أمل ان تكشف التجربة أوجه النجاح وأوجه النقص ولتصفية ذي الاهلية من العاجز • فاستطعنا ان نجني من تلك المناورة دروسا وعبرا كثيرة لانه لم يكن بين قادتنا من تمرن في قيادة أكثر من فرقة أو فوج ، أما القيام بعملية حربية بين جيشين يبلغ مجموع عددهما نصف مليون جندي فكان شيئا غريبا عنا وعليه فان تلك العملية علمتنا كيف يجب ان يكون التعاون بين الوحدات المختلفة وكيف يجب ان

توزع المؤن والذخائر كما انها اتاحت للبعض ان يظهروا مواهبهم ويتحملوا المسئوليات الجسام حتى يجري ترقيتهم وتعيينهم في المناصب التي تليق بهم •

بعد ان تمت المناورة ورجعت الى مقر عملي وبدأت استسلم الى الراحة اصدرت اوامري عشية السابع من شهر كانون الاول بأن لايوقظني أحد بعد أن آوي الى فراشي مهما كانت الظروف • ثم استلقيت على سريري وجعلت أفكر كيف سأقضي عطلة الاسبوعين التي حصلت عليها بين امرأتي واخوتي واولادي • ولم أكد استسلم الى سنة النوم حتى ايقظني قرع شديد على الباب وما فتحته الا واخبرني مساعدي اننا اصبحنا في حالة حرب! فشعرت بحرج الحالة وانزعجت لفشل الحلم الذي ساورني من قضاء اسبوعين بين عائلتي •

وبعد ساعة من الهجوم على بيرل هاربر بدأت الاوامر تنهال على قيادة الجيش الثالث من الوزارة بعضها يوعز بنقل مدفعية مضادة للطائرات الى الشواطيء الغربية حيث صورت موجة الذعر هنالك للسكان بأن الطائرات اليابانية تحلق في سمائهم وبعضها يقضي بأخذ اجراءات ضد عمليات التخريب وبحراسة بيوت الصناعة ومرافيء الخليج المكسيكي وبارسال دوريات للقبض على الجواسيس الذين قد يتسربون من حدود المكسيك • كما انه صدرت اوامر بنقل بعض الوحدات العسكرية الى الشواطيء الغربية خوفا من وقوع أي هجوم ياباني • فجعلنا نحن بدورنا نصدر الاوامر الى الوحدات ونراقب سيرها •

فقد فرضت علينا المفاجأة ان نخرج على المألوف في تنفيذ الاوامر • فجعلت تتحرك الوحدات بأمر تلفوني لا خطي • ونقلت المدافع احيانا بسيارات الاسعاف ، ونقل الجنود في سيارات معطلة أو في المواعين النهرية •

بعد مضي خمسة أيام على هذه الحالة المضنية رن جرس الهاتف الذي يصلنا بوزارة الحربية في صباح الثاني عشر من كانون اول ، وما كدت اضع السماعة على اذني حتى سألني احدهم « هذا أنت يا ايك ؟ » قلت « نعم » •

« ان الرئيس يأمرك بأن تركب طائرة وتأتي الى هنـا في الحال • اخبر رئيسك ان الاوامر الرسمية في ذلك ستتصل في حينه » •

كان المتكلم الزعيم ولتر بدل سمث الذي قدر له ان يصبح فيما بعد من أعز اصحابي ورئيس اركـان حربي أثنـاء العمليات الحربية في اوروبا • والقارىء يدرك ان الرئيس هو الجنرال مارشال •

كانت الصدمة شديدة الوطأة علي وذلك لاني في الحرب الاولى رغبت ان اشترك في العمليات الحربية وانا في الميدان ولكن القيادة عينتني في مركز اداري • واليوم بعد ان تعودت على الحياة في المعسكرات واختلطت بالضباط والجنود جزعت أن تأمرني الوزارة بالبقاء فيها لاستشارتي في واشنطن عن الفلبين واخذ رأيي في أحوالها وعن أفضل الطرق للدفاع عنها • ان نفسي تعاف مثل هـذه المهنة وأفضل الاشتراك بالعمليات العسكرية • فبقلب حزين اتصلت هاتفيا بامرأتي واخبرتها أن تعد ثيابي لاني بعـد ساعة سأنتقل الى واشنطن •

خلت في البدء ان الجنرال مارشال مهتم بأمر الدفاع عن الفلبين وهـو يريد ان يبقيني الى جانبه في الوزارة وجزعت كما سلف لكنني لم أكن أعرف ما تخبئه الاقدار لي من مسؤوليات وراء هذه السفرة ، كما سيطلع القارىء فيما يلي من صفحات •

# الفصل الثاني

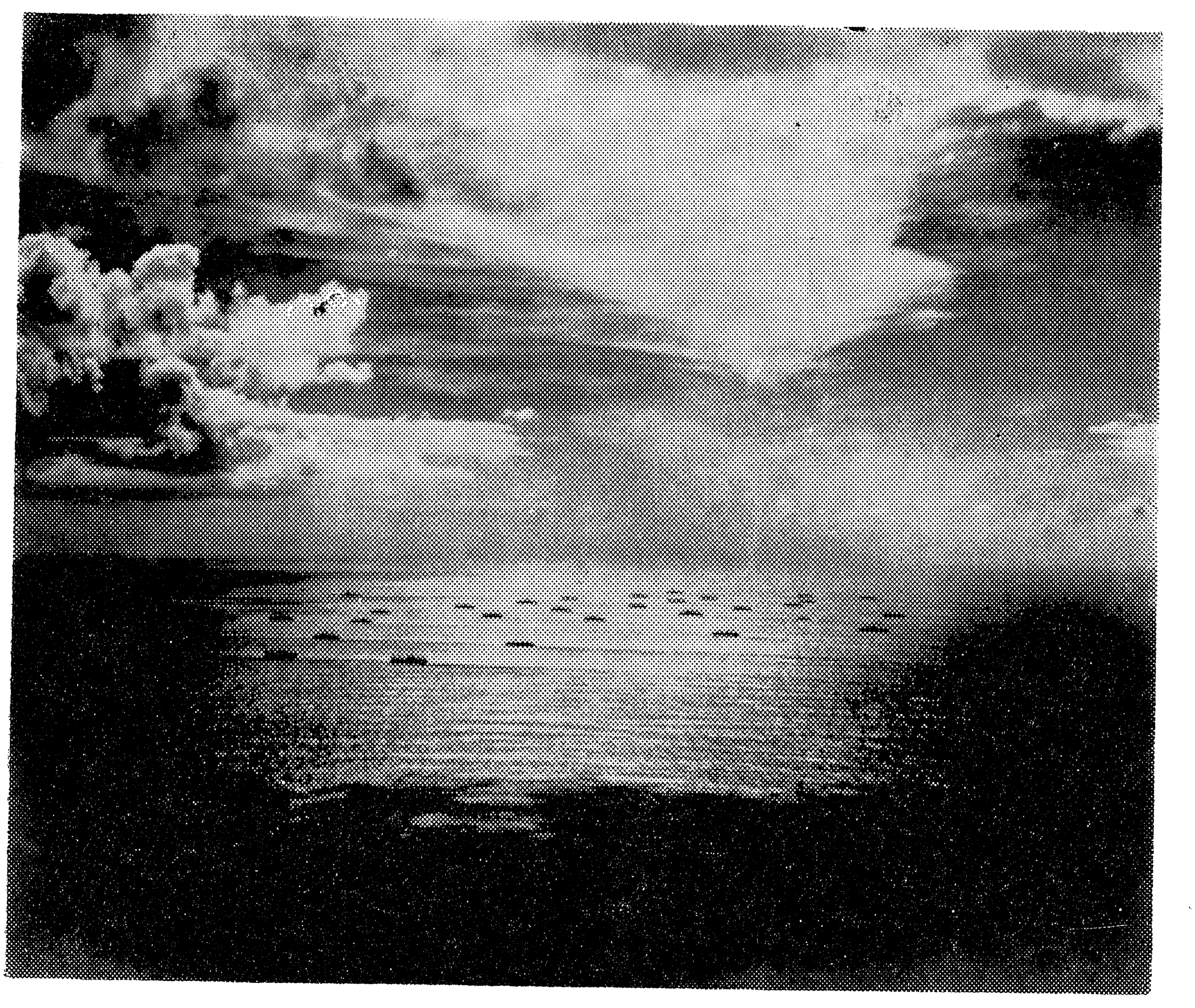
## حرب كونيـة

اعلنت عن وصولي الى مقر الجنرال مارشال في صباح الاحد الواقع في ١٤ كانون اول سنة ١٩٤١ ، ولاول مرة في حياتي تكلمت معه أكثر من دقيقتين كاملتين • واطلعني مباشرة بدون مقدمات على مجاري الامور في المحيط الهادي في البحر والبر •

أما بحرا فالاسطول لن يتمكن من القيام بعمليات كبرى قبل مضي بضعة اشهر • وانه لم تصب أي من حاملات طائراتنا في بيرل هاربر بأي اذى لانها كانت بعيدة عن مركز الهجوم الياباني • لكن السفن المساعدة للحاملات أصبحت قليلة العدد حتى أمرت ان لا تفرط بذاتها وتدخل أي معركـة • وزيادة على ذلك لم يكن هنالك أي تأكيد بأن اليابانيين لايستغلون ضعفنا ويقومون بهجوم برمائي سريع على جزيرة هواي ، أو على بلادنا نفسها • ولذلك فان البحرية تشعر بأنه يجب ان تحتفظ بالحاملات لتراقب تحركات العدو الى ان تتغير الاحوال ونتمكن من استعمالها لغاية أخرى • وقد اطلعت وزارة البحرية الجنرال مارشال ان ليس لديها أي تقدير للوقت الذي يلزم لاصلاح الاسطول ودعمه حتى يصبح قادرا عـلى أن يقوم بعمل هجومي في المحيط الهادي •

كان معسكرنا ضعيفا في هاواي لدرجة جعلت البحرية والحربية ان تتفقا على ارسال المدد اليه على وجه السرعة ، ومده بالطائرات ، وذلك قبل ارسال المعونة الى أي مكان آخر في الباسفيكي •

عندما قامت اليابان بهجومها كانت القوات الاميركيـــة في جزر الفلبين



البوارج الحربية الامريكية تحرس قافلة متجهة الى احـدى الجبهات الحليفة

قد بلغت ثلاثين ألف مقاتل تدعمها ثلاث وحدات من مدفعية الميدان ووحـدة من المدفعية المضادة للطائرات ، وفصيلتان من الدبابات • وكان لنا هنالك خمس وثلاثون قاذفة قنابل من الطراز الحديث ( B ـ ١٧ ) ومئتان وعشرون مقاتلة بعضها لا يصلح للعمليات • وقد عرف الجنرال مارشال أن تلك القوى قد أصيبت بخسائر منذ أول هجوم ياباني عليها •• لكنه لم يتبين مدى تلك الخسائر • وعرف أن قواتنا هنالك ينقصها بعض المعدات الضرورية • ولكن هذا النقص لم يتناول الغذاء والذخائر ، لان الكمية الموجودة منهما تكفي زمنا اذا تمكن المعسكر أن يبعدها عن خطر العدو •

أما قواتنا البحرية في تلك النواحي فلم تكن كافية لصد أي عدوان •• ولذلك تمكن اليابانيون من تعطيل أرصفة الاسطول في مرفأ مانلا بقاذفاتهم في العاشر من كانون الاول ، فاضطرت غواصاتنا أن تتوارى عن الانظار ، وما تبقى من سفن أن تنسحب ، لان جميع الدلائل كانت تشير الى أن اليابانيين قد صمموا أن يجتاحوا جزر الفلبين بأسرع ما يمكن • والمشكل كان كيف يجب أن نتدبر أمرنا تجاه ذلك الخطر •

أخبرني الجنرال مارشال كل ذلك في ظرف عشرين دقيقة ، وفجأة ألقى علي هذا السؤال : « ماذا يجب أن تكون خطتنا في العمل »•وفي لحظة أجبته: « أمهلني بضع ساعات لافكر » فختم بقوله: «ليكن ذلك» ثم ودعته وانصرفت

لم يلمح الجنرال مارشال في حديثه معي من قريب او بعيد عن أهم عنصر في المشكلة وهو التأثيرات النفسية التي نتجت عن معركة الفلبين ، وذلك لانه لاشك شعر أني اذا كنت أجهل هذه الناحية ولا أقدرها كأميركي فلا أستحق أن أضع على كتفي شارة لواء •

انصرفت بعد ذلك الى مكتبي في غرفة في دائرة التخطيطات الحربية وجعلت أفكر في مخطط واضح صريح يجعلني خليقا بأن أساعد الرئيس في مهمته ، ويساعدني على كسب ثقته • ومما فهمته منه أن وضعنا في المحيط الهادىء كان حرجا ،ولايستطيع اسطولنا هنالك أن يقوم بأية محاولة هجومية بعيدة عن قاعدة أمينة ، ولا يجرؤ أن يجازف بارسال سفن عائمة الى المياه الفلبينية •

وزيادة على ذلك كانت أمامنا مطالب عديدة ومتنوعة صادرة من أمكنة مختلفة بعضها جاءمن الشواطىء الغربية وبعضهاجاء من جزرهاواي وأخرى من رؤساء بلديات ومن أعضاء الكونغرس ـ طلبات لو حاولنا تلبيتها جميعها لاستنفذنا محمول جميع السفن التي في حوزتنا ٠

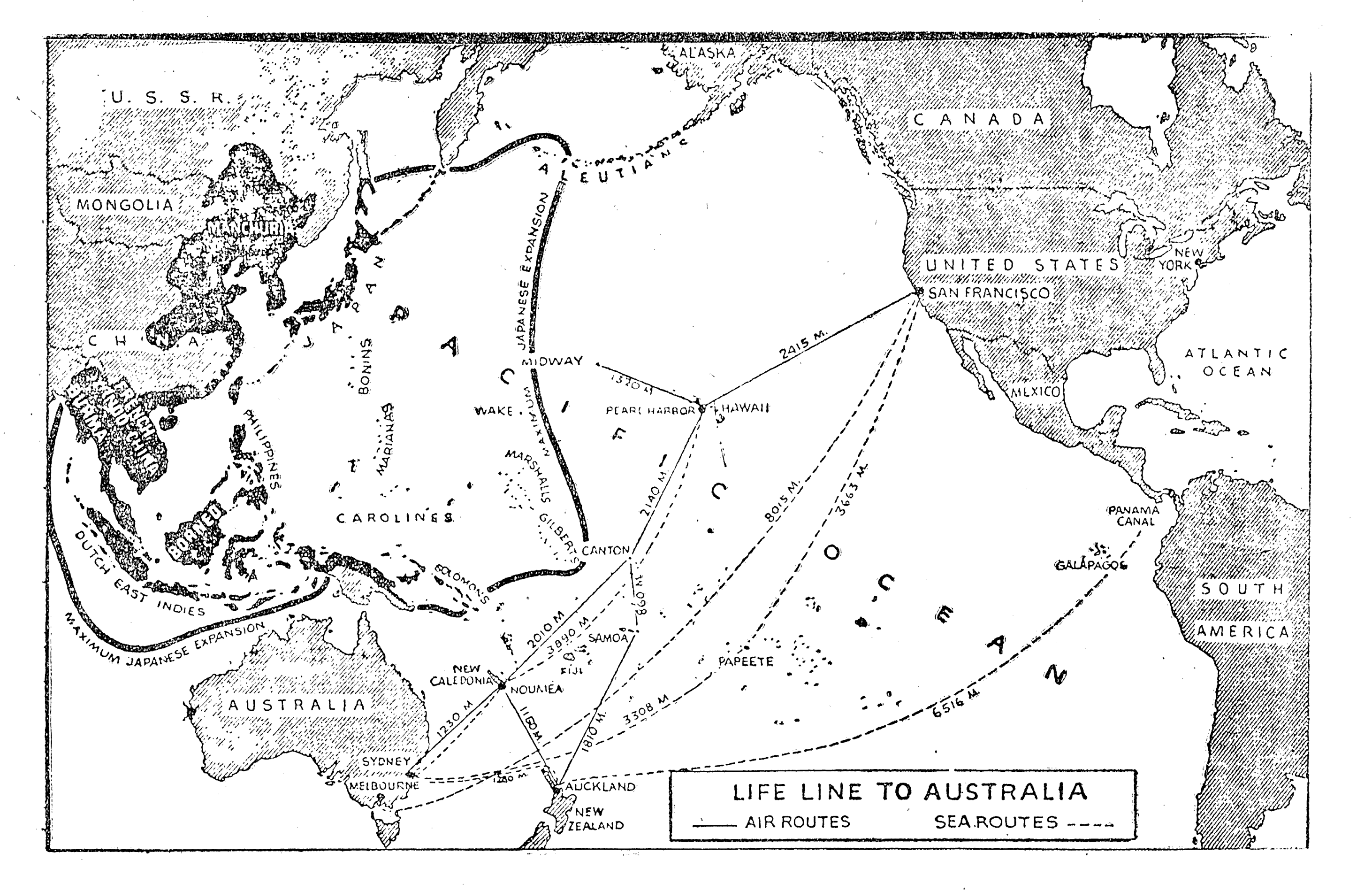
ومن الجلي أن ارسال المدد الى الفلبين كاد أن يكون مستحيلا في مثل هذه الظروف ٠ فرأيت ان كان ولابد من مساعدة جيشنا في جزر الفلبين ليطيل أمد مقاومته ، فيجب أن نستعيض عن السفن العائمة بالغواصات ، وببعض الطائرات بعيدة المدى ٠ ورأيت أنا نستطيع أن ننشىء لنا قاعدة أمينة وقريبة من الفلبين في شرقي استراليا ٠ ولكن لكي نتخذ من اوستراليا قاعدة يتحتم علينا أن نؤمن خط مواصلاتنا اليها ٠ ومن أجل ذلك يجب أن نحتفظ بقواعدنا في هاواي وجزر فيجي ونيوزيلنده وكليدونيا الجديدة كما يجب أن نؤمن الدفاع عن اوستراليا نفسها ٠ وتراءى لي أن من الممكن الاحتفاظ بممتلكات هولندة في جزر الهند الشرقية التي تحسب من أغنى بقاع العالم في مواردها ومنع اليابان من غزوها والاستفادة من زيتها ـ تراءى لي أنه اذا تمكنا من ذلك فستضطرها حاجتها الى الزيت أن تتوقف عن مواصلة هجماتها ٠٠ فنستطيع عندئذ أن نؤمن قواعد لطائراتنا المقاتلة لانها ضرورية جـــدا في عملياتنا الدفاعيــة ٠

وبالاختصار رأيت وأنا مختل في مكتبي أنه مهما كانت المصاعب والمخاطر لا يليق بأمة عظيمة كالولايات المتحدة ، مهما كانت عليه من ضعف الاستعداد أن تدير ظهرها الى شعب الفلبين والى الجيش والسكان الاميركيين المقيمـين هناك ، ولذلك يتحتم علينا أن نرسل كل ماهو ضروري اما بواسطة الطائرات او بواسطة الغواصات ، حتى نمكن جنودنا من الصمود ما أمكن ٠ واذا مـا وقعت الكارثة فيعزينا أنا قمنا بما نستطيع ولا لوم على من بذل جهده ولـو فشل ٠ ورأيت أنه يجب الاحتفاظ بخطوط مواصلاتنا مع اوستراليا وزيلنده وجزر الفيجي وهاواي ٠

لما وصلت الى تلك النتيجة استأذنت بالدخول على الرئيس ، وقلت « أيها القائد اننا لانستطيع أن نرسل المدد الكافي الى جزر الفلبين الا بعد زمن طويل قد يكون أطول مما يستطيع جيشنا أن يصمد هنالك • ولكن الواجب يحتم علينا أن نمده الآن بما نستطيع • وان شعوب الصين والفلبين وجزر الهند الشرقية تنظر الى ما نفعل • وقد يجدون لنا عذرا اذا حاولنا واخفقنا •• ولكنهم لن يعذرونا اذا ترددنا وتقاعسنا • ولاشك أن احتفاظنا بثقة وصداقة هذه الشعوب مهم لنا • وعليه يجب أن نتخذ استراليا قاعدة لنا كما يجب أن نبدأ في الحال باعدادها وتأمين مواصلاتها • يجب أن لا نتردد أبدا ، بل نسير قدما ونضحي ما أمكن بالمال والمعدات من أجل هذه الغاية » •

لم يجب الجنرال مارشال على قولي بأكثر من « اني اتفق معك في الرأي » ودلتني لهجته على أنه هو كان قد توصل الى نفس النتيجة ولم يستشرني الا ليتحقق من صحتها • ثم أضاف « ابذل جهدك في سبيل انقاذهم » فاكتفيت بذلك وخرجت لاواصل عملي • وكان شريكي في مهمتي هذه المرة اللـواء بريهون سمرفيل رئيس دائرة التموين الحربية • وكنت أجتمع اليه كل يوم مهما كانت الظروف ، لنجد حلولا للمشاكل التي انتصبت لتتحدانا • وقد أبدى الجنرال مارشال من جهته كل اهتمام بما نفعل • وكثيرا ما كان يقترح علينا اتخاذ بعض الاجراءات التي كانت تنير السبل أمامنا • وعلى الاخص ما كان منها يتناول الناحية المعنوية • فقد نوه بمكافأة كل وحدة من الوحدات العسكرية العاملة في الفلبين • واصدر أمرا بترقية الجنرال ماك آرثر الى أعلى الرتب العسكرية المعروفة في الولايات المتحدة • كما منحه أعلى الاوسمة • ولا أستطيع الا أن أنوه بما جاد علينا من عطف واهتمام •

وفي ٢٢ كانون الاول لما وصلت قافلة بنسكولا الى مرفأ بريزبين باشرنـا بانشاء قاعدتنا في استراليا • ولم يكن وصول تلك القافلة الا صدفـة ، وذلك لانه يوم شن اليابانيون هجومهم على بيرل هاربر كان عدد من سفننا تحمل الجنود والطائرات والمعدات في طريقها الى جزر الفلبين • فأمرتها قيادة البحرية اما أن تعود الى الولايات المتحدة أو تلتجىء الى مرفأ هاواي ، خوفا من أن تقع في حبال اليابانيين • فما كان من السفن قريبا من الولايات المتحدة




طريق التموين الى استراليا

طرق جوية ٠٠٠٠٠ طرق بحرية

رجع الى مرافئه • أما السفن الخمس البعيدة فأمرت بأن تتجه الى استراليا حيث أنزلت خمسة آلاف جندي وكمية لا بأس بها من الاسلحة والمعـدات • وهكذا تكونت نواة القوة الهائلة التي انشئت في اوستراليا ومكنت ماكآرثر من أن يقوم فيما بعد بعملياته الهجومية على اليابان وتحرير جزر الفلبين •

ومنذ ذلك اليوم واصلنا ارسال المدد الى قاعدتنا في استراليا وغيرها من الجزر التي اتخذناها كرؤوس جسور لعملياتنا حتى اصبحت قوتنا العسكرية في ٢١ شباط سنة ١٩٤٢ ( ٢٤٥,٠٠٠ ) مقاتل معظمها كـــان في المحيط الهادي • هـــذا بالاضافة الى نحو من ثلاثين الف مقاتل في ألاسكا وجزر ألوشيان • وبلغ عدد جيشنا في البحر الكريبي ثمانين ألفا • ولم تزد قواتنا على المسرح الاوربي عن أربعة آلاف ضابط وجندي حتى ذلك التاريخ ولكن كان لنا في الطريق فرقتان تتجهان الى هنالك ، كما انشأنا قـوة في جزيرة ايسلنده تتألف من ست عشرة ألفا • ومع أنه في ذلك الزمن لم تكن قواتنا قد اشتركت في الحرب الا في جزر الفلبين كان على القيادة أن تشمل باهتمامها كل بقعة من اليابسة وعلى البحار في كل أنحاء المعمور • ففي الاسكا مثلا كانت جبهتنا مفتوحة لاي هجوم يقوم به العدو طمعا في اتخاذ قاعدة جوية وبرية له هناك • وكان يلزمنا ان نحتفظ بشواطيء البرازيل لكي نتمكن من اصطياد الغواصات التي قد تهدد خطوط مواصلاتنا • بالاضافة الى ذلك فان تلـــك النواحي كانت ضرورية لنا في مواصلاتنا الجوية عبر المحيط الاطلسي ، لانه بعد ان استطاع الالمان سد منافذ البحر المتوسط أصبحت أقصر طريق لنا الى الشرق الاوسط هي اواسط افريقيا • وبذلك كان لابد لنا من اقامة مطارات في تلك القارة الحارة •

وكانت روسيا يومئذ حليفة لنا ، وكان علينا أن نتخذ أفضل الوسائل لايصال مساعداتنا لها حتى تستطيع الصمود أمام العدو المشترك • ومن الامكنة الضروريـــة لنا كان الشرق العربي بما يحتوي من موارد الزيت

الغنية ، وابقاؤه خارج نفوذ المحور كان ضروريا لغايتين : الاولى الوصول منه الى روسيا عن طريق ايران ، والثانية الثروة البترولية الحيوية للحلفاء جميعا • زد على ذلك ماتوجب علينا من تحصين عشرات الجزر في المحيط الهادىء • كما واننا لم نستطع أن نهمل بورما التي تشكل الممر الوحيد لارسال المعدات الى حلفائنا في الصين •

تحتم على وزارة الدفاع ان تجد مخططا للعمليات العسكرية ضد المانيا واليابان ، لأن هذين العدوين كانا بعيدي الشقة عن بعضهما ، وكل منهما يتسلط على امبراطورية واسعة غزيرة المصادر ، وافرة الرجال ، معززة القوى ، وكان علينا ان نستعد لغزوهما وسحقهما •

زارنا في واشنطن في أواخر كانون الاول سنة ١٩٤١ المستر تشرشل يرافقه هيئة أركان حربه المؤلفة من الاميرال السير ددلي باوند ممثلا بحريا والجنرال السير الن بروك عن الجيش ، والمارشال السير تشارلز بورتل رئيس القوى الجوية • وقد جرى اتصال هيئتي اركان الحرب الاميركية والانكليزية في جناح دائرة التخطيط الحربي التي يرأسها الجنرال جيرو •

وكان الغرض من المؤتمر الوصول الى غايتين رئيسيتين : الاولى اتصال القيادة الانكليزية بالقيادة الاميركية لكي تستطيع الاثنتان أن تقوما بجهد موحد في الحرب ، ولتنسيق ذلك قرر أن يلتحق أحد أركان القادة الانكليز بالقيادة الاميركية • وان يلتحق أحد أركان القيادة الاميركية بمركز القيادة الانكليزية • وقد شغل الجنرال دل مركز ارتباط الانكليز بالاميركان في واشنطن بنجاح الى ان توفي سنة ١٩٤٤ • والثانية تثبيت ما سبق أن قرر وهو تعيين الجبهة التي يجب ان تعطى الافضلية في تجميع القوى لضرب العدو •

فاستقر الرأي على أن نهاجم عدونا في أوروبا ونسحق الهتلرية فيها • ولاشك في أنه بحثت عدة مواضيع أخرى لم استطع الاحاطة بها ونشاطي لا يتعدى هامش المؤتمر •

واذا حاولنا ان نبسط الاسباب التي جعلت المؤتمرين أن يقرروا مهاجمة المانيا أولا نرى أنها هي العدو الوحيد الذي تستطيع قوى الحلفاء الثلاث بريطانيا وروسيا وأميركا أن تهاجمه دفعة واحدة ٠ فطبيعة الحرب جعلت كلا من روسيا وانكلترا أن تركزا جهودهما ضد المانيا ٠ ولم يبق مجال للاختيار الا أمام أميركا التي رأت من الحكمة مجاراة حليفتيها لانها اذا ما ركزت جهودها ضد اليابان فقط تتمكن المانيا منهما وتسحقهما ٠ فتضطر الولايات المتحدة عندئذ ،بعد انتصارها على اليابان ، أن تواجه المانيا وحيدة ٠ ولم يكن يومئذ من يستطيع أن يتنبأ بالزمن الذي تستطيع أن تصمد فيه روسيا تحت مطرقة الجيش الالماني الرهيب ٠ ففضلت الولايات المتحدة أن تركز قوتها في اوروبا ٠

# الفصل الثالث

## تبـــديل

## في القيادة ووزارة الحربية

في أوائل كانون الثاني من سنة ١٩٤٢ أعلن رئيس أركان الجيش عن عزمه على اجراء تعديل في وزارة الحربية ووسائل الدفاع حتى تصبح أكثر فعالية وأقوى على مواجهة الاحوال ٠ وسبق انه رأى ان القوانين المعمول بها في الوزارة زمن السلم لايمكن أن تتحمل زحمة الحوادث في عراك مستمر ولذلك عين الزعيم وليم هريسن ليبحث عن مواطن الضعف فيها ووسائل معالجتها ٠ فقام الزعيم بالمهمة على خير وجه لكن العلاج تأخر الى مابعد هجوم اليابان الغادر ٠ فوضع أمر التعديل والتنظيم بين يدي الجنرال جوزيف مكنارني وهو قائد ذو عقل حصيف وعزم لايفل ويتحلى بجميع المواهب التي تؤهله لأن يقضي على الفساد ويزيل العراقيل ويستأصل كل ما من شأنه أن يؤخر النشاط ٠

وارتأى الرئيس في نفس الوقت تعيين لجنة تتناول مهمتها جمع المعلومات الحربية واكتشاف النقط الستراتيجية واطلاعه عليها واناط بها أيضا أمر تلقي الاوامر منه مباشرة وايصالها لمن يعنيهم الامر ٠ ولما ألفت اللجنة اطلق عليها اسم فرقة العمليات الحربية التابعة لهيئة أركان الحرب العامة ٠ وفي التاسع من شهر آذار رقيت الى رتبة جنرال واسندت الي رئاسة الدائرة

الحديثة • وجدت ان الاعمال أخذت تتراكم علي في منصبي الجديد حتى انه لم يفسح لي الوقت فرصة شكر الجنرال مارشال الذي رقاني الى أعلى رتبة يصل اليها قائد أميركي محترف في زمن السلم •

لم يكن في البدء لدى وزارة الحربية دائرة استخبارات يركن اليها وذلك لانه من طبع الاميركي في زمن السلم أن يحتقر كل ما له علاقة بالتجسس والجواسيس • هذا من جهة ومن الجهة الثانية لم تعن القيادة العامة قبل الحرب بجمع المعلومات عما يجري خارج بلادها ولم ترصد شيئا في ميزانية الدولة للتجسس فنتج عن ذلك نقص فاضح في معلوماتنا عن قوات اعدائنا • ومن يجهل الكثير عن عدوه لا يستطيع أن يتخذ خطوات فعالة في سبيل القضاء عليه •

جرت العادة أن تعين الحكومة ملحقين عسكريين في سفاراتها لدى الدول الاجنبية حسب العرف والعادة عند سائر الدول • لكننا لم نرصد نفقات لملحقينا كما يفعل الغير ، فكان يشغل المركز من مكنته ماليته أن يقوم بالمهمة لا من يتحلى بالصفات التي تؤهله لان يتسقط الاخبار ويجمع المعلومات ويمحصها ويميز بين غثها وسمينها ولما بدأنا نطلب معلوماتهم رأيناها مبهمة مشوشة تضر أكثر مما تنفع • ولما تحرينا الحقائق وجدنا ما يطالنا أكثر مما يطالهم لأنا لم نضع تلك الدائرة على أسس صحيحة من البدء وذلك بانتقاء شبان ذوي عقول ثاقبة ومقدرة على تسقط المعلومات من مصادرها ونعدهم اعدادا فنيا وعلميا وننمي فيهم ملكات الدقة في الملاحظة وكسب ثقة الغير والتعرف على الناس وانتزاع المعلومات منهم دون أن يستفزوا فيهم عوامل الشك والحذر • وأعظم من ذلك اننا لم نضع بين أيديهم المال الذي كثيرا ما فتح الابواب الموصدة وأباح ما تكنه الصدور وتنطوي عليه الخفايا •

وعندما بدا لنا ذلك النقص في دائرة استخباراتنا التي لم تقدر نفسها حق قدرها ولم تدرك أهمية ذاتها في الحروب ولم تعلم أين تبتديء وكيف توجه رجالها ليتسللوا الى صفوف العدو ويطلعوا على ما يملك من قوى وما يخفي من نوايا وما يضع من خطط ، جعلنا نتخبط تخبط عشواء علنا نقع على

بصيص ينير طريقنا • لنميز أين يقف عدونا منا ومن حلفائنا • فرحنا نسأل كل عائد من الديار الاوروبية عما يعلم عن الحالة فيها • واليك مثلا عما جرى معنا •

عرفنا في أحد الايام أن الزعيم جون راتي الذي كان ملحقنا العسكري في رومانيا في أول الحرب قد عاد الى أميركا ، وكان ضابطا نشيطا • وعندما انحازت رومانيا الى صف المحور سنة ١٩٤٠ اعتقلته مدة ثم أرسلته من أحد المرافيء المحايدة الى بلاده فأرسلنا في طلبه ليدلي بمعلوماته • وبدا أنه مقتنع بأن ألمانيا لما تستعمل كل طاقتها ، وان لديها قوات عسكرية هائلة تستطيع أن تسحق كلا من بريطانيا وروسيا قبل أن تتمكن أميركا من التدخل ،وقال ان لدى المانيا أربعين ألف طائرة قاذفة ومقاتلة في الاحتياط وان ملاحيها مستعدون لان يدخلوا المعركة في أية لحظة ، وذهب الى أن المانيا قد أعدتهم لغزو بريطانيا ، وأضاف انه لا يزال لدى المانيا عدد لا يستهان به من فرق الاحتياط مهيأة للقيام بهجوم ناجح على الجزر البريطانية •

طبعا لم نستطع أخذ معلومات الزعيم راتي بعين الاعتبار ، لاسيما وان الهجوم الالماني قد صد على أبواب موسكو ،فلو كان صحيحا ان لدى ألمانيا مثل تلك القوة فلماذا لم تستعملها في معركة دائرة يتوقف الكثير على مصيرها • أمن المعقول أن تفضل دولة محاربة أن تتأخر وتتراجع عن تدمير واحتلال هدف عظيم الاهمية كموسكو لكي توفر الاحتياطي لمعركة لا تزال في احشاء المستقبل ؟ ثم اذا كانت اخباره صحيحة عن قوات هتلر الاحتياطية فأية عملية برمائية تقوم بمحاولتها أميركا ستبوء بالفشل المرير •

على أن المعلومات التي اطلعنا عليها بعد الحرب أظهرت ان ما قاله الزعيم راتي تستند الى شيء من الصحة ، لأن هتلر ظن انه يستطيع احتلال روسيا بستين فرقة وما تبقى عنده من احتياطي كان مزمعا أن يقذف به لاحتلال الشرق الاوسط • وبدا أن القيادة الالمانية كانت مطمئنة الى أن في مقدورها أن تلعب أي دور ترومه وتقوم بأية مهمة •

لم يكن بيننا من يضع أصابعه عــلى النقص في دائرة التجسس عندنا كالجنرال مارشال ، ولكي يتلافاه قام في الخامس من شهر أيار سنة ١٩٤٢ بتعيين الجنرال جورج سترنج رئيسا لها ، وهو ضابط خبير حاد الذكاء ، متوقد النشاط حازم ، وأمر بوضع مبالغ من المال طائلة بين يديه ، ولكن أي مبلغ من المــال وأي جهد طاريء لا يستطيع أن يؤمن قواعد مضمونة للتجسس ورقباء مستوفي الشروط لتسقط الاخبار الصحيحة تعطي نتائج سريعة • ولكن مع الزمن استطاع سترنج أن يبني منظمة واسعة النشاط كبيرة الفعالية • ولا بد من التنويه بان ما قدمته لنا بريطانيا من معلومات اطلعت عليها بوسائلها الخاصة عاد علينا بالنفع العميم •

---

كان ينهال في أثناء الاربع والعشرين ساعة من كل يوم الكثير من التقارير والطلبيات والمعلومات على فرقة العمليات من كل قارة وجزيرة في المحيط الهادي ومن بقاع لا تزال في أيدي حلفائنا ، وكان بعض هذه الرسائل يعطي معلومات وبعضها يبغي مؤنا ومعدات وبعضها يطلب معلومات وتوجيهات ، كما كان في بعضها كل ما هو سخيف وفي البعض الآخر كل ما هو مهم وفي البعض ما هو مسر وفي الآخر ماهو محزن ومكــدر • ولكن كلها تذكر أن الولايات المتحدة تخوض حربا عالمية يتوقف على نتيجتها مستقبل العالم ، وانها في بعض النواحي لا تزال تنشيء قواعد وفي بعض الجبهات تقاوم من أجل اكتساب الوقت ، وهي على كل حال لا تزال في دور الاستعداد لتقوم بهجوم معاكس في أربعة أقطار الارض • وفي السابع من شهر نيسان وردنا خبر مشئوم عن قرب سقوط آخر معقل لنا في باتان من جزر الفلبين •

وأول رسالة وصلت من هنالك تشير الى ان الغذاء أصبح في حالة يرثى لها • لم يكن في استطاعتنا أن نجيب على رسائل كهذه بما تحويه من عوامل الغم والكدر الا بالوعد بأنا سنبذل ما فوق جهدنا في سبيل تحسين الاوضاع عندهم • ولكن في هذه المرة ذكرنا أنه اذا استطاعت باتان الصمود فان بعض المدد واصل اليها ، وابرقنا بهذا الخصوص الى القائد يونثان وينريت بأن احدى الغواصات في طريقها اليهم وانها ستصل في بضعة أيام وعلى ظهرها بعض المؤن ، وطلبنا أن يوافينا بأخبار وصولها ، وأن يذكر لنا عما يجد معه

وعما هو مزمع أن يفعل • وأبرقنا أيضا الى الجنرال ماك ارثر طالبين اليه أن يخبرنا عن الخطط التي أعدها لمداومته ايصال المؤن الى مانيلا وعن موعد الوصول من استراليا لأنه سبق واتخذ مركز قيادته في سدني ، كما أبرقنا الى الجنرال جوزيف ستلول في بورما أن يحاول ارسال بعض الاطعمة جوا مما عنده من مؤن الى باتان •

في اليوم التالي وصلنا تقرير من الجنرال وينريت بأن اليابانيين قاموا بهجوم ثقيل على جبهة باتان وبأنهم يتقدمون في وسط مراكز دفاعنا ، وأضاف أنهم قذفوا المستشفى للمرة الثانية ، مع أنهم قدموا اعتذارا عن قذفهم اياه في المرة الاولى •

أبرقنا أيضا الى قواعدنا في استراليا وفي غيرها من جزر المحيط الهادي مبدين رأينا عن كيفية انشاء أجهزة الدفاع هنالك • وأصدرنا أوامرنا الى ايسلندا بأن يتسلم القائد بونستيل زمام القيادة هنالك حالما يصل ثلثا القوات المزمع أن تعسكر في الجزيرة • وأرسلنا برقية تهنئة الى الجنرال ونريت باسم الرئيس روزفلت لصمود قواته في وجه الهجوم الياباني العنيف • ثم وجهنا سؤالا الى الجنرال ماك ارثر عما اذا ادخل أحدا من الضباط الهولنديين في هيئة قيادته •

كنا اذا جلسنا لندرس الرسائل التي تصلنا والمعدات أو التعليمات التي سنرسلها نجد أنفسنا مضطرين الى أن نعقد مؤتمرات تتمثل فيها قوات الجيش المختلفة وأحيانا بعض موظفي الدولة ومدراء الصناعة طمعا في الاستنارة في المواضيع المختلفة التي كان علينا أن نأخذ فيها قرارا حازما • واعتدنا أن نعقد المؤتمرات في مكتبي ولكي لا يسقط أحد المواضيع من الدرس التجأنا الى جهاز ذاتي يبرز المواضيع كلا في دوره • ليس انه لم نسه بفضل هذا الجهاز عن درس أي موضوع فحسب بل لم نسه عن ارسال تعليمات أو اوامر لمن يعنيهم الامر •

وفي السابع من شهر نيسان عقد رؤساء الدوائر مؤتمرا كان علي أن أحضره عن فرقة العمليات الحربية ، فتناول المؤتمرون مواضيع معينة من قبل

كارسال طائرات الى جزر الهند الشرقية الهولندية ونوايا الالمان المبهمة لدينا عن غزوهم لسوريا والعراق وتركيا ، وهكذا وجدنا أنفسنا مخيرين كنا او مسيرين ، مرتبطين مباشرة او غير مباشرة بكل بقعة من بقاع العالم ، وأصبحت أسماء كثيرة كنا لا نراها الا حين ندرس الخارطة من قبل ، موضع درسنا واهتمامنا ٠

في شهر شباط سنة ١٩٤٢ وجدنا أنفسنا مهتمين وجها لوجه بناحية جديدة لم تخطر على بالنا من قبل وهي انتاج طائرات لانزال الجنود ٠ ولا يستعمل هذا النوع من الطائرات الا في حالات الهجوم ، ومن المحال أن تخطر على بالنا ونحن في حالة الدفاع والانكماش ، ومع أنه كان انتاج مثل هذه الطائرات من اختصاص البحرية ، فقد أعلمتنا بأنها لا تستطيع أن تجهزنا بالملاحين لها ، فتصدى الجنرال سمرفيل في الحال للمتكلم باسم البحرية قائلا انه هو نفسه سيتعهد القيام بالمهمة ، وكعادته قام بها بكل نجاح ٠٠ وبعد مضي عدة أشهر على الحادثة لما حاول أن ينقل المؤسسة الى البحرية اعترضنا على ذلك لأن من لا يستطيع أن يعد الملاحين لا يستحق أن يأخذ منه المدربين ٠

ما كان أعظم الفرق لو كانت سياستنا موحدة يديرها رأس واحد في ذلك الزمن – لو كان لنا ذلك لوفرنا على أنفسنا أوقات ثمينة وكثيرا من الجهد ، لأنه لما بدأنا نعقد مؤتمرات ونقوم بالزيارات لنعقد اتفاقياتنا المختصة بانتاج طائرات الانزال كنا نصطدم بالدوائر الحربية الاخرى التي عقدت اتفاقياتها لانتاج ما تصبو اليه٠ فاحترنا بأمرنا ، كيف السبيل الى انتاج هذه الطائرات دون أن نعرقل انتاج المواد واللوازم الاخرى ؟ والبحرية نفسها لم تبد اهتماما بانتاج طائرات لغايات الهجوم في المستقبل بينما كل مجهودها منصرف الى اصلاح وتقوية الاسطول بما يلزمه من سفن الحراسة والغواصات والمدمرات والدوارع ٠ ولكن ان لم نبدأ في البناء اليوم كيف نتمكن من القيام بالهجوم غدا ؟٠

حدث في أواخر ربيع سنة ١٩٤٢ ان الرئيس كيزون رئيس جمهورية الفيلبين ألف حكومة في المنفى بعد أن هرب في غواصة قبل أن تستسلم جزر

الفليبين • وبالطبع جعل طريقه الى الولايات المتحدة ، وبعد وصوله باسبوع قام بزيارتي في مكتبي واطلعني باسهاب على ما جرى في بلاده متناولا الاسلوب الذي استعمل في التعبئة وفي الدفاع وفي الهجوم حتى ساعة الاستسلام • وضمن حديثه اعترافه بالشكر لاميركا وتقديره لموقفها وان لم تستطع تقديم المساعدة الفعالة في الوقت المناسب • ولكنه أبدى ثقته بأن الاحوال ستتغير وان الفلبين ستتحرر •

لاشك في أن تاريخ العمليات الحربية في المحيط الهادي سيدون فيما بعد مطولا بطريقة تظهر الحقائق كما هي فتتمحص الامور وتنجلي المبهمات فيظهر عندئذ أين أخطأنا وأين أصبنا وماذا كان يجب أن نفعل لكي لا نصاب بما اصبناه ولكن هذا الموضوع ليس من شأننا ، وقد تناولته في هذه الموجزة لأن ما جرى في الشرق الاقصى كان له أثر فعال على الجبهة الاوروبية التي كانت علاقتي بها قوية ومباشرة •

ولابد لي من القول أنه مهما حاولنا فان امكانياتنا كانت أعجز من أن تصد اليابانيين وتنقذ جزر الفليبين من السقوط ولذلك فان باتان استسلمت في التاسع من نيسان كما استسلم معقل كوريدجيدور في السادس من أيار •

من الامور التي كانت دائما تشغل أذهان القيادة العليا حصول بعض قواتنا على خبرة في المعارك الفعلية قبل أن يحين الوقت لقذف كل جيوشنا في معركة حياة او موت • وان حلفاءنا كانوا يخوضون المعارك في قارتي افريقيا وآسيا ، فلا بأس اذن اذا اغتنمنا تلك الفرص واشتركنا في بعضها عوضا عن أن نكتفي بارسال مراقبين حربيين فقط •

وفي صباح أحد الايام استلمنا اقتراحا ظهر لنا أنه منطقي ومعقول ، فبدأت القيادة درسه • والاقتراح كان عبارة عن شحن احدى فرقنا المصفحة لتدعم الجيش البريطاني في صحراء مصر • ولما جرى البحث بيننا عن مصير تلك الفرقة اذا اضطرت الولايات المتحدة الى سحبهـا للاشتراك في جبهـة أخرى ارتئي أن تسحب الرجال وتبقى المعدات للجيش الانكليزي • فتمت الموافقة

على ذلك لانا كنا قد بدأنا بصنع نوع جديد من الدبابات أدخلت عليه عدة تحسينات فلا يحين وقت احتياجنا لتلك الفرقة حتى نكون قد أصبحنا قادرين على تجهيزها بالدبابات والاجهزة الحديثة ٠

ما ان دار البحث لاختيار تلك الفرقة حتى تذكرت أحد رفقائي القدماء وهو الجنرال جورج باتون ٠ وذلك لما يتحلى به من صفات القيادة وما هو عليه من خبرة في الدبابات ٠ ولما ذكرت اسمه عارضني أكثر من شخص في القيادة ٠ فأدركت أن اعتراضهم يتناول فقط فأفأته بالكلام وتصرفاته الغريبة أحيانا ، لكنهم لم ينظروا الى صفات القيادة الحقة فيه ٠ ولذلك لم أخف عليه من الخروج على التعاون مع حلفائه لما اتصف به من اخلاص وولاء في سبيل القضية المشتركة ٠ فهو قائد من قمة رأسه الى أخمص قدميه ٠ وقلبه أبدا في عمله لا تذهله مفاجئات ولا تفل من عزمه مصاعب ٠ فاني عرفته منذ الحرب الاولى ونشأت بيننا صداقة متينة ، واواصر مودة مخلصة ، وان كنا كثيرا ما نختلف في الرأي حتى يحتد النقاش بيننا ٠ ولكن الخلاف في العقيدة لم يتطور أبدا الى خلاف شخصي ٠

ولما وافق الرئيس على رأيي استدعيت باتون الى وشنطن وسألته عما اذا كان يوافق على التخلي عن قيادة تدريب الفرق الجديدة لتسلم قيادة فرقة تشترك في معركة فعلية ٠ ومع أنه كان متسلما قيادة فيلق في اميركا قبل أن يتسلم قيادة فرقة فقط ، غير أنه لم يشعر بأن ذلك يحط من قدره او رتبته كما أصابنا مع قائد آخر ٠ فوافق فعين للحال ٠

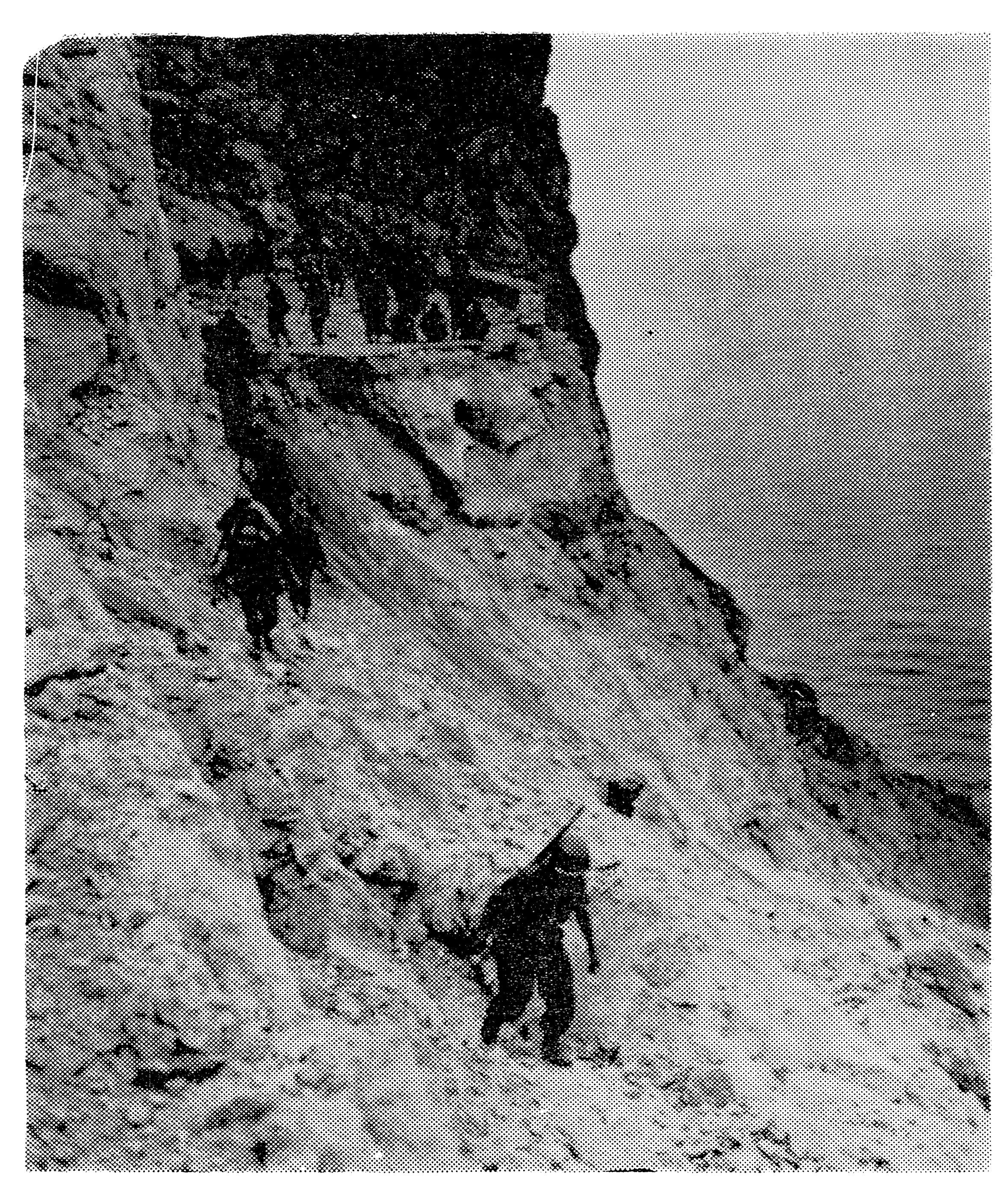
كاد مشروع استعمال فرقة باتون في صحراء مصر أن يفشل ، لا لشيء سوى قلة السفن ، وذلك لأن نقل فرقة مصفحة الى القاهرة يستلزم استعمال خمس وأربعين سفينة شحن بالاضافة الى سفن نقل الجنود ٠ فذهاب مثل هذا العدد الكبير من السفن من أميركا الى رأس الرجاء الصالح فالالتفاف حول شواطيء افريقيا الشرقية ثم الوصول الى القاهرة يقتضي وقتا طويلا لا يمكننا الاستغناء فيه عن السفن التي يجب أن تمون قواعد في نواح أخرى من العالم لا تقل حيوية عند البعض عن هذا المشروع الجديد ٠

أما أنا شخصيا فقد حصلت من هذه الحادثة على درس ثمين ومفيد لاني تحققت أن اختيار الاشخاص لمراكز حساسة يصادف معارضة لأسباب تقليدية لا فنية وسطحية لا جوهرية لان أكثر الخلق عبيد عرف وعادة أكثر مما هم أنصار تجدد واحداث أعمال مجدية ،وأيقنت أن قواد الوحدات يجب أن تختار من الضباط الذين يفضلون القيادة في ساحات المعارك لا من الذين يفضلون أن يبقوا في المؤخرة .

مع الزمن سارت الاعمال في فرقة العمليات في هدوء وانسجام ، مما أفسح أمامي المجال للتفكير والدرس . فاعتدت أنا ومساعدي في الدائرة أن نترك العمل بيد نفر من الضباط الشبان النشيطين يعملون تحت مراقبة واشراف الجنرالات هاندي وردجوي والزعيمين ويدميروهل وكروفورد الذين ترقوا جميعا أثناء الحرب لانهم قاموا بأعمال كبيرة تستحق كل تقدير ، اعتدنا أن ننفرد لنتباحث في الطرق المجدية لزيادة الانتاج وتعبئة القوى حتى نتمكن من القيام بقسط فعال في الحرب الى جانب حلفائنا .

من السهل اليوم على امرىء أن يجلس على كرسيه وراء مكتبه ويطلق أحكامه علينا ويعدد أخطاءنا وهفواتنا ، لكني لا أصدق أن في مقدور أحد أن يتصور ، مهما أوتي من قوة التحليل والتخيل ، أن يدرك مقدار الخوف والقلق الذي كنا نصاب به في تلك الايام كلما اتخذنا قرارا حازما في قضية كبرى ، لاننا كثيرا ما كنا نجد أنفسنا مضطرين أن نتخذ قرارا مابين وجهتي نظر مختلفتين دون أن يكون أمامنا متسع من الوقت لدرس أعمق او جمع معلومات اوسع .

من المعلوم أن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة من دول الحلفاء التي تستطيع أن تنتج كميات هائلة من مستلزمات الحرب وتهيئتها لحين الطلب لان قوى الجو البريطانية والبحرية كانت مجمدة لغاية واحدة وهي الدفاع عن الوطن الذي صمم الحلفاء على أن يحتفظوا به مهما كانت التضحيات كقاعدة للقيام بهجوم على الانحاء الاوروبية الشمالية الغربية . ولاشك أن مجهودات بريطانيا الحربية قد عبأت كل الرجال فيها ثم قامت بتجنيد عام للنساء حتى تتمكن من القيام بتعهداتها والاحتفاظ بمراكزها في الشرق

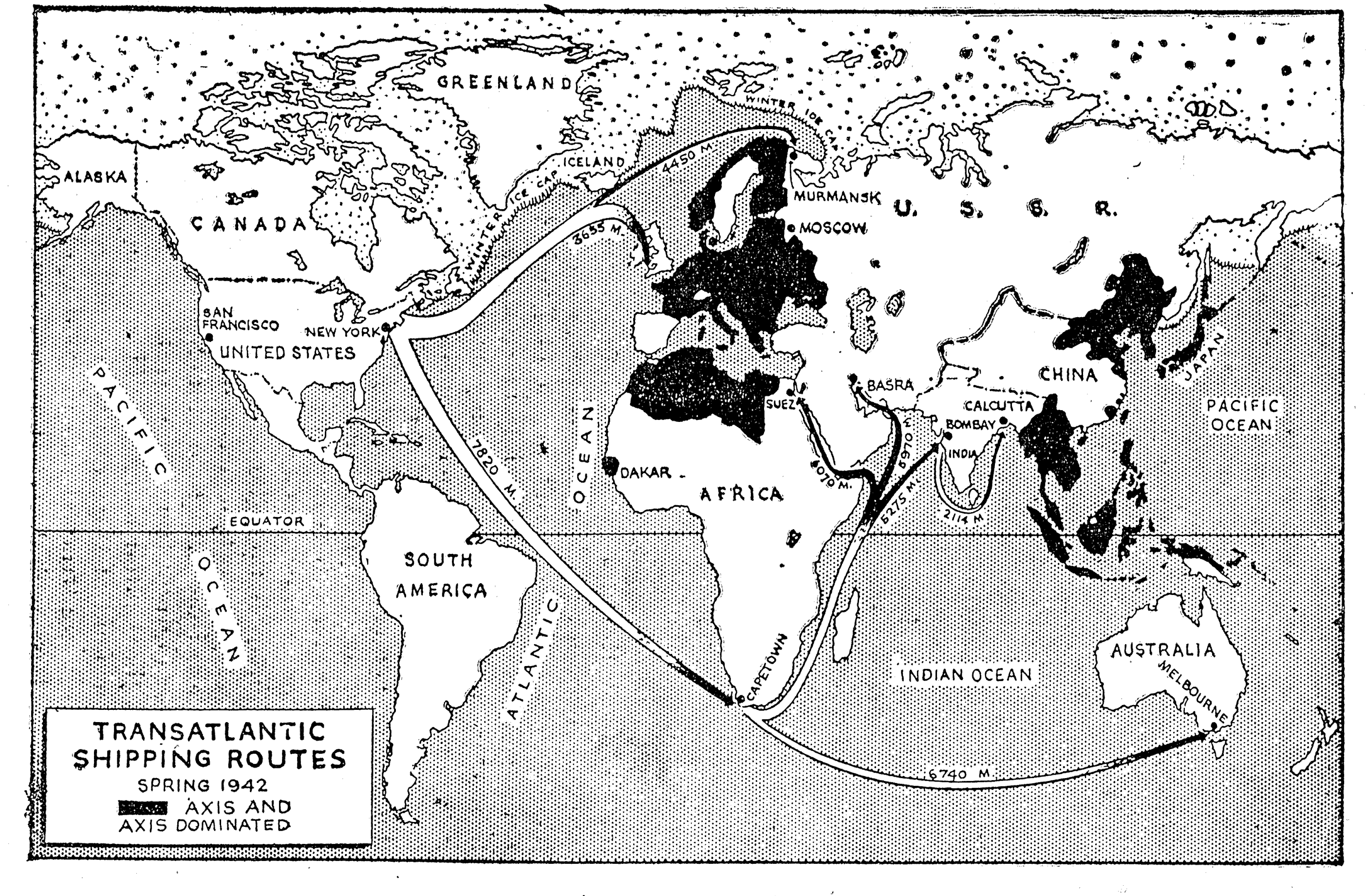


رجال المدفعية المشاة الاميريكيون يتقدمون في احدى المناطق الجبلية
في سيسيليا ( ايطاليا )

العربي وايران والهند . واما القوات الروسيــة الضخمة العدد فقــد كانت جميعها مشتبكة مع عدو يهدد كيان روسيا نفسها .

كان على وزارة الدفاع الاميركية أن تعين أولا الخط الذي يجب أن تبدأ قوات الولايات المتحدة العتيدة عملياتها منه ضد قوات المحور في اوروبا حتى اذا ما اتخذ القرار تتجه الجهود من كل ناحية على تحقيقه الى أن تجثو المانيا عــلى ركبتيها مستسلمة . واذا ما حدثت عمليات في جبهات أخرى تكون ثانوية في أهميتها بالنسبة الى القرار . فوجــد باجماع الآراء ان اشتراك الولايات المتحدة ضد المانيا فيروسيامستحيل ، وذلك لطول خط المواصلات وصعوبة الوصول الىالمرافيء التي لابد أن تكون أما على ضفاف المحيط المتجمد أو عن طريق الخليج الفارسي ، فهذه الخطوط الطويلة لاتستطيع أن تتحمل أكثر من نقل المعدات والمؤن الضرورية لدعم الجيش الروسي في كفاحه بعد أن أوشكت الصناعات الروسية أن تدمر جميعها .

ناقشت القيادة أيضا أمر الهجوم على اوروبا عن طريق النرويج أو عــن طريق اسبانيا والبرتغال ، كما ناقشت رأيا مؤداه عدم محاولة النزول في اوروبا والاعتماد على القوى الجويــة الهائلة لتحطم المانيــا وتجبرها على الاستسلام . كما نوقش أمر الهجوم عن طريق البحر المتوسط اذ ان مركز الانكليز لم يكن ضعيفا في الشرق الاوسط في ربيع عام ١٩٤٢ لان الجنرال اوكنلك كان يقف بجيشه على الاطراف الغربية للصحراء ينتظر وصول المدد من بريطانيا وأميركا حتى يقوم بهجوم آخر لطرد رومل من افريقيا كليا . ولكن ايصال المدد كان صعبا ان لم يكن مستحيلا عن طريق المتوسط الذي سدت الطائرات المحورية منافذ اوسطه وجعلت تدك مالطة بقنابلها من قواعد في صقلية ، فأصبح أيهجوم على ايطاليا مباشرة من بوغاز جبل طارقعرضة لاكبر الاخطار والفشل ، لأن كل قوة مهاجمة بدون حماية جوية مصيرها الى الفشل وليس من قواعد للحلفاء غربي المتوسط تستطيع حماية الهجوم . فلهذا صرف النظر عن هجوم على اوروبا عن طريق المتوسط ، لا سيما وان




طرق الشحن عبر الاطلسي
ربيع ١٩٤٢
البلاد التي يسيطر عليها المحور

العدو الحقيقي وهو المانيا لا ايطاليا كان صعب المراس ، فحدوث هجوم رئيسي على ايطاليا وسحقها لا ينهي الحرب • ثم أن هنالك سلسلة جبال تفصل ما بين ايطاليا والمانيا • واذا استسلمت ايطاليا يصبح اجتياز المنطقة الجبلية الى جنوبي المانيا باهظ التكاليف •

بعد مناقشة كل تلك الآراء انتهى الامر الى اتخـاذ انكلترا كقاعدة حتى يبدأ منها الهجوم الرئيسي على اوروبا ، لاسيما وان عقبات طبيعية تعرقل أي هجوم من الغرب قبل الوصول الى المانيا نفسها •• وهنالك سبب آخر رجح كفة اتخاذ بريطانيـا قاعدة رئيسية للهجوم وهـو أنهـا أقرب الامكنة عبر الاطلسي الى شواطيء أميركا الشرقيـة • وذلك يساعد على ايصال المعـدات بوقت قصير ، وارجـاع السفن مباشرة • ولأن لدى بريطانيا عـدة مرافيء تستطيع استقبـال أكبر عابرات المحيطات بسهولـة • واذا كانت المسافة البحرية قصيرة نسبيا يستطاع ايجاد سفن حراسة للقوافل تقضي على أو تطارد مجموعات الغواصات الالمانية التي تكمن في جوف البحار لتنقض على فرائسها كالذئاب المفترسة • ولما كانت بريطانيا بلدا لا يكفي نفسه بـل يعتمد على ما يستورده من الخارج • فلكي يبقى خط حياتها مؤمنا اقتضى الامر حراسة طرق تموينها ، فسفن حراسة تلك الخطوط يستفاد منها في ارسال الجيوش والمعدات الاميركية •

انتهى الامر بعد المناقشة وابداء وجهات النظر المختلفة في مؤتمرات عديدة الى أن تتخذ انكلترا قاعدة رئيسية يبدأ منها الهجوم على شمال غربي أوروبا لكن حتى بعد أن اتخذ القرار بموافقة جميع الفرقاء قام عدد ، بينهم نفر من القواد العسكريين ، يعترضون ، لا لشيء سوى التحصينات العظيمة التي أقامها العدو على شواطيء اوروبا الغربية والتي في استطاعتها أن ترد كـل هجوم • هذا بالاضافة الى وجود اعداد كبيرة من طائرات الالمان تستطيع الحاق الدمار بالقوى الغازية قبل الوصول الى الشاطيء • والغواصات التي تنقض على السفن وترسلها بمن فيها الى قاع البحار • والسفينة التي تنجو من خطر الجو والبحر من قال أنها لا تصطدم بالالغام المبثوثة في كل ناحية من شواطيء اوروبا فتنسفها نسفا بمن ومافيها • ومن أدرى من الالمان وأمهر

بمثل هذه الاعمال الجهنمية • اذن كل هجوم من هذا النوع ضد وسائل دفاعية من هذا الطراز انما هوضرب من الجنون ان لم يكن انتحارا عسكريا •

تلك الاقوال الوجيهة التي صدرت عن خبراء الجو والبحر والبر جعلتنا نقف حيارى • ان كان لابد من سحق المانيا فلابد من مهاجمتها ، وان كان لابد من مهاجمتها فطريق انكلترا هي الانسب • ولكن تلك التحصينات الالمانية على شواطيء الاطلسي والطائرات والمدرعات والغواصات والالغام كيف السبيل الى التقليل من خطرها ؟•

لابد لكل حالة صعبة من القيام بعمل اصعب ، ولصعاب الاحداث رجالها• ونحن أمام تلك المصاعب لم نعدم الرجال • فالجنرال مارشال رئيسنا الاعلى كان متفائلا كعادته وقال بأن غزو اوروبا ليس ممكنا فحسب بل ضروريا • ووافقه على ذلك القادة ماك نادني واسباتس قائد الطيران وهاندي وكروفوري ، والزعيمان هل و وود ماير • هؤلاء جميعهم لم يستطع قول ولا حجة أن يخرجهم عن تفاؤلهم بنجاح العملية اذا ما أعد لها بحكمة وبعد نظر •

دعانا الجنرال مارشال ، في أحد الايام يستوضح مطولا عما رسمنا من خطة ، وعما اعددنا للمفاجئات • وبعد أن قمنا بالشرح والتبسيط وتناولنا الموضوع من جميع نواحيه وأتينا بما تمكنا من براهين • قلنا بأنا نؤمن بأن في استطاعتنا اعداد قوة جوية ضخمة تعمل بالآلاف لا بالعشرات او المئات ، فعندئذ نتمكن من دك تحصينات العدو وتحطيم طائراته وتدمير خطوط مواصلاته •

وبعد أن اصغى الرئيس بكل انتباه الى شروحنا وأقوالنا قال : « أحسنتم اني موافق » وبعدئذ سأل الاميرال كنج والجنرال آرنولد فوافقا أيضا • ولم يبق الا أخذ موافقة الرئيس روزفلت ، بعد ذلك نقوم بعملية اقناع حلفائنا • ومن الواضح أن العملية تفسد من أساسها اذا لم توافق بريطانيا عليها والا فكيف نستطيع نحن كأميركيين أن نجعل من بلاد الانكليز قاعدة عسكرية لنا دون موافقتهم حكومة وشعبا ؟ وعليه فان الرئيس روزفلت أمر

الجنرال مارشال بأن يصطحب معه هاري هبكنز مساعد الرئيس الشخصي ويشخصا توا الى لندن ٠

لم يطلعني الجنرال مارشال على ما جرى له مطولا في لندن ، لكنني أعرف انــــه رجع بعد أن اتفقت حكومتا بريطانيا وأميركا على أن يكون الهجوم الرئيسي على اوروبا عبر القنال الانكليزي ، وقد تمت الموافقة بينهما في شهر نيسان من سنة ١٩٤٢ ٠

القد برهن التاريخ انه ليس من أمر في الحروب أصعب من وضــع خطة ستراتيجية واحدة والتعهد بتنفيذها دون سواها ، لأنه كثيرا ما تقوم أمام ذوي الشأن اما فرص لماعة تغريهم بتغيير ما قــد رسموا ، أو تواجههم صعوبة تفرض عليهم تبديل ما وضعوا ٠ وعلى هــذا فان خططنا لم تنجح منذ البدء من فرص اغراء أو مصاعب ٠ ولــكن رغم ما واجهنا من عقبات وسنح لنا من فرص أوشكت في بعض الاحيانأن تنسينا المبدأ الاول لننساق في طريق آخر ــ رغم كل ذلك فان الرئيس روزفلت والجنرال مارشــال ابيا أن يحيدا قيراطا واحدا عما رسم وهو أن يكون الهجوم العظيم الذي يقصد منه تحطيم الهتلرية في اوروبا ، عبر القنال الانكليزي ٠ وهـــذا ما حدث ، كما سيأتي ٠

# الفصل الرابع

## على اعتـــاب الغزو

بعد أن رجع الجنرال مارشال من مؤتمر لندن دعاني الى مكتبه وقال انه في أثناء زيارتـه للندن في شهر نيسان لم تسنح لـه الفرصة لأن يراقب النشاط الاميركي ، ومع ذلك فانه يرى ان الضباط الاميركيين المقيمين في لندن لم يطلعوا على الخطوط الكبرى لمشاكل أميركا واهداف وزارة الدفاع فيهـا . لا سيما وانه لم يخطر لهم على بال ان الجزر البريطانية سوف تصبح قاعدة لاضخم عمليات حربية في العصر الحديث . ولذلك طلب الي أن أقوم برحلة الى لندن واحاول أن أعالج المسألة بدراية ولا أعود الا وفي صحبتي تخطيط عام للتنظيم الـذي يجب أن تتبعه قواتنا في اوروبا . فرجوته عندئذ أن يسمح لي باصطحاب الجنرال ماك كلارك الذي كـان رئيس أركان حرب الجيش البري تحت قيادة الجنرال ماك نير ، وذلـك لاحساسي بأن ملاحظات كلارك بخصوص اتخاذ اراضي المملكة المتحـدة كساحة لتدريب جيوشنا قيمة جدا .

بدأت سفرتنا في النصف الثاني من شهر أيار ، واتبعنا الطريق الجوية الشمالية التي أنشأتها قيادة الجو الاميركية والتي أصبحت فيما بعد عاملا فعالا في انكسار قوات المحور . وقد قامت قيادة الجو لتأمين هذه الطريق مطارا في شمال شرقي الولايات المتحدة ، وآخر في الارض الجديدة ، وثالثا في غرينلند ، ورابعا في ايسلنده ، وخامسا في سكوتلندا . فمكنت هذه السلسلة من المطارات جميع طائراتنا ، حتى المقاتلة منها ، أن تذهب جوا الى اوروبا ، ولولا انشائها لصادفنا كثيرا من المصاعب في غزونا لاوروبا .

وحالما وصلنا انكلترا اجتمعنا بالجنرال جيمس تشاني الــذي يمثل الولايات المتحدة كمراقب حربي في بريطانيا • فوجــدنا أن لا هــو ولا مساعدوه تسنى لهم أن يتعرفوا على التغييرات الثورية التي أجرتها وزارة الحربية الاميركية ، ولهذا ليس باستطاعتهم أن يقوموا بأي خطوة ايجابية في سبيل خدمة الاغراض الحربية • فأصبح وكأنهم في دوار لايستطيعون الاندفاع مع مجرى الحوادث الا اذا رجعوا الى أميركا ولمسوا ما حدث فيها • وحتى ذلك الوقت سيطر النسيان عــلى ضباطنا في لندن ، لاننا في البدء انشغلنا في جبهة الباسفيكي ، فأصبحوا أعجز من أن يقوموا بأيــة خدمة عندما سلطت الانوار على الجبهة الاوروبية •

صرفنا عشرة أيام في المملكة المتحدة ثم عدنا ، فرفعت تقريرا الى القائــد العام ذكرت فيه ان الشخص الذي سيتسلم القيادة الاميركية في اوروبا يجب أن يكون مطلعا على اهداف حكومة الولايات المتحـــدة ، ومؤمنا بمقدرتها الانتاجية في السلاح الجوي والبري ، وبما تستطيع أن تقدمــه من رجال يحصون بالملايين • فسألني الجنرال مارشال عمن اقترح وفي الحال أجبته: الجنرال ماك نيرني ، وذلك لعلمي أن ماك نيرني قد خدم سابقا بضعة أشهر في لندن واطلع على نشاط الدائرة الحربية فيها ، وتعرف على القادة الانكليز الذين يشغلون المراكز الحساسة فيها • وزيادة على ذلك لأنه يتمتع بخبرة واسعة في سلاح الطيران ، ولان عمليات الولايات المتحدة الحربية في بريطانيا ستقتصر في المراحل الاولى على الغارات الجوية ، وقذف النقط الحساسة بالقنابل بصورة متزايدة لا هوادة فيها • وزيادة على ذلك فانه من المؤمنين بأن في مقدور قواتنا الجوية جعل غزو فرنسا ممكنا • فرفض القائد اقتراحي لأنه سبق وعينه نائبا في وزارة الحربية ، واذا ارسله لاوروبا فليس مــن السهل ايجاد بديل عنه ، وذلك لان وجود خبير بسلاح الطائرات الى جانبه يسهل عليه أمر ادماج وتعاون السلاح الجوي والبري في عمليات المستقبل •

رفعت ، في الثامن من شهر حزيران الى القائد العــام ، عريضة ضمنتها رأيي بأن يعمل على انشاء قيادة موحدة للقوات الاميركية في اوروبا تشرف على إسلحة البر والبحر والجو • وذكرت الاسباب التي دعتني الى ذلك •

ولما سلمته اياها رجوته أن يقرأها بامعان • فتفرس في مليا ثم قـــال : « سأقرأها بكل تأكيد ، فقد تكون أنت الشخص الذي سيعهد اليه بأمر تنفيذ ما جـاء فيها • وبناء عليه متى تستطيع أن تسافر ؟ » وبعد مضي ثلاثة أيام أخبرني الجنرال مارشال بأني عينت قائدا لجبهة اوروبا •

كثيرا ما حاولت بيني وبين نفسي أن أجد الاسباب التي جعلت الجنرال مارشال أن يتخذ تلك الخطوة السريعة الحازمة بتعييني قائدا لمسرح اوروبا، لأنه لـــم يلمح لي بشيء عن ذلك لا من قريب ولا من بعيد • واستنتجت ان التعيين كـــان مفاجأة لي وحـــدي ، أما هو فقـد عينني بعـــد درس وتفكير طويل •

لاشك ان نقل أي شخص من وظيفة في مكتب وتعيينه قائدا عاما في جبهة كبرى يسر خاطر كل جندي • لكن الشعور بثقل المسؤولية الواقعة على كتفي جعلني ان لا أبدي أي اغتباط ، لاسيما وان المهمة الجديدة استهلكت كل دقيقة من وقتي وكل امكانية في عقلي وجسدي • وحالما صدرت الاوامر المفاجئة لي طبعا قمت بجولات تحضيرية سريعة ، فسلمت أولا أمر فرقـة العمليات الحربية الى خلفي الجنرال هاندي •

رأيت قبل أن أغادر أميركا أن أجتمع الى بعض المسؤولين ، ومن حديث مع المستر ستيمسون وزير الحربية تراءى لي انـــه مقتنع بأن العمليات الحربية الاميركية ستبدأ سريعا في اوروبا • فعلقت على ذلك بقولي ان قبل الاشتراك بالحرب الفعلية يجب أن ينقضي وقت طويل للاستعداد والبناء • وبالطبع قمت بزيارة للرئيس روزفلت وكان المستر تشرشل رئيس الوزراء البريطاني يومئذ ضيفا في البيت الابيض • لكنه لم يجر بيننا الا حديث عام عادي ، ولكنهـــا كانت أول فرصة سنحت لي لان أكلم أيا من هاتـــين الشخصيتين الكبيرتين • وجاءت زيارتي على أثر سقوط طبرق في أيـدي رومل • وكانت هذه الحادثة قد جلبت الغم والكدر الى قلوب الحلفاء في كل مكان • ولكن الذي ادهشني اني لم أر علامات أي تشاؤم على محيا أي منهم • بل رأيت أن ذلك الفشل في الصحراء زادهم حماسا للتحول من الدفاع الى الهجوم حتى النصر الاخير •

قابلت أيضا الاميرال كنج ، ومن أول لحظة تأكدت صحة كل ما قيل عنه من أنه رجل حرب من الطراز الاول ، جريء وحازم ، ولا ابالغ اذا قلت أنه يبدو خشنا في بعض الاحيان حتى أن جميع مرؤوسيه يرتجفون منه • وفي أثناء الحديث شدد على النقطة بأن المهمة الخطيرة التي أسندت الي في بريطانيا يجب أن تبدأ بمحاولة مقصودة جريئة لتوحيد ودمج الاسلحة المختلفة الاميركية تحت أمر قائد واحد ليسهل أمر الحملة التي لا يعرف متى وكيف تنتهي • وأكد لي أنه سيبذل كل جهده لدعم صيرورتي قائدا عاما لأسلحة البر والبحر والجو • وأردف أنه لا يريد أن يسمع كلاما أحمق عن وجود قيادات ثلاث متعاونة ، بل يجب أن تكون سلطة واحدة ، ومسؤولية واحدة ، وطلب الي أن أتصل به شخصيا في أي وقت عندما أرى محاولة لعرقلة تحقيق دمج القوات الثلاث تحت امرتي من قبل أي قائد بحري •

كان لهذا الموضوع أهمية كبرى في نظري لأنه طالما جرى نزاع على السلطة في الماضي كلما جرت عمليات حربية مشتركة بين قوات البر والبحر • فكل فريق ادعى بأن السلطة يجب أن تكون له •

في أواخر حزيران من سنة ١٩٤٢ غادرت وشنطن مع الجنرال كلارك وبعض المعاونين • صعب علي هذه المرة فراق عائلتي لأني لا أعلم المدة التي تستغرقها هذه الرحلة الخطيرة • صرفت آخر يومين مع امرأتي وابني ، ثم رحلت •

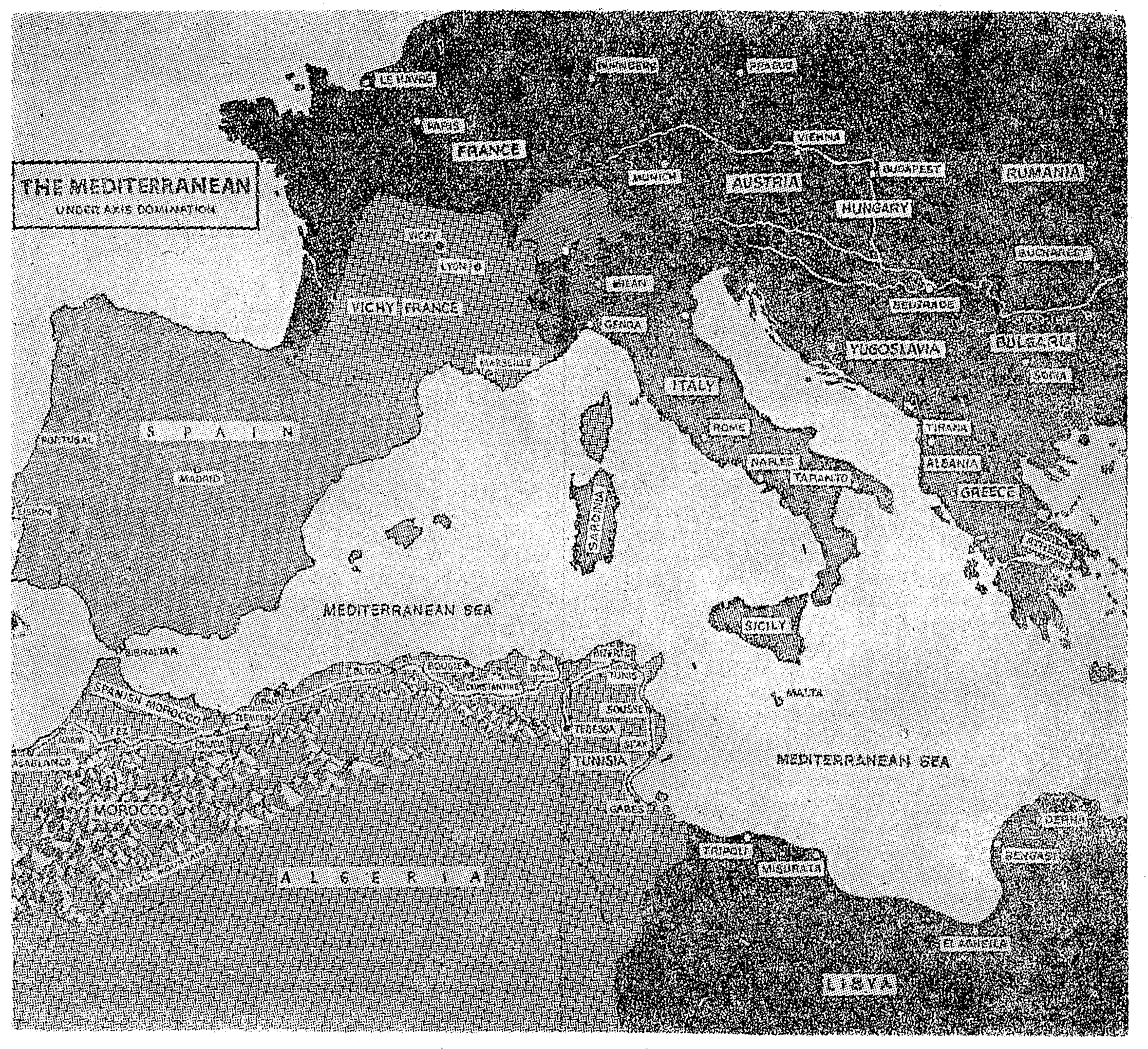
وصلنا انكلترا دون وقوع أي حادث ، واستلمت أمر القيادة في مسرح اوروبا توا • وكانت سلطتي تشمل جيش الولايات المتحدة في المملكة المتحدة وفي جزيرة ايسلندة • ولما كانت العادة في الحرب استحداث او صك أسماء جديدة للقوات العاملة ، استحدثنا لفظة اطلقناها على قيادتنا وهي « ايتوزا »

بعد أن استقر بي المقام في مركز قيادتي الجديد كانت أول خطوة اتخذتها هي انتخاب وتنظيم فريق يتعاون معي فيما أتيت من أجله • وقد وافق الجنرال مارشال على رجائي بتعييني القائد ولترسميث رئيسا لاركان حربي

فكان لي به نعم المساعد لما يتحلى به من صفات تؤهله للقيام بالاعمال الكبرى وذلك لصفاء ذهنه واحاطته بالامور ، وجـده وقدرته على العمل ، واخلاصه ، يمتاز برأي سديد كما يمتاز بخبرة بفن القيادة ، متين الشخصية ، حـذر بطبيعته ، وجوده يخلق الانسجام مما جعله شخصية يشار اليها بالبنان أينما حطت رحالها • وصل لندن في السابع من شهر ايلول ، ولم يطل به الوقت حتى أنشأ علاقات ودية مع الكثيرين من القواد دامت كل مدة الحرب ومابعد الحرب • كما اخترت غيره حتى أصبح الفريق شاملا متعاونا منسجما يؤدي وظيفته على أحسن ما يرام ، مما جعل مهمتنا أهون على مواجهة الامورالجسام ثم جعلت أبحث عن مكان أقيم فيه مركز قيادتي ، فاخترت بقعة تدعىساحة « كروسفينور » ،وفيما بعد أطلق عليهـا الجنود اسما المانيـا اذ دعوهـا « ايزنهاور بلاتس » أي ساحة ايزنهاور • لكن المكان سبب لي بعضالصعوبة ومنعني من التمتع بحياة هادئة •• وذلك لأن كرم الانكليز ورغبتهم فيالترفيه عني جعلهم يكررون الدعـوات علي مما كـاد أن يحرمني من التفرغ لعملي فكريا وجسديا • فاضطررت الى أن أنقل مقري الشخصي الى زاوية هادئـة في ضواحي لندن ، حيث سكنت مع مساعدي في البحرية ومع العقيد هاري بتشر ، وخادمي العريف ميكوك ، وجنديين مـن الزنوج يعتنيان بترتيب المنزل • ولم أقبل بعد شهر تموز وكل مدة الحرب أية دعوة الا اذا جاءتني من رئيس الوزراء او من أحد القواد الاميركان او الانكليز ، لان هدفهم على الغالب كان البحث في الشؤون التي تتعلق بالقضية الكبرى •

لم أرتب في البدء زيارات الى الجنود لان عدد وحداتهم كان لا يزال قليلا في المملكة المتحدة • وأول زيارة لهم قمت بها حدثت بمناسبة اول غارة على العدو قامت بها وحدة من سلاح الجو الاميركي في الرابع من شهر تموز سنة ١٩٤٢ اذ قصفت أربع مطارات المانية في هولندة • طارت يومئذ ست من طائرات بوسطن بقيادة الرئيس تشارلز كغلمان بصحبة سرب من الطائرات الانكليزية وتعرضت لمقاومة شديدة ، حتى أن طائرتين اخفقتا في الرجوع • ولأبرهن على أننا اشتركنا في الحرب فعليا في اوروبا صممت آن أقوم بزيارة شخصية للملاحين بعد أن رجعوا • فهنأتهم على ما قاموا به وعلى رجوعهم سالمـين •

حرص المستر تشرشل كل مدة الحرب أن يحتفظ باتصال مباشر بجميع العمليات كأنه عضو حقيقي من أعضاء القيادة الحربية ، حتى أني لا أتذكر أنه جرى لي بحث مع الانكليز بدون أن يساهم هو شخصيا في النقاش .. انه بالحق زعيم ملهم ، تمثلت فيه شجاعة وثبات الشعب البريطاني في نزاعه خير تمثيل . انه رجل مؤمن بقضيته ، فصيح اللسان ، قوي الحجة ، خصص ما وهبه الله من قوى لربح الحرب . ومن أجل ذلك رغب في أن يطلع على كل شاردة وواردة من النشاط الحربي . والذي أدهشني فيه تمسكه بوجهة نظره وثباته في الدفاع عنها ، في أكثر الاحيان كانت المشاكل تحل بسهولة لاتفاق وجهة النظر بشأنها ، ولكن أحيانا كان لابد من نشوب بعض اختلاف . وفي مثل تلك الحال يتحول مباشرة الى موقف خطابي ولو كان يناقش شخصا واحدا . فلم أنزعج مما يبدو منه لان ذلك شيء طبيعي فيه يندفع اليه مسيرا برغبة ملحة في نصر القضية . ويمتاز بقدرة فائقة على ادخال المزاح في الجد ، ويستعين بحكم القدماء ليدعم موقفه فأعجبت به وأحببته . ويظهر أنه أدرك ذلك ، وكثيرا ما حاول أن يستغل محبتي واعجابي ليستميلني الى ناحيته في الرأي . واذا عجز عن ذلك لم يصدر عنه شيء يشير الى أن علاقته الشخصية بي قد تطرق اليها أي برود ، مهما كان الخلاف شديدا بيني وبينه في الرأي . فقد رأيت فيه طالبا نشيطا يهوى الوقوف على فنون الحرب وتطوراتها وتاريخها ، ولم يخل البحث معه بشأنها من فائدة . واذا حدث أن أرغم على التسليم بوجهة نظر غيره لم ينفك – كلما استطاع الى ذلك سبيلا – من أن يجدد الكرة ليحقق ما يرتئيه . ولكن اذا ما بدأ العمل أظهر مقدرة فائقة في تناسي الخلاف وانصب بكليته لانجاز ما أتخذ من قرار كأنه هو صاحبه . ويدفع ببريطانيا الى أن تساهم بقسط أوفى مما وعد شفهيا او خطيا ، واكثر الساعات حراجة التي صادفتها في أثناء الحرب هي تلك التي وجدت نفسي فيها على خلاف في الرأي مع رئيس الوزراء . وذلك لاني كنت أتجنب أن أجرح احساساته ، بينما هو بدوره



المتوسط تحت احتلال المحور

كان يشعر بأني يجب أن اوافقه وان لم يكن من برهان على صحة فكرته الا اخلاصه ، اذ لم تكن لديه أية سلطة لفرض مشيئته علي وأنا أعمل ضمن حدود صلاحياتي كقائد عام ، سوى الاقناع ، ومع ذلك كان بامكانه أن يجعل مهمتي أصعب لولم يتحل بكل صفة من الصفات التي تجعل المرء كبيرا ٠٠ واني سوف أشعر دائما بما أولاني من فضل ولطف وكياسة وظرف وبما وجهه الي من مساندة ونصح ، بقطع النظر عما أظهره أحيانا من مقت وكراهية لما اتخذت من قرارات ، ولاشك في أنه زعيم في الحرب عظيم ٠

كنت أثناء وجودي في لندن اراقب بريطانيا تعبيء رجالها ونساءها للحرب وتعد المؤن والذخائر بأكثر ما عندها من جهد ، ترسل الفرق الى الجبهات وتهيء الوحدات التي ستشترك في عملية غزو اوروبا ، فأرى ان أمة تقوم بمثل هذه التضحيات جديرة بأن تعيش حرة ٠ وكثيرا ما اجتمعت الى قادة البر والبحر والجو الانكليز لنتباحث في شؤون الساعة وعما يجب أن نتخذ من خطط للمستقبل ٠ وفي كل مرة كنت أسأل فيها عن رأيي أصرح بأن الحملة التي ستقوم بعملية الغزو يجب أن تكون تحت قيادة رجل واحد ، سلطة كاملة غير مجزأة ، ومسؤولية مركزة غير منقوصة ٠ وطبعا كان يرد علينا كثير من الاخبار من سائر الجبهات ، منها ماهو مطمئن وسار ، ومنها ما هو مكدر ومحزن ٠ والشيء الوحيد الذي كنت أتمناه أن تزداد مساعدات الولايات المتحدة لروسيا حتى تستطيع الصمود الى أن تتكامل آلة الحرب الاميركية التي جعلت تنمو وتتزايد بسرعة ، وان تستطيع بريطانيا ان تصمد في الهند وتحول دون تقدم اليابان غربا ٠

ولا غروفان من أهم المواضيع التي بحثناها مرارا تعيين الوقت الذي يبدأ فيه الغزو ، اذ كان لابد من مرور زمن طويل قبل أن نستطيع القيام بعملية حاسمة ، ولأن التأخير ناتج عن الحاجة الى القوات والمعدات ٠ وبعد أن قلبنا المشكلة على جميع وجوهها ارتأينا أنا لا نتمكن من فعل شيء قبل نهاية سنة ١٩٤٣ ٠ ونظرا لان فصل الشتاء لا يوافق القيام بالعملية اتفقنا أن يؤجل الهجوم الى ربيع سنة ١٩٤٤ ٠

قصف صناعة المحور بالقنابل

الهدف الاولي

الهدف الثانوي

لكن روسيا كانت تلح بدون انقطاع على بريطانيا العظمى والولايات المتحدة بأن تقوما بهجوم سنة ١٩٤٢ • وكنا نتخوف من اننا اذا لم نفعل فسيؤدي ذلك الى نتائج خطيرة في الجبهة الروسية •

وكانت ذهنية الشعب في الولايات المتحدة وفي بريطانيا وفي كل البلاد الاوروبية الممثلة تتوقع نزول الكارثة ان لم نلعب دورا ايجابيا فعالا في المعركة •

أما نحن فكنا ندرك أن أية محاولة نقوم بها في سنة ١٩٤٢ لايمكن أن يكون لها أثر وقد يكون ضررها أكثر من فائدتها ، لانها قد تؤخر موعد القيام بالعملية الكبرى •

فأصدر الرئيس روزفلت أمره الى قواده أن يقوموا بعملية هجوم برية في اوروبا سنة ١٩٤٢ لا لتؤدي الى نتيجة فاصلة ولكن لاثبات وجودنا •

لما صممنا ان نلعب دورا نشيطا في الحرب في تلك السنة كان أمامنا ثلاث امكانيات : الامكانية الاولى هي أن نرسل العدد والعدد حول رأس الرجاء الصالح الى صحراء مصر الغربية لتقوية الجيش البريطاني حتى يتمكن من الهجوم على رومل وطرده من المسرح الافريقي •

والثانية هي القيام بغزو شمال غربي افريقيا والتوجه شرقا بينما يتوجه الجيش البريطاني غربا • فتطبق الكماشة الهائلة بفكيها من الشرق والغرب على رومل وجيشه وتسحقه سحقا •

أما الثالثة أن نهاجم رقعة صغيرة من شواطيء فرنسا ونعززها لتصبح رأس جسر لنا الى ان يحين الوقت للقيام بهجومنا الكبير • ودعوناها عملية المطرقة •

لم يكن أمامنا طريق رابع ، هذا ما توصلنا اليه بعد بحث ونقاش طويلين مضنيين ، وبدأ يومئذ للاميركيين شك في أن الذهنية الانكليزية لاتنظر بعين

العطف ، ولاتستطيع أن تهضم الخطة المتفق عليها من البدء وهي الهجوم على المانيا عبر القنال الانكليزي • لان القادة الانكليز ايقنوا بفشلها • هذا بينما نحن لـم نستطع ان نجادلهم ونقنعهم بـأن البقاء جامدين لبينما تبلغ استعداداتنا درجة الكمال أفضل • وكيف يمكن ان تقنع حليفك بأنه افضل لك وله ان تبقى ساكنا جاثما الى وقت طويل بينما هـو يخوض حربا ، لا هوادة فيهـا في جبهات عديدة • ولهذا وقفنا مشدوهين أمامهم وهـم يقترحون علينا الخطة تلو الخطة التي رأينا فيها جميعا محاولة جر رجلينا عن هدفنا • ولما كنت في بلاد الانكليز فقد سمحت لي الظروف أن أفهم وجهة نظر الانكليز من المستر تشرشل ومن الجنرال باجيت بخصوص الهجوم عبر القنال • وكونت لذلك في نفسي عذرا لهم • ولكن الجنرال مارشال أعلنها صريحة في المؤتمر الذي عقد يومئذ في لندن بأنه مهما كان القرار الـذي سيتخذ فلابد من أخذ وعد واضح صريح من البريطانيين بأن يجعلوا هدفهم الاكبر تسهيل عملية الهجوم المباشر من جزرهم على فرنسا عبر القنال ، لان في ذلك توفيرا للوقت وفعالية في سحق المانيا •

وبصفتي قائد عام للقوات الاميركية في بريطانيا وسائر الجبهة الاوروبية اصبحت هدفا لتلقي الآراء المتنوعة المختلفة بخصوص العملية الهجومية • ومما سمعت ورأيت اصبحت احبذ الامكانية الثالثة وهي القيام باحتلال رأس جسر في فرنسا والدفاع عنه بكل وسيلة ، وكما قلت للجنرال مارشال يومئذ أن العملية محفوفة بالخطر ، ولكني أفضـل القيام بها خوفا من أن اشتراكنا بجبهة أخرى قـد يشغلنا حتى نؤجل أو نلغي العملية المتفق عليها ، ولاشك في أن أي هجوم من قبلنا في المتوسط سيقضي على امكانية غزو الاراضي الفرنسية من الشمال في أواخر سنة ١٩٤٣ •

ان الحوادث التي نشأت فيما بعد اظهرت ان رأي الفئة التي قالت بعدم حكمة القيـام باحتلال رأس جسر في فرنسا كانت مصيبة ، وذلـك لأن مدى طائراتنا المقاتلة في سنة ١٩٤٢ كان أقصر من ان يمكننا من حمايـة القوات البرية ضد القوى الجوية الالمانيـة التي كانت لا تزال قويـة • والعملية على كل حال كانت ستكلفنا الخسائر الباهظة • والسبب الثاني

ان غزونا لشمالي افريقيا انكشف عن منافع عدة لامم الحلفاء وساعد على ربح الحرب ، لانه سهل أمر الغزوة الكبرى سنة ١٩٤٤ على اننا لو استطنا احتلال شربورغ في شمالي فرنسا وقسم من شبه الجزيرة القائمة عليهـــا لكانت فائدتها قليلة بالنسبة لنا • ولكنها على كل حال كانت مشروع فتح جبهة صغيرة في اوروبا يمكننا اتخاذها قاعدة عندما يحين الزحف العظيم •

وبعد الدرس ارتأت هيئة القيادة المتحدةللحلفاء ان دعم القوات البريطانية في شمالي افريقيا باهظ التكاليف • وعليه صممت في اواخر حزيران على غزو شمال غربي افريقيا الفرنسية •

لابد لي من القول انه عندما كانتتدور المباحثات والمناقشات بين القيادتين كان الهدف الرئيسي هو العمل على النصر ، ولم يحاول أحد الفريقين أن يعير شأن العنصرية القومية أي اهتمام •

في الرابع والعشرين من شهر حزيران من سنة ١٩٤٢ بالضبط اتخذت القيادة المتحدة قرارا رسميا للقيام بغزو شمال افريقيا الفرنسية من الغرب على أن يكون القائد العام للقوى الجويـة والبحريـة والبرية أميركيا • واطلق اســم « مشعل » على العملية • وفي اليــوم التالي وافق الرئيس روزفلت على ذلك • وارتئي ان تتخذ الحملة مظهرا اميركيا صرفا ، عـلى امل أن تكون منزلة الاميركيين لـدى الجيش الفرنسي في شمالي افريقيا محترمة حتى لا يقوموا الا بمقاولة صورية • وذلك لان مركز بريطانيا في فرنسا كـــان في الحضيض لمهاجمتها الاسطول الفرنسي في اوران ودكـر ولاعتدائها على سورية ولبنان •

وفي السادس والعشرين من شهر حزيران دعاني الجنرال مارشـــال الى مقابلته ، واخبرني اني الشخص الذي وقع عليه الاختيار ليكون قائد حملة الغزو الافريقي ، وطلب الي ان اكتم السر حتى تعلن هيئة القيادة المشتركة رسميا • وقد تأجل الاعلان الى شهر آب ••

# الفصل الخامس

## غزو شمالي افريقيا «خطة مشعل»

بعد التخطيط والدرس والتعديل والتحوير ثم التخطيط ثانية والنقاش واعادة النظر فيما قيل وما رسم تم الاتفاق على الخطوط الكبرى للهجوم والرتئي ان نحافظ على قدسيتها كأنها منزلة • وملخصها ان يكون الهجوم شاملا مثلث كزابلنكا وهران والجزائر • حتى يتمكن الجيش الاميركي من حماية مؤخرتنا في مراكش بينما يندفع الجيش الانكليزي من مدينة الجزائر شرقا لاحتلال تونس •

ابديت للجنرال مارشال رغبتي في تعيين جورج باتن قائدا للحملة على كزابلنكا ( الدار البيضاء ) • ثم أتى جورج لمقابلتي في لندن واستأذن ان يرجع لاميركا ليصفي بعض اشغاله قبل أن يتسلم قيادته • وما كاد يصل الى واشنطن حتى اتتني برقية بأنه ( أي باتن ) أثار مشكلة كبرى مع البحرية مما جعل القيادة العامة أن تصرف النظر عن تعيينه • فأدركت القصة في الحال لمعرفتي مزاجه بأنه لايفكر بنتيجة مايتفوه به من الفاظ ، فيورط نفسه في مشاكل لا يعنيها ، ولذلك احتججت على فكرة ابعاده وقلت اذا كان من عادته أن يسبب مشاكل في المؤتمرات فمن المناسب ارساله الى الجبهة على رأس جنوده ، ومن السهل على القيادة الاستعاضة عنه بشخص آخر • فانتهت المسألة عند هذا الحد •

كنت أعرف أن من عادة باتن أن يسر باثارة سامعيه ببعض أقواله الخيالية مما جعل الكثيرين من الناس الذين عاشروه أن يحكموا بأنه شخص خشن فظ ، ولو تغلغلوا في درس نفسيته لعرفوا ان داخل تلك القشرة الخشنة

نفسية صافية الذهن صادقة الحكم ، تؤهله لان يتولى عمليات معركة كبرى ، لانه يعرف كيف يربح اخلاص مرؤوسيه ويدرك بالبداهة ماقد يلتجيء اليه اخصامه من مناورات • ومن بدء حياته العسكرية كان يطمع في أن يتسلم قيادة موقع وخوض معركة • وهذه الرغبة جعلته أن ينكب على قراءة التاريخ العسكري ويطلع على سير القواد العظام •

اليك ماجرى لي معه لتدرك كنه جبلته وما انطوى عليه من قلب شفوق : اتاني في أحد الايام يطلب الي ان اصرف من الخدمة ثمانين ضابطا من مرؤوسيه بسبب تخاذلهم وجبنهم ، وألح علي بأن انفذ له طلبه • فوافقت بعد ان يرفع الي طلبا خطيا بذلك ، ويظهر انه بعد انصرافه من حضرتي ندم على ما قام به من اتهام لاولئك الضباط ، فجعل يؤجل رفع طلبه الخطي اسبوعا بعد اسبوع ، مختلقا العذر بعد العذر على تأخره ، وأخيرا أتاني كالحمل واعترف بأنه لايستطيع تحميل ضميره صرف احد ، ورجاني ان اصرف النظر أنا بدوري عن ملاحقة أحد منهم •

وضعنا الفيلق الثاني من جيش الولايات المتحدة تحت امرة الجنرال لويد فريدندال ليتولى تنفيذ احتلال وهران في اواسط الجبهة • وقد عرف عن هذا القائد انه مدرب موهوب ، ومنظم من الطراز الاول • أما الجيش الذي جعلنا مهمته مهاجمة الطرف الشرقي من الجبهة واحتلال مدينة الجزائر فكان مؤلفا من الجيش الانكليزي الاول ، ولنخلع عليه صبغة اميركية عينا الجنرال رايدر قائدا له • اشترك رايدر في الحرب العالمية الاولى ، وترقى في الصف سريعا الى رتبة زعيم وذلك لما ابداه من شجاعة واقدام في المعارك • واحترف الجندية وعرف عنه في سني ما بين الحربين بأنه من خيرة الضباط في الجيش الاميركي • أوكلنا اليه احتلال مدينة الجزائر وبعد ان يتم ذلك يحل محله في القيادة السير كنث اندرسون ، وهو القائد الفعلي للجيش البريطاني الاول •

الجنرال اندرسون سكوتلندي النشأة ، مقدام ، يتفانى في سبيل الواجب ، مستقيم وصريح الى درجة الفظاظة • وكثيرا ما سببت له هذه الصراحة متاعب مع زملائه الانكليز أكثر من متاعبه مع الاميركيين • وعيبه

الوحيد انه خجول لا يعرف كيف يقوم بدعاية لنفسه ، ولما كنت اعرفه جيدا احترمت فيه قلبه الكبير وشجاعته • ولا يستطيع أقسى المتحاملين عليه نقدا الا ان يقر بعظمة الدور الـذي لعبه حين كال لجيش الاعداء الضربـة المميتة في تونس •

منذ بدأنا في وضع خطة الهجوم عـلى افريقيا فكرت حكومتانا باشراك الجنرال ديغول ( المقيم في لندن يومئذ ) بالعملية • وقـد سبق ان بعض الوحدات الفرنسية ساهمت تحت قيادته في حملة دكر المشؤومة التـي تقهقرت من أمام تصميم الجيش الفرنسي على الدفاع • فاعتقدت الدوائر البريطانية المسؤولة أن الهجوم على دكر فشل لان الفرنسيين عرفوا بالهجوم قبل ن يقع عن طريق ديغول أو بعض أعوانه ، ولذلك اتفقت الحكومتان على ان يبقى أمر الغزو مكتوما عن ديغول وجماعته • هذا بالاضافة الى المعلومات التي استقيناها من ان وجود ديغول معنا سيثير القوات الفرنسية في شمالي افريقيا ويستفزها لمحاربتنا ومقاومتنا •

فكل المعلومات التي تواترت علينا أكدت أن الجيش الفرنسي ينظر الى ديغول بأنه خائن ،لانه عصى اوامر المارشال بيتان • فقضت علينا رغبتنا في ربح الجيش الفرنسي الى جانبنا أن نستبعد ديغول ونهمل أمره •

واذا اتينا لنتحرى سر كره الضباط الفرنسيين لديغول نرى انه عندما صدرت الاوامر للجيش الفرنسي سنة ١٩٤٠ بأن يلقي السلاح انصـاع جمهور القواد والجنود اليه • فالقوا سلاحهم الا ديغول ونفر قليـل من اتباعه ، فاذا كان ديغول قد عصى الامر ففي ذلـك العصيان اما خيانة أو صواب واقدام • واذا كان هو مصيب بالتحاقه بالحلفاء اذن فهم مخطئون واذا كان ديغول مقداما فهم جبناء ، والا فلماذا لا يحذون حذوه برفع رايـة العصيان على حكومتهم المؤتمرة بأمر الالمان ؟ ولمـا كان يصعب عليهم أن يحكموا على نفسهم بالخطأ والجبن فقد حكموا على ديغول بالخيانة •

كشفت المعلومات أيضا عن انه يوجد عدد كبير من الضباط والجنـود الفرنسيين تمزق قلوبهم مرارة الخذلان والركوع أمام المانيا • وان عزتهم

الفرنسية تدفعهم الى ان يقوموا بعمل ما يمحون به عن انفسهم عار الخذلان والهزيمة • فاذا قام الحلفاء بغزو مفاجيء وانكشفت عمليتهم عن استعداد وقوة فلابد أن ينضموا الينا بعد عملية دفاعية صورية • ولكي تنجح الحملة وجب أن يبقى أمرها سريا لا يطلع عليه الا اقل عدد ممكن من كبار الوزراء والقواد الاميركيين والانكليز فقط •

بعد أن صرفنا مدة ستة اسابيع في الاستعداد والتخطيط عرفنا أن المستر روبرت ميرفي كبير الدبلوماسيين الاميركيين في شمال افريقيا على وشك أن يقوم بزيارة سرية الى لندن ويكشف لنا عما خفي مما يجري هناك ، ويطلعنا على التيارات والاتجاهات عند الجيش الفرنسي وعند السكان العرب •

أقام المستر ميرفي زمنا طويلا في شمالي افريقيا قبل أن يدعوه الرئيس روزفلت الى الولايات المتحدة ويجعله موضع ثقته ويخبره عن النواياالحربية التي اعتمدها الحلفاء في تلك الناحية • فجعل همه وهم مساعديه منذ ذلك اليوم الاتصال بالرأي العام ليتلمس ما خفي ويطلع على مافي النوايا • وهدفه الرئيسي اكتشاف الاشخاص الذين يضمرون الحقد والعداوة للمحور ، ولكنهم لا يزالون في مراكزهم الادارية أو العسكرية من قبيل الواجب نحو فرنسا لا من قبيل الاقتناع والاخلاص • فتوفق بذلك بفضل ما يتحلى بـه من كياسة وذكاء ومقدرة على تكلم الفرنسية كأبنائها • ومما سهل مهمته أنه كمبشر استطاع أن يتجول ويتصل بمن شاء دون أن يثير أي شبهة •

احيطت زيارة المستر ميرفي لمركز قيادتي في لندن في خريف سنة ١٩٤٢ بكل تحفظ وسرية • جعل طريقه وهو راجع من واشنطن علي يرتدي بزة عسكرية برتبة زعيم ، واتخذ اسما مستعارا له •

استقبلته في الضواحي ، وبعد اقامته في ضيافتي مدة أربع وعشرين ساعة سار في طريقه راجعا الى واشنطن •

عرفنا منه أسماء الضباط الموالين هنالك للحلفاء ، والذين كانوا مستعدين أن يساعدونا ، كما عرفنا عن مزاج وميول رجـال الجيش خاصة وميول

السكان عامة • واخبرنا بالتحديد أن أكبر مقاومة سنواجهها ستكون في مراكش الفرنسية حيث يستقر الجنرال اوغستنوغس الذي يشغل مركز وزارة الخارجية للسلطان هناك • واطلعنا باسهاب على القوى العسكرية الفرنسية في افريقيا ، بما في ذلك المعدات والتدريب وامكنة المعسكرات وما يملكون من طائرات وسفن حربية • فعرفنا مما وصف انه اذا صمم الفرنسيون على مقاومتنا جديا ستنشأ بيننا وبينهم معركة دامية رهيبة • واذا ما صمموا على الانحياز الى جانبنا سريعا استطعنا أن نحتل أهدافنا بسرعة ، ومن ثم نندفع لاحتلال تونس ونهاجم رومل من المؤخرة • ختم المستر ميرفي حديثه قائلا أن الفرنسيين سيقفون بين بين ، اذ لا هم أصدقاء مخلصون ولا أعداء موتورون • فبرهنت الحوادث فيما بعد على أنه كان مصيبا في ظنه •

في نقطة واحدة برهنت الحوادث فيمابعد على أن معلومات المستر ميرفي كانت خاطئة وبعيدة عن الواقع كل البعد • ولكن لم يكن الذنب ذنبه بل ذنب من أخبره من القادة الفرنسيين في افريقيا بأن الجنرال جيرو يتمتع بسمعة عالية واسم طيب عند جميع الضباط والجنود ، فلو اصطحبناه في حملتنا لالتفت معظم القوى الفرنسية حوله وانضمت الينا • ولكن لما تكشفت الحوادث برهنت على عدم صحة ذلك القول •

اقترح علي المستر ميرفي أن أرسل أحد مساعدي من الضباط للاتصال باصدقائنا من القواد الفرنسيين في شمال افريقيا للاطلاع على نواياهم والاتفاق على ما يجب أن يفعل • وبالطبع يجب أن يحاط الامر بكل سرية ، فلو اكتشف مبعوثنا لأنزل السجن هو ومن يتصل به • وبعد أن تطوع للمهمة عدد من أركان حربي اخترت مساعدي الجنرال ماك كلارك وعددا من اعوانه ليتصل بالجنرال ماست وغيره •

تمت الرحلة بطيارة وغواصة ووصل الوفد سالما ، وجرى كل شيء حسب الخطة المرسومة • ولكن اخيرا حامت الشبهات حول المتعاونين معنا من

الفرنسيين ، ولو لم يلتجىء ماك كلارك ومساعدوه الى الاختفاء بركوبهم الغواصة ، لقبض عليهم • فنتج عن ذلك أن عددا من المزمعين أن يتعاونوا معنا اضطروا للهرب والتواري وعلى كل استفدنا كثيرا من هذه العملية لان الوفد عاد الينا بكثير من المعلومات •

عرفنا نحن الاميركيين من اجتماعنا بمستر ميرفي الكثير عن الفرنسيين مما كنا نجهله من قبل ، اذ شرح لنا مطولا عن اخلاق وميول كبار الضباط الذين كان عتيدا أن نقابلهم ، وشدد على النقطة بأن الحكومة الاميركية تتمتع بمركز ممتاز لدى الفرنسيين اذا ما قيست بما يضمرونه من كراهية ومقت لبريطانيا بعد أن حدث منها ما حدث •

اطلع رئيس الوزراء على هذه المعلومات واهتم للامر بأن تجري العملية بصبغة اميركية صرفة حتى يسهل أمر نجاحها • وذهب مرة الى أن الوحدات البريطانية التي سترافق الحملة يجب أن ترتدي بزات أميركية واشارات أميركية •

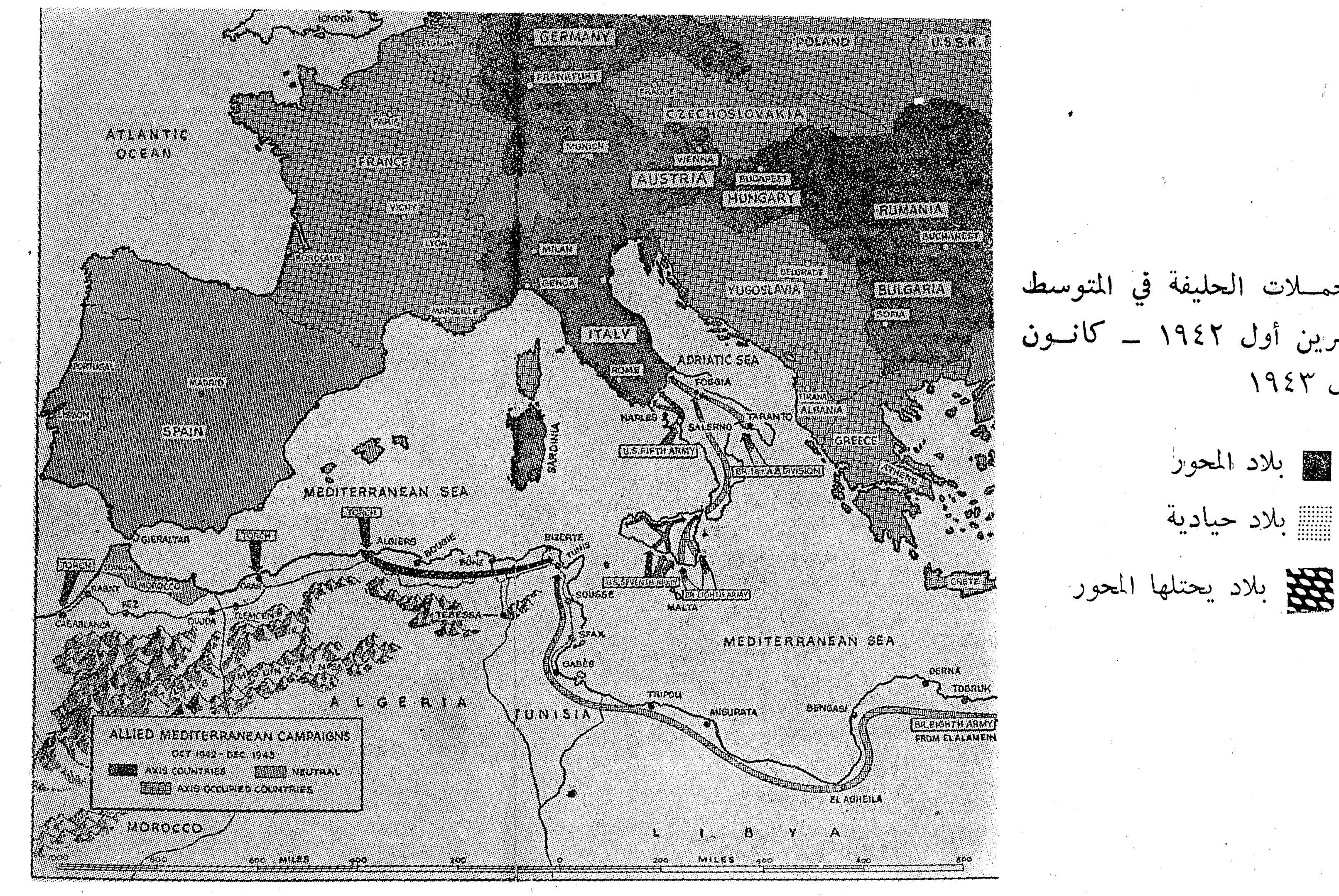
كنا اذا ما عقدنا اجتماعا للتباحث في المواضيع السياسية الناتجة عن الحملة يجتمع معنا المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية والمستر جون وينانت سفير الولايات المتحدة في بريطانيا ، فنتفق على القول بأن السياسة لا يمكن أن تنفصل مطلقا عن الجندية • وليست الحرب الا امتدادا لوجهة سياسية واسطتها القوة لا الكلام • وما غزو الحلفاء لافريقيا الا مخاطرة وهجوما من قبل القوات المسلحة لدخول ميدان السياسة الدولية ، لان غزونا لمنطقة محايدة له رد فعل سياسي عند الشعوب والدول • ولكن أمر رد الفعل لدى الآخرين كان سهلا في نظرنا اذا ما قورن بما كان يصارعنا من مشاكل يوميا • كنا نقامر في سبيل هدف عظيم ، ولكن المقامرة هي صفة ملازمة أبدا لكل حرب • ولكن أمرنا في هذه المقامرة كان أشبه بمن يضرب في سراب ، اذ كنا نجهل عدد السفن التي في حوزتنا عندما تبحر الحملة • ولا ندري اذا كانت قواتنا الجوية تستطيع حماية قوافلنا البحرية عندما تقترب من البر الافريقي •

قامت في وجهنا مجازفة أخرى عندما قدم أحدهم مشروعا بأن نقوم بارسال مظليين من انكلترا على طائرات النقل وانزالهم في مطارات وهران ، فماذا يكون مصير تلك الطائرات والمظليين التي اذا ما فوجئت وهي في رحلتها البالغة ألف ومئتي ميل من قبل قوات العدو • وأي مصير ينتظرها اذا ما صادفت مقاومة في المطارات التي تقصد اليها ؟ هذا عدا عن جهلنا لكيفية المطارات التي سينزل مظليونا فيها •

ان مواضيع مثل هذه وما يكتنف خططنا من مجازفات كانت أحيانا تجعل بعض الضباط ذوي الخبرة أن يضعوا أيديهم على وجوههم ويصرخوا « لا يقوم بمثل هذا المشروع الا من كان له دماغ أرنب» كما قدم آخرون رأيا بانتقاء قوة خفيفة ضاربة لاحتلال مرفأي الجزائر ووهران خوفا من التخريب واعاقة النزول •

لاشك في أنا أقمنا نظام تعاوننا على أساس جديد • ومنذ ما عرف عن تعييني قائدا لحملة افريقيا جعل عدد من اصدقائي القدماء يحذرني بأن فكرة اتحاد القوتين الانكليزية والاميركية في عملية واحدة خاطئة وغير عملية من أساسها ولن تصادف الا الفشل ، وان التاريخ تحدث كثيرا عما اصيبت به الجيوش الغازية اذا لم تكن من عنصر واحد وامة واحدة ، فهذه الحملة المركبة من عنصرين من المحال أن تعمل بانسجام ، ولهذا لابد من اصابتها بالفشل ، وان اللوم سيقع جميعه علي ، فيضحي بي وبسمعتي ولا يزال صدى تراشق التهم بين الانكليز والفرنسيين حينما فشلوا لاندماجهم تحت قيادة واحدة وانكسارهم في وجه الالمان سنة ١٩٤٠ يرن في آذان كل ذي سمع ولكن ماكنت أراه وألمسه كل يوم من روح التعاون والصداقة والايمان بالقضية المشتركة والاستعداد للتفاني من أجلها جعلني أن لا أفسح مجالا لكل رأي ووجه متشائم انهزامي •

في أوائل الخريف أعفت القيادة الانكليزية الاميرال رمزي من رئاسة العملية البحرية المشتركة وعينت مكانه السير اندرو كانتهام الذي تعرفت عليه لأول مرة • فاذا به من الطراز الجريء كنلسن يعتقد أن السفن لا تركب المياه الا من أجل غاية واحدة وهي اكتشاف سفن العدو وافنائها • لا يفكر




الحمـلات الحليفة في المتوسط
تشرين أول ١٩٤٢ ـ كانـون
أول ١٩٤٣

بلاد المحور

بلاد حيادية

بلاد يحتلها المحور

الا بالهجوم لا بالدفاع ٠ انه رجل قوي ، صعب المراس ، ذكي ومستقيم ، ومع كل صلابته يمتاز بشيء من الجاذبية مما جعل عارفيه من جميع الرتب سواء أكانوا أميركيين أم انكليز أن يحبوه ويحترموه ٠ وبالاختصار أنه كلب بحر حقيقي ٠ لن أنسى ما حييت جوابه عندما طلبت منه في خريف ١٩٤٣أن يرسل قسما من الاسطول الانكليزي حاملا فرقة جنوده الى مرفأ تورنتو الايطالي مهما أشيع يومئذ عن كثرة الالغام المبثوثة فيه ٠ فأجاب : « ياسيد ان اسطول جلالته هنا ليصدع لاوامرك ويذهب حيث تشاء » ٠

كان كلما اقترب يوم الغزو شمرنا عن سواعدنا في سبيل الاستعداد وقد اجرينا تدريباتنا للجنود والبحارة على شواطىء سكوتلنداالغربية حيث راحوا ينزلون الى البحر ثم يصعدون الشواطيء في بحر عاصف وجو قاتم ٠ في أحد الايام رافقني عدد من هيئة أركان حربي لنراقب عمليات التمرين ، فوجدنا أن الحالة غير مرضية ، لان النقص في التدريب والمهارة كان ظاهرا ، لاسيما في قسم القوارب ، ولكن ذلك لم يجعلنا ان نتأخر عن اليوم المعين لاعتقادنا أن ما حصل من أخطاء في أثناء التمارين سيتلافاه البحارة في العملية الحقيقية وذلك ما حدث ٠

في أثناء تلك الرحلة أخبرني أحد قواد الوحدات الاميركية انه استلم مؤخرا كمية من مدافع البزوكا ، وهي خير سلاح في أيدي جنود المشاة ضدالذبابات فرجعت في مخيلتي عندئذ الى الحالة في أميركا زمن السلم ، وقابلت بين ذلك وبين ما تجريه اليوم من نشاط في انتاج أحسن الاسلحة فعالية في كل ناحية ٠ وتذمر القائد الذي كان عليه أن يركب السفن مع فرقته في اليوم الثاني قبل أن يتسع له المجال أن يمرن جنوده على استعمال هذا السلاح الجديد ٠ وختم قائلا : « حتى أنا نفسي لاأعرف الا قليلاعن البزوكا وفعاليتها ضد الدبابات » ٠

لم يبق لي شيء أفعله في لندن ، فصممت أن أغادرها الى جبل طارق ، ولكي نخدع الصحفيين في سبب تغيبي عن لندن أشعت بأني ذاهب الى وشنطن ، وقد ساهم الرئيس روزفلت بتلك الاشاعة اذ أنه أخبر الكثيرين بأنه أرسل في طلبي ٠

وفي الخامس من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٢ ركبت وعـــددا من مرؤوسي خمس قلاع طائرة ووصلنا قلعة جبل طارق • فاستقبلنا حاكمها الجنرال ماسون مكفرلسن ، وأبدى الكثير من حسن الضيافة وأنزلنا في دار الحكومة • حدث أن الطائرات الاربع التي رافقتني وصل الخبر عن وصولها سالمة ، ولكن لم يكن اسم طائرتي بينها في لندن ، فساد جوها التشاؤم والقلق مدة بضع ساعات ، الى أن استفسرت القيادة هنالك عن جلية الامر ، فأخبرناهم بأني سالم ولم يسقط اسم طائرتي الا سهوا • وفي اليوم التالي كانت احدى قلاعنا متوجهة أيضا من لندن الى جبل طارق ، فتصدت لهـــا طائرتان المانيتان من طراز ماركة ٨٨ فجرح أحد الركاب لكن مدفعية القلعة استطاعت أن ترد الطائرتين •

بعد أن أخذت قسطا من الراحـــة دخلت دهاليز قلعـــة جبل طارق حيث صممت أن أجعل مركز قيادتي ، ووافاني عندئذ الاميرال كننهام الذي غادر لندن على متن طراد سريع ، وابتدأنا ندرس التقارير الواردة عن العمليـــة وعن حالة الطقس ، ثم جعلنا نراجع وننقح كل ما رتبناه واتفقنا على اجرائه مما يختص بالغزو وحالة العدو وما لدينا من استعدادات وما يعـد لنـــا المستقبل من مفاجآت •

# الفصل السادس

# غزو افريقيا

ان مركز القيادة الذي اتخذناه في جبل طارق كان مظلما مقفرا اذ لم نستطع أن نجد مكانا يؤوي لوازم المكتب الا في الممرات السفلى تحت الارض ٠ وكانت الظلمة تكتنف الدهاليز من هنا وهناك لا يقطعها الا بعض بصيص القناديل الكهربائية ٠ وزد على ذلك أن الدهاليز رطبة ، مضنية البرودة حتى أن المراوح الكهربائية لم تستطع أن تحرك الهواء فيها ، ناهيك عن السقوف ذات الاقواس التي أخذت نقط المياه تتساقط علينا منها في فترات متقاربة كأن أصواتها دقات ساعات مزعجة للتفكير ٠

اضطررنا أن نتخذ مقرنا هنالك لنبقى على مقربة من قواد القوى الثلاث التي ستشترك في الغزو على افريقيا اذ لم يكن للحلفاء في تشرين الثاني سنة ١٩٤٢ أي بقعة من الارض في كل منطقة اوروبا الغربية وفي النصف الغربي من البحر المتوسط سوى بقعة جبل طارق ، فهو حقا القلعة التي جعلت غزو شمال غربي افريقيا ممكنا ، لأن غزوا برمائيا في العصر الحديث يكاد أن يكون مستحيلا دون حماية جوية ٠ وفي أثناء المراحل الاولى للغزوة كان مطار جبل طارق الصغير مزدحما بصورة عجيبة ، حتى لم يوجد فيه قيراط الا وملأته أما سبتفير أو برميل زيت ، كان كله معرضا لطائرات استكشاف العدو ، لانا لم نستطع أن نجد طريقة واحدة نخفي حتى جزءا منها ، والذي هو أسوأ من ذلك أنه واقع على الحدود الاسبانية يفصله عنها فقط حقل ضيق مسيج بالاسلاك الشائكة،ولا يخفى أن سياسة اسبانيا كانت يومذاك ميالة للمحور،

ولم نستبعد كلما التفتنا نحو الارض الاسبانيــة أن نرى عملاء المحــور ينظرون الينا • وكنا نتوقع في كل لحظة أن تمطرنا قاذفات الاعداء بقنابلها ، واذا ما أوينا للفراش فكرنا في الاسباب التي منعت الالمان عن مهاجمتنا • فلم نجد أسبابا لذلك سوى أننا استطعنا ان نخفي خططنا بنجاح ، والا فلماذا يقعد العدو عن الهجوم وقد انكشفت قوافل سفننا له وهي تزدحم عند البوغاز ؟ والجواب على ذلك انه لا شــك ظن بأننا نقوم بمحاولة جريئة لايصال المدد الى مالطة المعزولة عن المدد والمؤن •

مع أننا كنا تحت خطر هجوم العدو في ذلك الجو المقتم كانت روح المرح مسيطرة على كل واحد منا ، لاننا شعرنا بعد الانتظار والاستعداد ان ساعة الصفر قد اقتربت للعمل الذي نذرنا نفوسنا له •

نعم كان التوتر موجودا ، شعرنا بــه ونحن جلوس أو مشاة • ومن الطبيعي أن نكون في حالة توتر وبيننا وبـين القدر بضع ساعات ، ونحن نوشك أن نقوم بأول عملية هجومية ، اذ قبل الآن لــم يكن في استطاعة الحلفاء الا اتخاذ موقف الدفــاع لولا بعض الاندفاعات التي قـــام بها البريطانيون في الصحراء • وهناك كانت المعركة كرا وفرا بــين العلمين والبردية ، وحتى في الدفاع لم نثبت فتقهقرنا من دنكرك وباتان وهونغكنغ وسينغابور وطبرق •

في تلك الساعات التي تجولنا فيها بين قوافل جبل طارق كنا نشاهد مئات من سفن الحلفــاء بعضها مسرع والبعض الآخر متماهــل ، جميعهــا تندفع من شمال الاطلسي الى نقطة معينة على شواطيء أفريقيا الشماليــة الغربية • ولكي تستطيع مهاجمة الجزائر ووهران وجب عليها أن تخترق بوغاز جبل طارق وجوانبها معرضة لأفواه المدافع التي قد تلفظ في أيـــة لحظة نيرانها لصالح النازيين ، بينما كانت سفن أخـرى آتية من أميركا متجهة نحو الدار البيضاء وغيرها من المرافيء القريبة منها عـلى شواطيء الاطلسي •

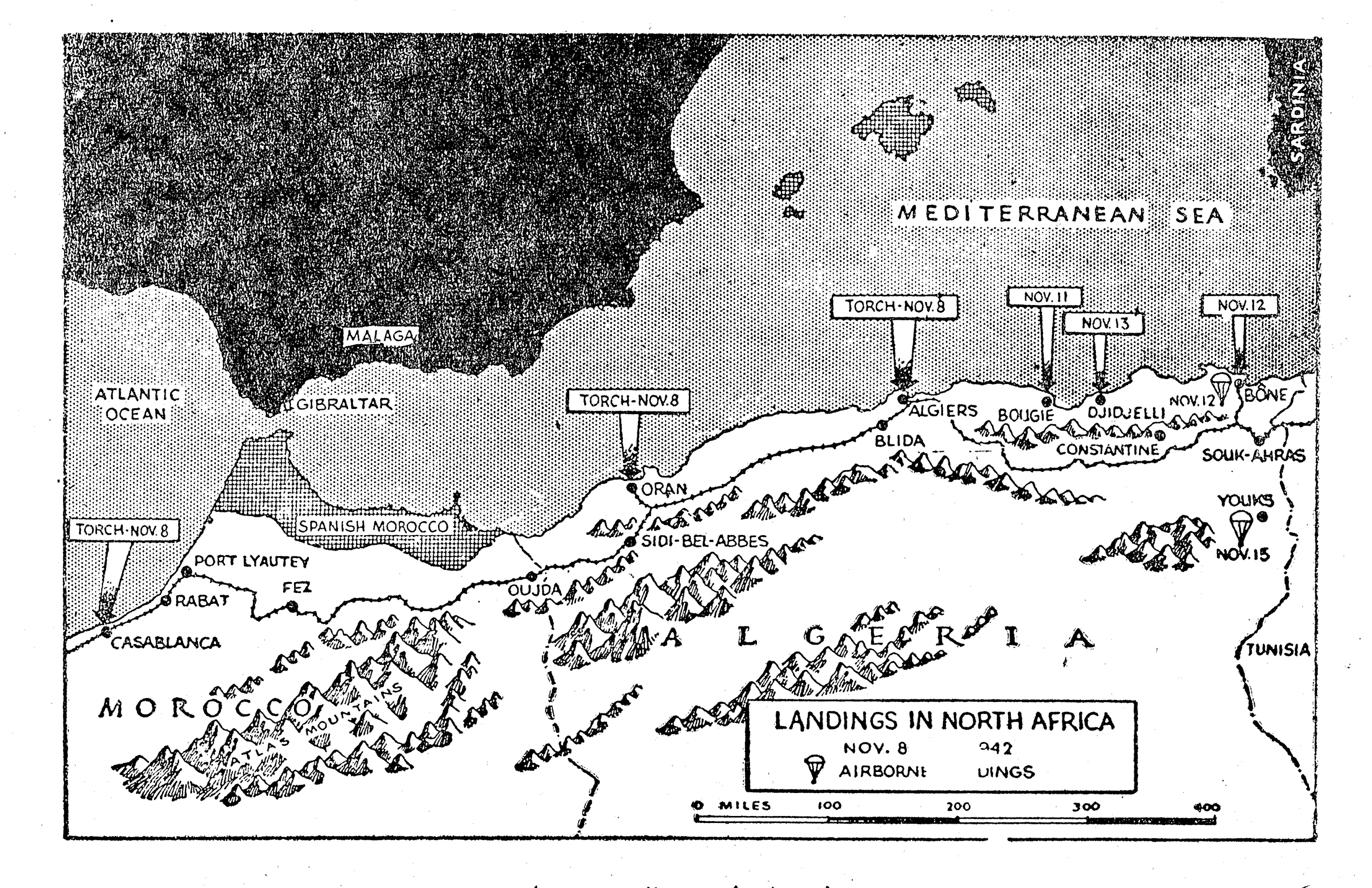
لا يخفى ان هــذه الحملات الثلاث كانت تخوض بحارا تكمن فيهـــا غواصات الاعداء • وبعد ان تقطع البوغاز شـرقا في المتوسط تصبح تحت

خطر القاذفات جوا زيادة على خطر الغواصات • والشيء الذي أثار فينا بعض الخوف ان الوقت لم يتسع لتمرين كاف لمثل هذه العملية ، هذا بالاضافة الى أنا لم نستطع الحصول على سفن كافية لنقل جميع الجنود والمعدات التي تقربنا من النجاح المضمون • لذلك استولى التوتر علينا •

لم يستول علينا الضجر ونحن في دهاليز جبل طارق قبل أن نباشر الهجوم ، لأن انشغالنا بوضع الخطط والتفكر في عما سيصادف حملتنا من مصاعب استغرق أكثر أوقاتنا • وبعد انتظار ثلاثة أيام بدأت السفن تمخر بالبوغاز ليلا • فوقفنا على الارصفة نراقبها • وعندما تقدمت في المتوسط لم تصلنا منها اشارة عن وجود أي خطر صادر لا من الغواصات ولا من القاذفات ، فوجدنا أن يكون العدو قد احتفظ بطائراته وغواصاته حتى ينقض علينا ويدمر أساطيلنا عندما نقترب من مالطة •

كانت الخطة الموضوعة للهجوم على الدار البيضاء انه اذا وصلت السفن في بحر عاصف فلابد لها من البقاء في البحر تدور على نفسها الى أن يصفو الجو ويهدأ البحر • وأنا في جبل طارق خطرت لي فكرة وهي ان هذه السفن اذا ما بقيت في البحر فقد ينفد وقودها ، وقد تتعرض لخطر الغواصات الجاثمة في تلك الانحاء • فحدثتني نفسي أن آمرها بأن تأتي الى جبل طارق ، ومتى تحسنت الاحوال نرسلها الى الدار البيضاء • والذي زادني قلقا ان ربان احدى غواصاتنا في اليوم الذي سبق عملية الانزال أبرق يخبرني أن البحر شديد الهيجان • وكم شعرت بارتياح عندما جاءتني برقية أخرى في صباح اليوم التالي بأن الطقس قد أخذ يميل الى الاعتدال وان العاصفة قد بدأت تطوي جناحيها للسكون • وبعد لحظات عرفت ان عملية الانزال قد بدأت بنجاح • فجثوت على ركبتي اشكر الله الذي بدد مخاوفي ووضع حدا لقلقي •

لابد من القول انا صادفنا ونحن في جبل طارق صعوبة لم نحسب حسابا لها من قبل ، وهي الاتصالات اللاسلكية لأنه في المراحل الاولى لم يكن لدى مركز القيادة من وسائل الاتصال الا بواسطة الراديو • ولكن يظهر أن احتشاد السفن وكثرة الازدحام قد شوشا الجو وجعلا




النزول في شمال افريقيا
من ٨ـ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٢

التفاهم بيننا وبين سائر القطع مشوشا مبهما • فكان على القواد والربانية أن يتصرفوا أحيانا حسب ما تمليه عليهم ظروفهم ، لاحسب أوامر صريحة ، مما جعلني اتشوق لمغادرة جبل طارق ونقل قيادتي الى البر الافريقي بأسرع ما يمكن •

كان أول تقرير وصلنا عن الالتحام بالعدو مخيبا للآمال ، وذلك لان السفينة توماس ستون المتجهة الى الجزائر قد أصيبت بطوربيد وهي على مسافة مئة وخمسين ميلا من هدفها ، وذلك في السابع من شهر تشرين الثاني • ولم تزد التفاصيل على ذلك • ومع ان حسن الحظ قد رافقنا الى درجة عجيبة حتى ذلك التاريخ فاننا لم نستطع أن نملك أعصابنا عن القلق والشعور بالغم ، لاسيما وان السفينة تحمل عددا كبيرا من جنود المشاة ، فقلقنا على مصيرهم • لكن التفاصيل التي وصلت فيما بعد كانت مطمئنة ، لان السفينة لم تتعرض للغرق ، بل للعطب فقط • فبقيت عائمة • والذي أنعشنا هو ان الحادثة لم تفت في عضد الجنود ، لانهم لم يشاءوا أن تقطر سفينتهم بل أرادوا أن يركبوا القوارب ليصلوا الى المكان المعين لهم في الوقت المحدد • ولكن هيجان البحر حال دون تحقيق امنيتهم ، فاضطروا الى أن يركبوا سفن الحراسة ويتأخروا نحوا من عشرين ساعة عن الموعد • ولحسن الحظ ان غيابهم لم يؤثر على الخطة •

وفي نفس ذلك اليوم أي ٧ تشرين ثاني حصلت لي مقابلة مكدرة جدا وغريبة في بابها لم يحدث لي ما يماثلها في كل مدة الحرب • ورواية ذلك كما يلي :

بناء على ما اعتقده الحلفاء في لندن أن الجنرال جيرو يستطيع ان يحمل الجيش الفرنسي في شمالي افريقيا على أن ينحاز الى جانبنا ، فقد قام المستر ميرفي تبعا لتوصياتنا ، بمحاولة لانقاذ الجنرال من سجنه في ناحية من جنوبي فرنسا • ونجحت المهمة بفضل أصدقائنا من الفرنسيين ، فهرب الجنرال ليلا الى الشاطيء حيث كانت تنتظره احدى الغواصات الانكليزية بقيادة الكابتن ريت العامل في البحرية الاميركية • فحملته الى مكان معين حيث التقطته احدى سفننا الطائرة وحملته مع ثلاثة من معاونيه الى مقر قيادتي •



بعض الجنود الاميركيون يدفعون سياراتهم الغارقة في الطين في الجبهة الايطالية

وأول ماوقعت عيني عليه رأيت فيه جنديا كاملا ، مع انه كان يرتدي اللباس المدني • يبلغ طوله ست أقدام ، منتصب القامة ، جسور ، تظهر عليه علامات الخشونة ، لم تقلل من هيبته الاوساخ التي تلطخ ثيابه ، ولا ما مر عليه من تجارب مريرة في أثناء الحرب وما عاناه من سجن ، رغم كل ذلك بقي محتفظا بوقاره لا تفل له عزيمة •

ظهر لي منذ البدء انه اساء فهم الغاية التي أخرجناه لاجلها من فرنسا • فتوهم أنه سيتسلم القيادة العامة لجيش الحلفاء الذي سيهاجم افريقيا • وقال بكل صراحة انه غير مستعد ، بعد ماتجشمه من متاعب وعرض نفسه لأخطار ، ان يقبل أي مركز دون ذلك • فلم أستطع أن أقبل خدماته بهذا الشرط • وأعلمته ان القصد من الاستعانة به هو ان نرسله الى افريقيا ليتسلم هنالك امرة الفرنسيين الذين يرغبون في أن ينضموا تحت لوائه ويقاتلوا الى جانبنا • واطلعته على أنه لولا خوفنا من الاصطدام معالفرنسيين الذين نحسبهم أصدقاء لما استعنا به ، لأن عدونا الحقيقي هو ألمانيا ، العدو الذي أذل فرنسا ولايزال جاثما على صدرها ، فما اخلق به أنيساعدنا لنسهل أمر انتصارنا على العدو المشترك • فأجاب بجرأة ان لا شرفه الشخصي ولا شرف فرنسا يسمحان له بقبول أقل من القيادة العامة •

كان ذلك مستحيلا لأن تعيين القائد العام تم بعد مباحثات ومشاورات من قبل حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا ولا يمكن نقضه بقرار أي شخص بمفرده • وأفهمته ان احدا من الضباط والجنود غير مستعد أن يتلقى أوامر منه ،لا سيما وانه لايوجد فرنسي واحد في حملتنا ، بل بالعكس فانا بحالة خوف من عداوة الفرنسيين ، فكيف يمكن أن نسلم القيادة لفرنسي •

وبعد الجهد والشروح الكثيرة رأيت علامات الخيبة على وجهه • وبعد مدة سمعته يقول انه يرفض أن يقوم بأي قسط من المشروع •

« الجنرال جيرو لايستطيع أن يقبل بمركز ثانوي في هـــذه القيادة ، لان مواطنيه لايريدون منه أن يلطخ شرفه العسكري » • كان موقفه يثير الشفقة لانه قد ترك عائلته رهينة في يد الالمان ، وهو نفسه تجشم المتاعب لكي يتعاون معنا ، ولكن ليس بالصورة التي ارتأيناها •

كان مستشاراي السياسيان في الحملة المستر فريمان مانيوس من وزارة الخارجية الاميركية ، والمستر وليم ماك من وزارة الخارجية الانكليزية ، فاهتما للامر واقترحا علي تسميته قائدا عاما بالاسم على ان أحتفظ لنفسي بالقيادة الفعلية • لأنهما شعرا بأن اسم جيرو على رأس الحملة قــد ينقذ الموقف ويحوله من كارثة الى نجاح مبين • فلم أستطع أن أقبل بمثل هذا الاقتراح وتمسكت برأيي مصرحا بأنه ان لــم يقبل الجنرال جيرو بتسلم قيادة القوى الفرنسية فقط في أفريقيا الشمالية التي قد تنحاز الى جانبنا ضد الالمان فانا سنسير بحملتنا حسب الخطة كأنه لم تحدث مقابلة بيننا وبينه • دامت المباحثات الى ما بعد منتصف الليل بيننا وبينه ومــع اني استطعت فهم فرنسيته جيدا ، الا اني حرصت على حضور ترجمان قدير كي لايسيء فهمي • وبعد ساعة من المناقشة في الموضوع استنفذنا كل ما عندي وعنده من حجج ، ولكي نتلافى ملل التكرار والرجوع الى قول الشيء نفسه استعنا بوسطاء وعلى رأسهم الجنرال ماك كلارك ، ولكن دون جدوى • ولما وقف ليذهب الى فراشه لم يظهر عليه أنه مستعد لأن يتنازل عن شيء من صلابته • فودعني قائلا : « سيتخذ الجنرال جيرو موقف المشاهد مــن العملية » • على انه استدرك بأنه مستعد أنيقابلني في دارالحكومة صباحا•

قبل أن أختم عملي تلك الليلة أرسلت تقريرا مفصلا عن المقابلة مـــع الجنرال جيرو الى هيئة القيادة العامة • فاستلمت الجواب بأنها توافق على كل خطوة اتخذتها ، وتأسف عــلى انني اضعت الكثير من وقتي في سبيل قضية تافهة • وكم كنت سعيداً لأنني لم أستطع أن أقرأ حوادث المستقبل وأتبين ماكان مقدرا لي أن أصرفه في مقابلات ومباحثات بعضها مجد وبعضها تافه ، مما ليس لـــه علاقة مباشرة بعملية الغزو ، والا لأشفقت عـــلى نفسي مسبقا •

لحسن الحظ استطاع الليل أن يغير موقف الجنرال جيرو ، لانه أخبرني صباحا أنه مستعد لان يقبل بوجهة نظرنا • فسررت بذلك ووعدته اذا ما نجح في ما انتدبناه اليه ، بأني سأعمل على تعيينه حاكما اداريا وعسكريا للمنطقة كلها حتى يحين الموعد الذي يستطيع فيه السكان هنالك أن يقرروا مصيرهم بأنفسهم •

تبين فيما بعد من الاحاديث التي جرت بين الجنرل وبيني بأنا على خلاف في الحملة من أساسها ، لأنه حاول أن يقنعني بأن الهجوم على افريقيا لن يقصر مدى الحرب • لانه بعيد عن اصابة المانيا بمقتل • فالاوفق اذا أن ندير ظهورنا اليها ونتجه لغزو جنوبي فرنسا • ولكني أخبرته أن الجنود كانت آنذاك تقوم بعملية نزول في الامكنة المعينة لها ، وانا لا نستطيع الاخذ بوجهة نظره لاننا لا نملك التغطية الجوية لمثل تلك العملية ، وان ما نمتلكه من السفن لا يستطيع أن يقوم بحمل الرجال والمعدات الكافية للوقوف في وجه هجوم الماني ساحق • وبينت له أن الخطة التي نقوم بها حاليا قد اتفق عليها المسؤولون في كل من أميركا وبريطانيا ، ولا نملك حق تغييرها • لكنه لم يستطع أن يدرك أهمية شمالي افريقيا كقاعدة نفتقر اليها في بناء قوتنا واستعدادنا لما يلي من عمليات حاسمة في مهاجمة اوربا من الجنوب •

يظهر أن المدة التي قضاها الجنرال جيرو اسيرا في المانيا ثم سجينا في فرنسا جعلته أن لا يواصل الاطلاع على الفن الحربي الذي أملته ظروف الحرب التي نشترك فيها • ولهذا لم يدرك أهمية العمليات الجوية وفعاليتها في حماية السفن البحرية ، كأن ما أصاب الدارعتين الانكليزيتين برنس أوف ويلس وربالس في مياه سينغابور لم يكن برهانا كافيا لفعالية الطائرات التي لها قواعد برية مضمونة • ولذلك ظن أن باستطاعتنا غزو جنوبي فرنسا بدون قواعد ثابتة لطائراتنا ، حتى ترد الاذى عن سفننا • ثم أنه قدر قواتنا بأضعاف ماهي عليه • فخال أن باستطاعتنا انزال نصف مليون جندي في فرنسا • ولكني اطلعته على حقيقة الامر بأن قوتنا محدودة جدا ، وما غزونا لشمالي افريقيا الا عمل يكاد يكون فوق طاقتنا •

بدأت التقارير ترد الى مقري منذ ليل الثاني من تشرين الثاني عن

عمليات النزول • وفي الصباح عرفنا أن احتلال الجزائر جرى حسب الخطة المرسومة اذ لم نصادف أية مقاومة تذكر ، وذلك بفضل ما قام به المستر ميرفي من اتصالات مع الجنرال ماست ومع الجنرال جوان اللذين سهلا الامر علينا • ولكن عقلنا الباطن كان حينذاك منشغلا بالتفكير عن وجوب الاندفاع شرقا لاحتلال تونس ، ولا تزال أمامي رقعة ورق كتبت عليها بقلم رصاص ان الزحف نحو الشرق يتأخر موعده • أما في وهران فقد استطاعت قواتنا الوصول الى البر • ولكنها صادفت مقاومة شديدة ، لاسيما من البحرية الفرنسية • وفرقنا الاولى التي لما يتم تمرينها وتدريبها بعد اشتركت بكل جرأة في المعركة ، واستطاعت بمعونة الفرقة المصفحة الاولى أن تصيب العدو بضربات شديدة مما جعل الفرنسيين أن يفاوضونا في اليوم التالي بأمر وقف القتال • وفي العاشر من الشهر توقف اطلاق النار ، والتقى الجنرال فريدندال بالجنرال تري من قبلي لوضع شروط الاتفاقية •

وبدأ القتال أيضا في الجبهة الغربية قرب الدار البيضاء ، لاسيما في مرفأ ليوتي • والذي جعل مهمة جنودنا صعبة هو أن البحر الذي هدأ يوما ليشجعنا على النزول رجع وغضب وهاج حتى جعل دعم جيشنا بالرجال والمعدات صعبا • ثم انقطعت الاخبار من هناك ، والاتصالات اللاسلكية كانت مشوشة مبهمة لم يستطع أحد أن يفك رموزها • فحاولت أن أتصل بالجنرال باتون بواسطة الطائرات الخفيفة ، ولكن العدو أسقطها • فطلبت عندئذ من الاميرال كاننهام أن يعيرني سفينة سريعة للقيام بالغرض ، ولحسن الحظ وجدت عنده في مياه جبل طارق سفينة من أسرع ما عرفت ، فاخترت الاميرال بيري الاميركي ليذهب على ظهرها ويطلعنا على ما يجري هنالك •

ثم أنه في التاسع من الشهر ذهب الجنرال كلارك والجنرال جيرو جوا الى الجزائر في محاولة لاجراء اتفاقية مع المسؤولين الفرنسيين ليتوقف القتال وينضم الجيش الفرنسي الى قواتنا ضد الالمان •

ان ما صادفه الجنرال ال جيرو من مقـــابلة باردة من قبل الفرنسيين في افريقيا كان ضربة هائلة لما شيدناه من آمال ، لأنهم تجاهلوه كليا . ولما حاول أن يتصل بهم عن طريق الاذاعة ويخبرهم بأنه عين قائدا أعلى للقوات الفرنسية في شمالي افريقيا ، ودعاهم بناء على الصلاحيات المعطاة لـه الى أن يتوقفوا عن مقاومة الحلفاء والانضمام اليهم ، لم يسمع له أحـــد . قد يكون ذلك لسببين ، الاول ان جهاز الاذاعة لم يكن صالحا ، والثاني ان الاميرالدارلان كان في الجزائر نفسها.ولكن لم يخامرنا شك في انه جاء للاطلاعه على خبر غزوتنا لأن كل الدلائل كانت تشير الى انها جاءت مفاجئة للجميع ، لم تكن على بال أحد الا النفر القليل الذين تأكدنا من اخلاصهم واطلعناهم على نوايانا . فمجيء دارلان الى الجزائر اذن كـــان صدفـــة ليعود ابنـــه المريض هنالك .

بوجود دارلان في قبضتنا نكون قد قبضنا على رئيس القوات الفرنسية جميعها لكن المشكلة التي واجهتنا في ذلـك كانت ماذا نفعل به . الجواب بسيط ، وضعه في السجن ، ولكن كيف نوجه اليه معاملة سيئة وفي مقدوره أن يعطي الاوامر الضرورية للاسطول الفرنسي في مرفأ طولون وفي ذكر بأن ينضم الينا فتزول من أمامنا عقبة من الخطر الذي يهددنا في البحر المتوسط. وكنت قبل ان أغادر انكلترا قد سمعت المستر تشرشل يقول : « لو تسنى لي أن التقي بدارلان ، مع شدة كرهي له ، لزحفت مسرورا على يدي ورجلي مسافة ميل أملا بأن أتمكن من كسب اسطوله الى صفوف الحلفاء » . ولكن وجود دارلان في أيدينا فتح أمامنا فرصة جديـــدة ، لأن ذهنية الضباط الفرنسيين متشبعة بوجوب التصرف على أساس شرعي . وكثيرا ما قالوا ان قبولهم وقف القتال اطاعة لأمر ذوي المركز الشرعي ، فاذا تلقوا الآن أمراً من رئيسهم الشرعي دارلان بوقف القتال كان ذلك مبررا لانضمامهم الينا .

لم يقم الجنرال ماك كلارك ببحث مع أي قائـــد فرنسي الا ورفض أن ينضم الينا مع جنوده ان لم يتلق أوامر شرعية من المراكز المعنية بالامر ، لأنهم جميعا قد حلفوا يمين الولاء والاخلاص للمارشال بيتان ذلـك الاسم الذي نزل منهم في شمالي افريقيا منزلة القداسة .. ولم يشعر أحـد منهم

بأنه في حل من تلك اليمين الا اذا أمره الاميرال دارلان قائدهم الشرعي الذي يمثل بيتان ٠

لم يجد يومئذ ولا فيما بعد حديثنا مع أي فرنسي سواء أكان عسكريا أو مدنيا ، وذلك بسبب قوة تأثير شخصية المارشال عليه ، فكانت صورته تظهر لنا في كل مسكن وفي الابنية العامة وهو في مواقف مختلفة كخطيب وكقائد ، ولذلك أبرق الي الجنرال ماك كلارك من افريقيا بأنه لا سبيل الى مصالحة الفرنسيين الا بواسطة دارلان ٠ وقد وافق الجنرال جيرو على الرأي ٠ وكان كلارك حريصا على الاتصال بي دائما ليطلعني على تطورات الحالة هناك ٠ فعرفت انه يصطدم بعقبات كأداء في محاولته اقناع الفرنسيين بوقف قتال جنودنا ٠ وبينما كنت غارقا في اشغالي اذ بي أستلم رسالة من رئيس أركان حربي الذي تأخر موقتا في لندن يقول فيها : بما ان عملية المشعل تسير بنجاح فقد ورد اقتراح من المقامات العليا بالتوقف عن حشد القوى في شمالي أفريقيا لكي يتسنى لنا التحضير للهجوم الرئيسي ٠ كنت قد تعودت على ميل بعض المسؤولين البعيدين عن الجبهة الى التفاؤل بأي نجاح صغير نحرزه ، ولكن عند استلامي تلك الرسالة استولى علي الغضب وأرسلت في الحال هذا الجواب الذي اقتطف منه ما يلي :

« اني أعارض بشدة أي اجراء تتخذونه بهذا الخصوص ، لأن الحالة لم تتبلور ، بل على العكس ، فالفرنسيون لا يزالون يقاوموننا ويضعون العراقيل في طريقنا ٠ والشعب لايتخذنا كأصدقاء ، وحالة المواصلات سيئة ٠ وان لم يرسل الينا المدد بغزارة نصبح بحالة يرثى لها ٠ وكان يجب أن تتحدثوا عن الطرق التي تسرع في الانتاج والسبل التي تقوينا بدلا من أن تتحدثوا عن اجراء نقص بالمدد ، حتى نتمكن من تطهير افريقيا الشمالية ٠ يجب أن نضع الخطط لعمليات المستقبل ٠ ولكن لنسر في الترتيب لنتمم العملية بعد الاخرى ، لنتجنب التشويش والاضطراب ٠ فاننا خسرنا عددا من السفن في الثلاثة الايام الاخيرة ٠ وليس عندنا شيء من الطائرات في الاحتياط حتى يمكننا تغطية قوافلنا ٠ وزيادة على ذلك فان خطر قيام الالمان بهجوم عن طريق اسبانيا لم يتلاش ٠ واعلموا ان الخوف لم يتسلل الى مخيلتي حتى

بت أخاف من الإشباح وأستنجد من الذئب • ولكني أقول اذا كانت بدايتنا حسنة فيجب أن تقوونا كي نندفع الى الامام حتى لاتصاب البداية الصالحة بما يدمرها ويقضي عليها » •

في الثاني عشر من تشرين الثاني أبرق الجنرال كلارك بأن دارلان هـو الفرنسي الوحيد الذي يستطيع أن يشكل تعاونا معنا في شمالي افريقيا • فتحققت أن القضية يجب أن تعالج محليا ، لأنه اذا رجعنا لوشنطن ولندن دهمنا الوقت فتهرق الدماء الكثيرة كل يوم عبثا ، حتى قد تتمكن العداوة بين جنودنا وجنود الفرنسيين ويصعب أن نجمع بينهم فيما بعد • والمبرر هو ان الاوامر التي لدينا من حكومتينا تقضي بأن نتعاون مع أية حكومة فرنسية نجدها في افريقيا • وزيادة على ذلك أن القضية هي عسكرية بحتة ، واذا مانتج احتكاك سياسي فقد يؤدي الى ضحايا فيجب أن تقع المسؤولية على القائد المسؤول عن الجبهة • ولذلك اتخذت حلها على عاتقي ، ولو أدى ذلك الى صرفي من الخدمة • لأن الامر يدعو الى السرعة والفصل ، لنتمكن من ايجاد امكانية للتعاون بيننا وبين الفرنسيين •

عرفت جيدا أن التعاون مع أي سياسي فيشي يخلق اشمئزازاً ورد فعل سيء في كل من انكلترا واميركا لدى كل من لا يدرك ويلات الحرب • لذلك صممت على ان اقصر تدخلي على الناحية العسكرية المحلية فقط ، دون النظر الى المفاهيم السياسية • فاصطحبت الاميرال كننهام معي ،وطرت الى الجزائر في الثالث عشر ، وحالما وصلت عقدت مؤتمرا مـع الجنرال كلارك والمستر ميرفي قنصل أميركا العام في تلك الناحية • وتلك كانت أول مرة شاهدت ميرفي فيها بعد زيارته لي في لندن •

اطلعاني على كل مجاري الامور • وتفصيل ذلك ان دارلان أرسل أوامره الى كل القواد الفرنسيين بأن يوقفوا القتال في ١٠ تشرين الثاني ، وان بيتان في فيشي تبرأ منه ومما أعلن وصرفه من الخدمة • فحاول دارلان عندئذ أن يلغي أمره السابق ، لكن كلارك لم يسمح لـــه • ثانيا وصلت الاخبار الى الجزائر بأن الالمان بدأوا في اجتياح جنوبي فرنسا ، وبناء عليه صرح دارلان بأن الالمان قد خرقوا معاهدة سنة ١٩٤٠ ولذلك أصبح مستعدا لأن يتعاون

بكل حرية مع الاميركيين · وفي نفس الوقت كان الجنرال جيرو الذي صدم حينما اكتشف أن الفرنسيين غير مستعدين أن يتبعوه قد اقتنع تماما بأن دارلان هو الموظف الوحيد في المنطقة الذي يستطيع قيادة افريقيا الشمالية الى جانب الحلفاء · وعندما دخل الالمان جنوبي فرنسا ذهب الى دارلان وقدم نفسه للتعاون معه · واخبرني أيضا بأن القتال في كزبلانكا قـــد توقف تمشيا مع أوامر دارلان ،وانهقد توقف في بعض الامكنة قبلاستلام اوامره · والمزعج في القضية ان الضباط الفرنسيين الذين تعاونوا معنا قبل اصدار أوامـــر دارلان بما فيهـــم الجنرال بيتوارت والجنرال ماست قـــد اصبحوا مكروهين ·

بعد أن صرحا بما ذكرت قال المستر ميرفي : « ان القضية كلها قدأصبحت عسكرية ، وأنت المسؤول عن معالجتها وحلها » ·

عندئذ أخذنا ندرس المشكلة من جميـــع نواحيها ، وكان علي أن اواجه الموقف بصراحة · فرأيت أمامي حلين متعاكسين · الاول هو ان اعقد هدنة فأوفر الوقت والنفوس ، وأنشيء اتفاقية مع الفرنسيين على أساس التعاون معا · والثاني ان التجيء الى القوة فأقبض عـــلى دارلان واودعه السجن ، فينتج عن ذلك مواصلة القتال وتراكم الحقد · لأن الفرنسيين لا يزالون رسميا أمة محايدة · وان لم تعلن حكومتانا الحرب عليهم رسميا فلا يحق لنا أن نقيم لأنفسنا في شمالي افريقيا حكومة تأتمر بأمرنا ضد الحكومة الشرعية القائمة ، كما يفعل النازيون ·

أخيرا تمت الترتيبات لعقد معاهدة بيننا وبين الفرنسيين مؤداها أن على الفرنسيين أن يتعاونوا مع جيش الحلفاء ، ويضعوا بين يدي قائده الاعلى كل ما يسهل مهمته في احتلال الامكنة التي يراها توافق عملياته العسكرية ، بما في ذلك المرافيء والخطوط الحديدية ، والمطارات والمواصلات البرية ، والى آخر ما هنالك مما يحتاجه جيش في حالة حرب ، عـــلى شرط أنلا يتدخـــل الحلفاء في شؤون البلاد ، بل يتركوا ذلك الى الاميرال دارلان الحاكم المدني والعسكري في المنطقة · ولا يقوموا بأي عمل يتأتى عنه اقلاق الحكموالادارة

الفرنسيين في شمالي افريقيا ، بل أن يفعلوا بالعكس ، فيتعاونوا معهم لحفظ الامن • وبذلك وفرنا على حكومتنا التعهد بأي ارتباط سياسي ، وهو الذي سمح لنا باحتلال البلاد حتى يتسنى لنا طرد الالمان من تلك القارة • وقد وافق دارلان أيضا على أن يضع صديقنا الجنرال جيرو على رأس قيادة القوات العسكرية الفرنسية هنالك •

المشكلة الثانية التي واجهتنا بعد الاتفاق مع الفرنسيين هي أن السكان العرب هنالك يعطفون على النظام الفيشي الذي قضى على كل نفوذ لليهود في تلك المنطقة • واذا ما ثار العرب ضدنا بايعاز من الالمان فان الامر يصبح كارثة علينا ، اذ هدفنا هو احتلال شمالي افريقيا لاتخاذها قاعدة في حربنا ضد هتلر لا من أجل غايات سياسية او مطامع توسعية وبسط نفوذ • فوجودنا هنالك هو نظريا برضى الحكومة الشرعية ، فيجب أن نتصرف بكل حكمة ودراية اذا أردنا أن نتجنب خلق المصاعب والمشاكل لانفسنا •

مختصر القول ان وجود دارلان وفر علينا كثيرا من الوقت والدماء في شمالي افريقيا ــ ولكن عندما فاوضناه أن يأمر الاسطول الفرنسي أن يغادر المرافيء الفرنسية ويلتحق باسطولنا لم يورط نفسه ، وقال ان ذلك صعب لعدة أسباب • أولها أن السفن تفتقر الى زيت الوقود • وثانيها مغادرته الموانيء تخلق حالة فوضى واضطراب في جنوبي فرنسا • وبناء على ذلك فان الاميرال لم يقم بأي محاولة لينضم الينا ، ولكنه أكد بأنه مقتنع بأن الاميرال الفرنسي في طولون لن يسمح مطلقا أن تقع سفنه بأيدي الالمان • قال هذا مرارا وبكل تأكيد ، وجاء فيما بعد ما أثبت صحة قوله •

ومن الناحية الثانية فان دارلان تأكد أن الاميرال استيف قائد الاسطول الفرنسي في تونس مستعد أن ينزل عند رغبته هو وسائر القواد الفرنسيين هنالك • لكن طول الوقت الذي صرفناه في المفاوضة حال دون مشيئة دارلان وذلك لان الاميرال استيف وكبار الضباط في تونس تسلموا أوامر صريحة

من الماريشال بيتان أن يقاوموا الحلفـاء بمـا اوتوا من عزيمة حتى أصبح بعضهم يقاوم بشدة أي اتفاق مع الحلفاء • بينما وقف البعض الآخر متحيرا مترددا •

وبيناهم في موقفهم المتردد بـدأ الالمان ينزلون في تونس • فوصلت اول وحدة منهم جوا بعد ظهر ٩ تشرين الثاني • ومن ثم بدأت قواتهم تتوالى بسرعة ، وعندما تم الاتفاق بيننا وبين دارلان في الجزائر أصبح زمام استيف بيدغيره • فأبرق يقول : « علي الآن حارس » فأدركنا انالالمان أخذوهرهينة ولكن الجنرال كيلتز والجنرال بار انصاعا الى أوامر دارلان وانضما الينا ، وقاما بدور نشيط في الحرب •

عندما تسلم دارلان زمام الادارة في شمالي افريقيا أعلنت افريقيا الغربية الفرنسية ولاءها له ، وبذلك أصبحت تابعة لنفوذ الحلفاء • وكيفية ذلك أن حاكم دكر بيير بواسون الذي هو جندي قديم كان قد فقد ساقه في الحرب الاولى وأصبح من ذلك اليوم شديد الكراهة والعداء للالمان ، وعندما سمع بالاتفاق بيننا وبين دارلان أعلن أنه مستعد أن يتسلم اوامره العسكرية مني بواسطة دارلان ، امتاز بواسون باخلاصه لفرنسا ، واعتقد أن واجبه الوحيد الاحتفاظ بافريقيا الغربية الفرنسية للامبراطورية الفرنسية • وفيما سبق استطاع رد حملة انكليزية فرنسية حرة عن دكر عندما حاولت الاستيلاء على تلك المنطقة ، وصرح من ثم بأنه مستعد لأن يقاوم كـل من حدثتـه نفسه بالاعتداء عليه •

لما كانت دكر نائية عن منطقة نفوذي ، ولما كانتاشغالي الحربية باهظة لكثرتها وتنوعها ،ولما كانت الصحففي بريطانيا واميركا قد أبدتامتعاضهامن اتفاقيتي مع دارلان ، رأيت أن أخبر رؤسائي عما جرى واذكرهم أنه ليس من صلاحيتي أن أقبل باستسلامهالي الا اذا صدر الامر الي بذلك• فاستلمت الجواب في الحال بأن أعمل على وضع افريقيا الغربية تحت نفوذي ليستطيع الحلفاء استعمالها اذا ما دعت الحاجة •

كان اجتماعي بالحاكم بواسون دراماتيكيا لوجود عدة أمور وجبتصفيتها

منها انه وجد في غربي افريقيا عـدد من الاسرى البريطانيين الـذين غرقت سفنهم ، فأنقذوا واحتجزوا هنالك • فجعلت بريطانيا تلح لاطلاق سراحهم في الحال • وأجاب بواسون ان اذاعات فرنسا الحرة ودعاياتها ضده يجب أن تتوقف للحال مقابل اطلاق سراح المحتجزين ، لان في تلك الدعاية تهم ضده وضد حكومته تنفث سما زعافا قد يسبب له المتاعب مع السكان • واذا كانت بريطانيا جادة بتحرير رجالها فما عليهـا الا أن تضغط عـلى ديغول ليوقف دعايته • حضر الاجتماع أيضـا الامـيرال دارلان وبعض الموظفين الفرنسيين والمستر ميرفي مع عدد آخر من معاوني • وعندما حمي النقاش تهيج المتكلمون وعلى الاخص الافرنسيون منهم ، وراحوا يتكلمون كلهم دفعة واحدة • فرأيت أن الامر سيتطور الى ما لا تحمد عقباه • فانفردت بالحاكم بواسون لانـــه يتكلم الانكليزية وقلت ما يلي :

« أيها الحاكم ، لا أستطيع أن أخبرك مطولا بما ستفعله الحكومة البريطانية كما أني أجهل ما تنوي فعله الحكومة الاميركية أيضا • لكنني أقول لك وأنا واثق بأن الحكومتين أمرتاني بأن أعقد اتفاقية معك على غرار الاتفاقية التي عقدتها مع افريقيا الشمالية ، وهي أن تنضم الى جانبنا ضد المحور • وذكرا بأنهما لن تتدخلا في شؤون الادارة ، لكنهما تتوقعان التعاون من قبلك معهما ومن ضمن ذلك اطلاق سراح المحتجزين في منطقتك • وأظن أنهما ستحاولان ايقاف أية دعاية موجهة ضدك وضد نظامك • وستستعملان نفوذهما مع كل هيئة متعاونة معهما ، ومن ضمن ذلك قوات فرنسا الحرة برئاسة الجنرال ديغول أن توقف عمل كل ما يسبب لك اساءة • وعلى كل حال فانهما لا تستطيعان اصدار الاوامر الى الجنرال ديغول بهذه القضية • واني أود أن تعلم بأنا نريد أن نستعمل الخطوط الجوية المارة في منطقتك ، كما نريدك أن تنضم الى جانبنا في الحال • ولا نستطيع الانتظار الى أن تسير هذه المطالب بطرقها الرسمية المتعرجة • فالوقت لا يسمح بذلك • فما عليك الا أن تمضي الاتفاقية ، واني أعدك بشرفي كجندي بأني سأبذل جهدي لكي تجري الامور

كما تريد حتى يكون التعاون بيننا ناجحا وقائما على اسس متينة • وتأكد أني ما دمت في مركزي فلن يحدث ما يغير روح هذه الاتفاقية من قبل أي من حكومتينـــا » •

ودون أن ينبس ببنت شفة ، مشى بواسون الى مكتبي ومهر الاتفاقية • « أيها الحاكم متى تستطيع طائراتنا أن تستعمل مطار دكر ؟ » فتفرس في وقال بالفرنسية « منذ الآن » وفيما جرى من حديث بيني وبينه بعد ذلك أكد لي الاهمية التي يعلقها على عهدي كجندي أن لا يحدث ما يقلق ويسبب الانزعاج للمؤسسات الفرنسية في غربي افريقيا • وأن أساعد بالعمل على تنظيم جيش فرنسي ليساهم في الحرب الى جانبنا • وهكذا افترقنا متفقين •

# الفصل السابع

# شتاء في الجزائر

كان أقل أهدافنا من غزو شمالي افريقيا احتلال المرافيء الواقعة بين الدار البيضاء والجزائر ، لنمنع المحور من اتخاذها قواعد لغواصاته ، ولنزحف منها شرقا الى أن نلتقي بالقوات البريطانية الزاحفة من الشرق ، فأمن لنا نجاحنا في الايام القليلة الاولى هذا الهدف ، وفي الحال وجهنا جهودنا للزحف شرقا لنطبق على قوات المحور في شمالي افريقيا من الغرب بينما تطبق القوات البريطانية من الشرق تحت قيادة السير هارولد الكسندر لاعادة فتح طريق البحر المتوسط لسفن الحلفاء .

ففي مصر كان قد بدأ الجنرال الكسندر بهجومه في الثالث والعشرين من شهر تشرين الاول وزحف الجيش الثامن بقيادة الجنرال السير برنارد مونتغمري من العلمين غربا ، واستطاع أن يصيب العدو بهزيمة نكراء ، ففر والجيش البريطاني في أعقابه ، واذا ما استطعنا نحن أن نتقدم الى خطوط المحور وقطع مواصلاته فاننا نساعد الجيش الثامن على احراز نصر أعظم وأبعد مدى .

تمكنت الطائرات والقوات البحرية البريطانية أن تقطع مواصلات المحور في النصف الشرقي من البحر المتوسط ، وذلك لتمركزها في مالطة ومصر . فاذا تقدمنا نحن الى تونس فاننا نحد مدى مواصلات المحور بشمالي افريقيا

وهكذا كلما تقدم الحلفاء من الشرق ومن الغرب قلت فرص اتصال المحـور بروميل . وهكذا دواليك الى أن نطبق على خناق قوات هتلر وموسوليني .. فنطهر ليبيا وتونس منهم جميعا .

كانت قوات المحور المتمركزة في صقلية وجنوبي ايطاليا لا تزال قويـة وقادرة على منع قوات الحلفاء البرية من الوصول الى مصر ، ولابد للتغلب عليها من التقدم في البر الافريقي شرقا ، ومواصلة انشاء مطاراتنا لتقاوم طائراتنا طائرات المحور . وأعظم الموانيء التي لا تزال في قبضته على شواطيء افريقياهي ( بزرته وتونس وصفاقس وقابس ) على شواطيء تونس الشرقية أما مرفأ طرابلس الغرب نفسه ، فمع صلاحيته لاستقبال سفن المحور فقد استطاعت الطائرات البريطانية المتمركزة في مالطة أن تقطع الطريق عليه . فاذا ما استطعنا احتلال بزرته وتونس بسرعة غدا ايصال المدد الى رومـل مستحيلا . فأصبح هدفنا الستراتيجي الرئيسي أن نحتل هذين المرفأين بسرعة وعلى هذا ركزنا قوانا العسكرية والاقتصادية والسياسية غيرمبالين بالمصاعب والمخاطر لان على نجاحها يتوقف مصير قوات المحور في افريقيا . وأول خطوة اتخذناها في هذا السبيل حدثت في اواسط تشرين الثاني، بينما كنا لا نزال في الجزائر نلح على دارلان أن يأمر جنوده بايقاف القتال ويتعاون معنا . وقد أعددنا الجيش البريطاني الاول بقيادة الجنرال اندرسن ليتخذ من الجزائر قاعدة ويزحف شرقا . واوعزنا اليه أن يتقدم حسب الخطـة المرسومة وبأقصى ما يستطيع من سرعة لاحتلال مرفأي تونس وبيزرته . لكنه صادف عقبات عظيمة . أولهـا أن قواته كانت منـذ الاصل ضعيفة ، وثانيها نقص السفن الذي حال دون دعمه بالقوات اللازمة في الوقت المناسب فاضطر بالنتيجة الى أن يعتمد على الجرأة والسرعة لا على العدد والعدد . وثالثها النقص في مواصلاتنا البرية ، لانه يوجد خط حديدي واحد بين الجزائر وتونس ولأن طرق السيارات كادت أن تكون معطلة . وثالثة الاثافي ومصيبة المصائب كانت رداءة الطقس الذي فتح ميازيبه عـلى غـير ميعاد وصب من

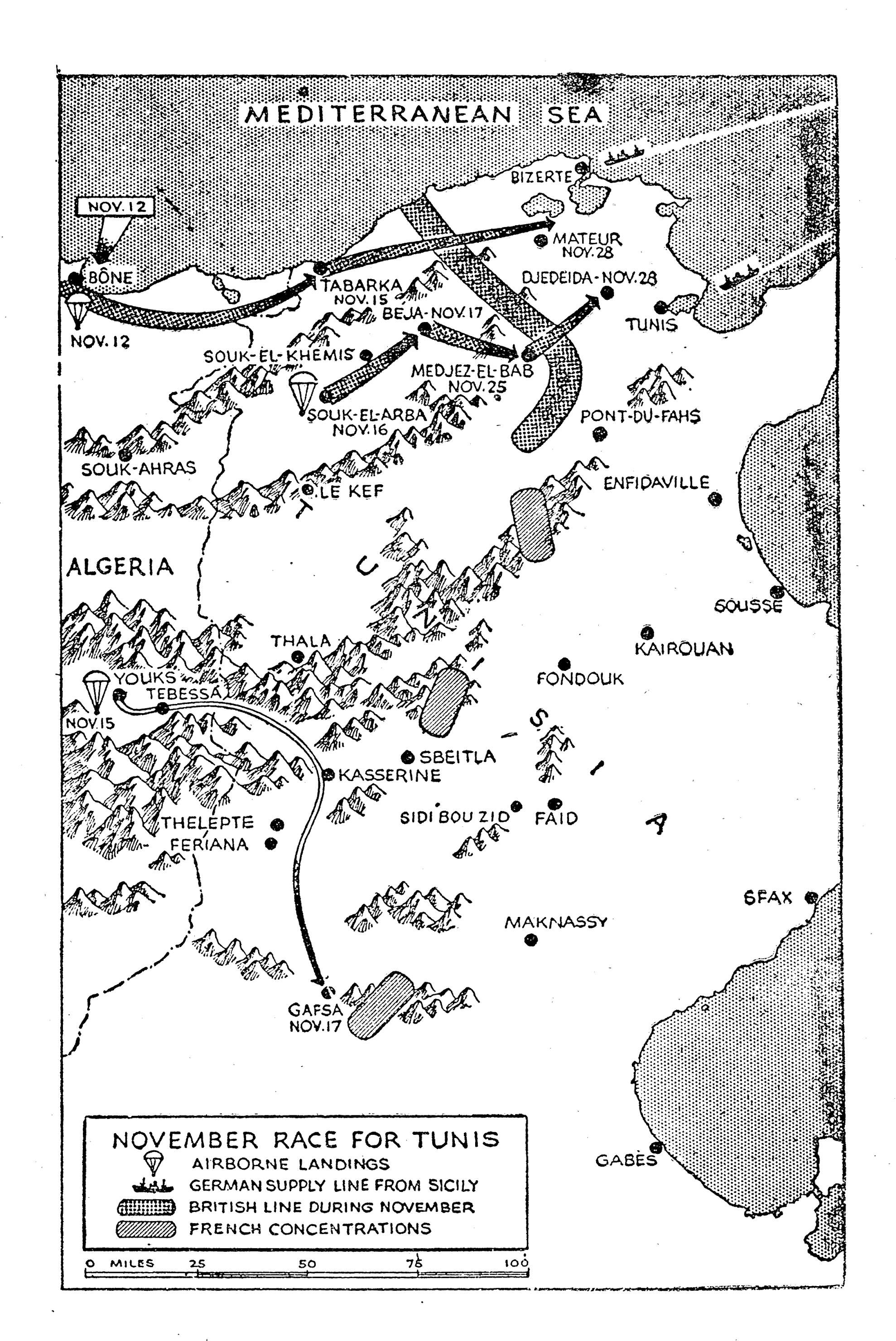
الامطار ما عطل الطرق وأغرق المطارات،وبلل الجنود وكاد أن يعمي أبصارهم مما أوقف زحفنا أو كاد وعطل طيراننا بينما كانت طائرات العدو تعمل من مطارات مرصوفة لا تؤذيها الامطار ٠

ومما سهل على العدو سرعة الاستعداد لمهاجمتنا هو وقوع البر التونسي قريبا جدا من مراكز العدو في صقلية ٠ فجعلت في الحال تنهال قواته بأعداد متزايدة ساعة فساعة ٠

من الامور التي كانت تضغط على اعصابنا عندما أمر اندرسن بالزحف هو اننا لم نكن نعرف موقف القوات الفرنسية المعسكرة ما بين الجزائر وتونس ٠ أتكون صديقة وتنضم الينا ، أو عدوة فتضع أمامنا العراقيل ؟ وهكذا قل عن السكان ٠ فعلى موقفهم من الجيش الزاحف يتوقف الكثير والمصير ٠

في أحوال كالتي ذكرت لا يستطيع قائد أن يأخذ على نفسه أمر جيش بالزحف دون احتجاج ، الا اذا كان جسورا مخلصا يقدر واجبه ٠ ولكن اندرسن قام بزحفه بلا تذمر ولا احتجاج ، مع العلم أن جنوده جميعا بريطانيون ، وما ذلك الا كونه حليفا مخلصا ومقاتلا شجاعا ٠ وبدأ زحفه برا وبحرا ، وبفضل حركاته السريعة احتل مرفأي فليبفيل وبون ، كما احتل مدينة قسطنطينة في ما وراء الجبال ٠ ولكن طائرات المحور وغواصاته استطاعت أن تصيب سفننا والمرافيء التي استولينا عليها بالعطب والاضرار ٠ ولكن البحرية بقيادة الاميرال كننغهام لم تبال ، بل سارت بجرأة تساند قوة البر ٠ ومازال الزحف يتجه شرقا حتى اصطدم بقوات المحور البرية ٠

لما نقلت مركز قيادتي من جبل طارق الى الجزائر في ٢٣ تشرين الثاني تسنى لي أن اجري تفتيشا على جنودنا وسير عملهم ٠ ففي مطار وهران قابلت الصعوبة التي كان مقدرا أن ترافقنا كل فصل الشتاء ، اذ اني




الاندفاع نحو تونس خلال تشرين الثاني ١٩٤٢

نزول قوات الحلفاء في فرنسا

ما وضعت رجلي خارج الطائرة حتى غاصت في الوحل ٠ فلم أقدر أن اخطو خطوة واحدة حتى اقبل تراكتور يحمل الواحا من الخشب وضعت كي نسير عليها ٠ ولما كان النشاط قليلا بسبب رداءة الطقس صرفت الصباح مستخبرا عن طرق التموين والمأوى والغذاء ٠ وفي ذلك اليوم التقيت لاول مرة وتعرفت بالزعيم لوريس نورستاد ، وهو ضابط شاب اعجبتني شخصيته لما تحلى به من حذر وحسن استعداد ، وتفهم للمشاكل ٠ ومنذ ذلك الحين بقي تحت نظري لأنه من الرجال الذين لا حد لمقدرتهم ٠

في نفس الليلة التي وصلت فيها الجزائر والليلة التي اعقبتها قامت قاذفات العدو بقصف المرفأ جاعلةهدفها سفننا٠ولكن بعض القنابل سقطتفي المدينة واحدثت اضرارا وخسائر بالارواح ٠ هذا بالاضافة الى انها حرمتنا النوم مدة ثمانية وأربعين ساعة ، ظهر في أثنائها التعب والنعاس على وجوهنا وعيوننا جميعا ٠ واقرب قنبلة سقطت قرب النزل التي بت فيه كانت على مسافة تبلغ ربع ميل ٠

لم نستطع أن ننشيء وسائل دفاعنا ضد الطيران الا تدريجيا ، لان السفينة التي كانت تحمل المعدات لتلك الغاية أغرقتها غواصات العدو ٠ لكن ما قارب الشهر على الانتهاء حتى تلافينا النقص وأصبحنا قادرين علىأن نستقبل طائرت المحور بما تستحق من نيران ٠ ولما وجدت أن الضربة التي تدفعها في كل غارة باهظة جدا ، رأت أن تذهب ولا تعود ٠ ومما جعلنا نتأكد أن قاذفات العدو أصبحت تخشى بأسنا ما التقطناه من برقية صدرت عن قائد سرب للقاذفات الالمانية أمر ان يقوم بغارة على الجزائر ٠ فأبرق لرؤسائه « سقطت جميع قنابلنا في مدينة الجزائر حسب أمركم » ٠ مع اننا شاهدنا القنابل تسقط بالفعل في البحرّ على بعد ثلاثين ميلا عنالمدينة٠ فاتخذنا من هذا دليلا واضحا على ضعف معنويات العدو ، ونشرنا الخبر بين الجنود والسكان ٠ وكان لذلك أثر مجد في رفع معنويات جيشنا ٠

بعد عمل متواصل دام ثلاثة أيام في مركز القيادة ، اصطحبت الجنرال كلارك وتوجهنا الى جبهة القتال في سيارة ، ولأن العدو كـــان مسيطرا يومئذ على الفضاء أصبح السفر بأي واسطة مواصلات خطرة للغاية • ولم يستطع أي مسافر الوصول الى المكان الذي يقصد الا بعـــد أن يضطر الى التوقف والتواري عدة مرات • على انـــه بدا ان كثيرا من المرات كانت الطائرات حليفة ، ولـــكن من يستطيع أن يتبينها عندما يسمع صوتها ويواصل سيره • ومن كثرة ما تعرضنا للقذف أصبح على كـــل سائق ومهندس ومدفعي وجندي يسير في الجبهة أن يبقى دائما على حذر ، وكلما سمعوا أزيزا تذمروا قائلين : « أين اختفت طائراتنا اللعينة ؟ ماذا جرى حتى اننا لا نرى الا طائراتهم ؟ » لانه عندما يسيطر العدو عـــلى الجو ، تسيطر الشتائم بين الجنود •

عندما قاربنا الحدود التونسية أنا والجنرال كلارك وجدنا كل ما يحيط بنا يخبر عن وجود معركة ضارية بين قوات اندرسن وقوات العدو • وكلما صادفنا أحدا وسألناه قال : « من هنا وصاعدا لايستطيع أحـــد ان يبقى حيا • النيران شديدة والخراب عام • على جنودنا أن تتراجع لان الاحياء لا يمكن أن تعيش في وسط جهنم كهذه » • مبالغات ومبالغات سمعناها ولكن لما تحرينا الحقائق وجدنا أن معنويات جنودنا ممتازة ، ولم تصدر عنهم تلك المبالغات الا ليقنعوا نفوسهم بأن ماشاهدوه وعاشوا فيه هـــو منتهى ما يستطيع أن يولده عدو من وسائل تدمير وتقتيل ، فلا خوف اذن مما قد يعانونه في المستقبل ، وبالاختصار ان تلـــك الاشاعات لم تنشأ الا للتشجيع ورفع المعنويات •

لم يكن القواد ولا الجنود عـــلى شيء من الخبرة الحقيقية في القتال ، لكنهم ابدوا من ضروب الشجاعة والاقـــدام مايعجز عن مثله من تمرس في المعارك في أحوال صعبة جدا تتزايد الاوحال فيها من يوم الى يوم • وانحصر القتال على الطرق المعبدة فقط • وتزايد البرد وغدا ايصال الذخائر والمؤن

من أعوص المشاكل ، ومع ذلك واصلت قوات اندرسن زحفها حتى اشرفت على الاراضي التونسية ٠

أخذ القتال يشتد والمصاعب تتزايد والتقتيل يتضاعف رهبة مع الايام لانـه كان أسهل على العدو أن يمد قواتـه بالرجال والمعدات مما كـان علينـا ٠

بعد أن شاهدت مرارة الصراع وشجاعة البريطانيين ضد عدو أوفر عددا وعددا عرفت أن لابد من اللجوء الى عمل سريع ، صممت أن أضعف المؤخرة وابعث بأسرع ما تمكني وسائلي بنجدة امبركية الى الجيش البريطاني ٠ وقد تذكرت عندئذ ما قاله الجنرال برشنغ قائد القوات الاميركية في فرنسا سنة ١٩١٨ للجنرال فوش ٠ « ان كنت بحاجة الى مدد فاعلم أن كل ضابط وجندي وآلة سلاح اميركية طوع امرك في سبيل النصر » عندها لم أخف من أي انتقاد قد توجهه الصحف الاميركيـة الي مـن تعريض حياة الجنود الاميركيين للخطر ٠ وشعرت بأنني اضحي بكل شيء اذا استطعت احتلال البلاد التونسية لاقدمها هدية عيد ميلاد الى شعبينا ٠

كانت المقامرة عظيمة ولكن الجائزة بهجة لماعة ، ومن أجل ذلك طرحنا جانبا كل حذر لنتمكن من دعم مركز اندرسن بكل رجل يحمل بندقية ٠ مع انه كان لا يزال الخوف قائما من هجوم الماني على جبال بيرينيه وأسبانيا لمهاجمة مؤخرتنا في الغرب ٠ ولكن عـلى قول من قال « لكل داء دواء » صممت أن أعالج المشكلة الحاضرة بما استطيع ، واذا طرأت مفاجأة جديدة فلكل حادث حديث ٠ فأمرت الطائرات الاميركية بأن تتجه شرقا لمساعدة اندرسن بضربها مواصلات العدو ، ومقاومة طائراته ٠ وهكذا خرجنا عـلى الخطة الموضوعة من قبل والتي تنص على ابقاء القوات الجوية الاميركية في الاطراف الغربية من المتوسط ٠ فأحدثت هذه الحركة تقاربا وتعاونا بين الطيران البريطاني والاميركي ٠

كنت قـد تركت الجنرال سباتز في لندن والآن اضطرتني الظروف الى استدعائه للقيام بتنفيذ الخطة الجديدة ٠ في الاصـل اسندت قيادة الجو الاميركية في شمالي افريقيا الى الجنرال دولتل الذي لمع اسمه فجأة بعـد

ان قام بأول غارة للحلفاء على طوكيو • وهو رجـــل ديناميكي ومجموعة نشاط • لكن في البدء صعب عليه أن يودع عمـــل القيام بطائرته محملة بالقنابل لضرب العدو في مراكزه الحساسة ويتحمل مسؤولية قيادة عامة جويـــة في جبهة واسعة مترامية الاطراف • لكن التجارب علمته سريعا وعلمت منه قائدا من خيرة القواد •

جرى ارسال المدد الاميركي الى الجيش الاول البريطاني دفعة وراء دفعة كل مـــدة اواخر تشرين الثاني واوائل كانون الاول وذلك لان شـــدة العراك لم تسمح أن ننتظر حتى نعبيء قوة كبيرة ونقذف بها مرة واحدة في المعركة • ولأنا صممنا أن نحتل تونس قبل حلول فصل الشتاء ، وقبل أن يتمكن الالمان من تقوية مراكزهم هنالك •

سحبنا من وهران عدة عناصر من الفرقة المصفحة الاولى وعناصر أخرى من فرقة المشاة الاولى ، ووزعنا الفرقة ٣٤ الاميركية على النقط الحساسة في خطوط مواصلاتنا لتحميها من التخريب • لان العدو جعل ديدنه ان ينزل مظلييه لتدمير العبارات والجسور والانفاق على مسافات شاسعة مما جعلنا نستعين بوحدات فرنسية لحمايتها وعلى الاخص في أثناء الليل •

شجاعة ودراية وقوة تحمل ، هذه الصفات الثلاث لابد لكل جندي أن يتحلى بها ، قد برزت بكل وضوح في كل جندي من جيشنا ، لكنها لـــم تستطع أن تتغلب تماما على ما تكاتف ضدنا من عدو متمرس في القتال ، وطقس مقيت ، وارض وعرة • أما العدو فقد اصبح لـه منذ اول كانون الاول بعض الوحدات الآلية التي مكنته من القيام بغارات مفاجئة محلية مما جعلنا ان نتراجع عن بعض مواقعنا ، أمام مدينة تونس •

حالمـــا توقفنا عن عمليات الهجوم في شمالي تونس واتخذنا موقف الدفاع ، اصبنا بانتكاسات مقيتة ، لانه بدا منا خطأ بعملية انسحاب ادى الى فقدان المعدات والذخائر المرسلة الى الفرقة الاولى المصفحة • كمـــا اصيبت فرقة الولايات المتحدة الثامنة عشرة بخسائر فادحة • وابيد فوج بريطاني كامل • فارتأى الجنرال اندرسون ان نتخلى عن ( مجاز الباب )

وهو مركز اتصالات مهم بين قواتنا الفرنسية على يميننا . ولما كانت تلك البقعة مناسبة للقيام بهجوم عندما تتكامل استعداداتنا ، امرته بأن لا يفعل . وتحملت شخصيا مسؤولية ما ينتج عن ذلك . ثم بدأنا نستعد للقيام بالهجوم ، وعملنا اربعا وعشرين ساعة في اليوم في سبيل البناء والتأهب . ولما اوشك الجهاز أن يتم بتنا ننتظر سنوح طقس مناسب للقتال لنتمكن من احتلال المنطقة الشمالية الشرقية من تونس ورأينا انه اسقط في يدنا ، وذلك اننا حددنا الرابع والعشرين من شهر كانون الاول لنبدأ الهجوم المنتظر ، وأملنا الوحيد هو في تفوقنا بالمدفعية . لكن التقارير التي وردتنا من الجبهة مخيبة للآمال ، لان الطقس أخذ يسوء عوضا عن أن يتحسن . لكنني لم أيأس ، وصممت أن أذهب بنفسي واتحقق الخبر. وبما أن الطقس حال دون ذهابي بالطائرة سرت بالسيارة في الثاني والعشرين . فصادفت صعوبات هائلة في الطريق منذ غادرت الجزائر ، والتقيت بالجنرال اندرسن في مركز قيادته في الرابع والعشرين . وذهبنا معا الى قرية سوق الخميس مركز قيادة الفيلق البريطاني الخامس الذي كان سيبدأ الهجوم بقيادة الجنرال ألفري . ورأينا أن الهجوم قد بدأ بوحدات صغيرة لاحتلال نقط حساسة قبل أن تبدأ العملية الكبرى المعين حدوثها عندما يخيم الظلام .

كان المطر ينهمر بلا انقطاع ، ومع ذلك خرجنا لنتفقد شكل الاراضي التي سيشملها الزحف . وبينما أنا أراقب وقعت عيني على حادثة أقنعتني بأن القيام بهجوم محال . فعلى بعد عشرة أمتار عن الطريق رأيت دراجة نارية في حقل قمح غائصة في الوحل ، فحاول أربعة من الجنود أن يخرجوها ، وبعد جهد منهك نجحوا فقط بالتمرغ هم ذاتهم بالوحل . فانسحبوا تاركين الدراجة أكثر غوصا .

رجعنا الى مركز القيادة واصدرت أوامري بتأجيل الهجوم وأنا أشعر بمرارة . واذا كان الهجوم قد توقف ، وجب علينا أن نقوم ببعض التعديلات في خطوطنا ومراكز وحداتنا ، وتحصين بعض النواحي غير الموحلة ، والتي قد يقوم الالمان بهجوم منها علينا . قام اندرسون بكل هذه الامور بالاضافة الى

احتفاظه بالاراضي التي غنمناها الى أن يتحسن الوقت لنبدأ الهجوم في الربيع ·

لا غرو أنه في مثل هذه الاحوال يجب أن لا يصدر شيء من القيادة العامة يوحي بروح الانهزامية ، لان اليأس اذا ما بدا على القائد يتفشى سريعا في جميع الجهات ويؤدي الى عواقب وخيمة · ولكنني في تلك المرحلة لم أجد ركيزة أستمد منها بعض التفاؤل ·

ان القوات الفرنسية في تونس قد ربطت مصيرها بمصيرنا منذ منتصف شهر تشرين الاول · واحتلت مراكز خطيرة واقعة الى الجنوب من الجبهة · ولم تلعب دورا فعالا في القتال لافتقارها الى السلاح الحديث · ولما رأينا استحالة احتلال القطر التونسي أخذنا خطا دفاعيا وراء المطارات حتى نستطيع المحافظة عليها ، لان منها تستطيع طائراتنا أن تضرب مواصلات المحور ·· وحالما يتحسن الطقس وتتم الاستعدادات نتحول من الدفاع الى الهجوم ·· واقتنعت بأنا يجب أن نحتفظ بذلك الخط الامامي الواقع بين تلبتا، وسوق عربة مهما كانت التضحيات ، لانه مناسب للدفاع وللقيام منه بهجوم ، لانا اذا تقهقرنا عنه لا نفقد المطارات فحسب بل أن في التراجع خيبة أمل للجنود واضعاف معنوية · ناهيك عن موقف السكان تجاهنا من عملية تقهقر ·

ان الاحتياط الوحيد الذي اتخذناه لصد أي هجوم جانبي قد يقوم به العدو هو اقامة بعض نقط دفاعية ممتدة على طول المسافة بين طبسة وقفصة يحميها متطوعة من الافرنسيين تدعمهم وحدة من المظليين الاميركيين برئاسة الزعيم ادسون راف · وان قصة العمليات الجريئة التي قام بها هذا القائد الشاب تشكل ملحمة بذاتها لما بذله من روح المغامرة والاقدام وما التجأ اليه من خدع حيرت العدو وأشغلته عدة أسابيع · لكن بعد أن أوقفنا نشاطنا في الشمال تسنى للعدو أن يرسل جنوده الى ما وراء الجبال وخوفا من أن يسدد لنا ضربة صاعقة من تلك الناحية صممنا على اتخاذ اجراءات تبطل سحره ·

لاقامة وسائل الدفاع عن النفس أرسلنا الفيلق الثاني بقيادة الجنرال فريدندال ليعسكر في طبسة · وقد احتجت هيئة التموين على ارسال فيلق مؤلف من أربع فرق ليعسكر في تلك البقعة النائية التي يصعب ايصال المؤن

اليها • وقالوا بالاكتفاء بفرقة واحدة • لكن ليقيني أن العدو سيستغل مـا بدا من ضعفنا هنالك ، صممت على ارسال الفرق الاربع مع التعليمات المشددة لايصال المؤن مهما كانت المصاعب •

صدرت الاوامر للفيلق الثاني الاميركي بأن يقيم خط دفاع جانبي حتى اذا قام العدو بهجوم مفاجيء من تلك الناحية صده قبل أن يتغلغل في صفوف قواتنا الرئيسية في الشمال وأوصينا الجنرال بأن يوكل أمر حماية الممرات الجبلية الى وحدات من المشاة وليحتفظ بالفرقة المصفحة الاولى في المؤخرة على قدم الاستعداد لتضرب بشدة اذا ما تمكن العدو من اختراق الجبال وفوضنا اليه أمر القيام بهجمات نحو صفاقس وقابس بعد أن تتكامل استعداداته ، واذا تمكن فليقطع المواصلات بين رومل المتقهقر أمام الجيش الثامن وبين تونس • فتحمس بعض هيئة أركان حربي للفكرة وأشاروا علي أن آمـر مباشرة باجراء محاولات لقطع المواصلات بين جيشي العدو لكن لعلمي أن قوانا لا تسمح بالقيام بعمليات جريئة كهذه مباشرة أخذت فريدندال جانبا وكررت عليه الاوامر الخطيـة ان مهمتـه الاولى والرئيسية حماية جناحنـا الجنوبي باقامة خطوط دفاعية قوية تصد العدو اذا ما قام بهجوم من تلك الناحية وبعد أن يتأكد بأن تلك النواحي تطهرت من العدو ـ عند ذلك فقط يقوم بزحف الى الشواطيء الشرقية • وحذرته من اقامة أي معسكر متقدم ومشرف على الشاطيء •

بدا لي أنه من المستحيل تعيين قيادة موحدة لجميع قوى الجبهة • وذلك لما ظهر من نفور بين العناصر المؤلف منها الجيش ، فمثلا رفض الافرنسيون بتاتا العمل تحت قيادة انكليزية لما جرى بينهم في سوريا ووهران ودكر ، وهددوا باعلان الثورة اذا صممت على ذلك • فاضطررت الى أن أكتفي بوجود ثلاث قيادات : للجيش الانكليزي العامل في طرف الجبهة الشمالي ، قيادته الانكليزية • وللجيش الفرنسي العامل في الوسط ، قيادته الفرنسية •• وللجيش الاميركي العامل في الجناح اليميني الى الجنوب ، قيادته الاميركية • على أن يعمل الفرقاء الثلاثة في خط جبهة واحدة ، ولا يخفى أن موقفا كهذا محفوف بالخطر • ولأتلافاه صممت أن أتخذ لنفسي قيادة قريبة من الجبهة

أقضي فيه ما استطعت من الوقت ، وعينت الجنرال ترسكت ممثلا شخصيا لي حتى اذا غبت قام بما يقتضيه الامر من المحافظة على وحدة العمل والانسجام ٠

بقي الحال على هذا المنوال الى اواسط كانون الثاني حينما قامت وحدة المانية قليلة بهجوم عنيد على جبهة الفرنسيين وأجبرتهم على التراجع حتى نشأ عن ذلك وضع محفوف بالخطر ، مما دعا الى اجراء جديد في توزيع القوى وسد الثغرات ، ولكي لا تنشأ حالة خطرة اخرى أصدرت أمرا حاسما بتعيين الجنرال اندرسن قائدا عاما على كل الجبهة ، ثم قمت بزيارة شخصية للجنرال جوان قائد القوات الفرنسية لاتأكد من قبوله تسلم الاوامر من الجنرال اندرسن ٠ اطلعت فيمابعد الجنرال جيرو على ما اتخذت من اجراءات وترتيبات ، فلم يمانع لان الحاجة الى مثل ذلك كانت واضحة ٠

عندما تسلم اندرسن القيادة كانت جبهتنا تمتد من بيزرتا شمالا الى قفصا جنوبا في خط رقيق ضعيف تتألف جنوده من وحدات مختلفة العناصر والاهداف يجمع بينها غرض واحد وهو سحق الالمان ٠ لكنه لم يكن لدينا قوات احتياطية على أهبة الاستعداد لسد الثغرات التي قد يحدثها العدو ٠ ولذلك لم نستطع سد الثغرة التي أحدثها الالمان في الجبهة الفرنسية الا بعد أن نقلنا عدة وحدات أميركية مجازفين باضعاف خطهم ٠ على أن انكسار الفرنسيين لم ينشأ عن نقص في الجرأة والاقدام وانما عن ضعف في المعدات الحديثة ٠ فأيقنا أننا سنبقى في هذه الوضعية القلقة الحرجة الى أن يصلنا المدد من انكلترا ٠

أما في الحقل السياسي فلم يستطع المستر ميرفي ورفيقه هارولد ماكميلان ممثلا انكلترا أن يفعلا شيئا من الاصلاح في الوضعية مع ما بذلاه من جهد لاصطدامهما بألاعيب دارلان الخطر أولا ثم لما أبداه الجنرال جيرو من عدم مبالاة بالناحية السياسية ، ولتهرب شاتل ونوغيس من اجراء أي تبديل في الادارة ٠ وكلما ألححنا بتعديل القوانين واصلاح الوضع أتتنا الشكاوي عن

العسف والظلم وهضم الحقوق ، وذلك لانعدام النوايا الحسنة ، وللاسراع بالوعود والابطاء في التنفيذ • وعندما حاولنا تنحية العناصر المشبوهة لم نستطع أن نجد من يحل محلها وكيفما تصرفنا لم ننس بأنا في بلاد حليفة لا حق لنا في التدخل في امورها الداخلية • ولكنا من البدء أفهمنا دارلان أن يصفي شاتل حاكم الجزائر ونوغيس وزير سلطان مراكش •

لم ننل في هذا المشكل أي مساعدة من قبل الجنرال جيرو ، وذلك لانه يكره السياسة وابوابها الملتوية ومخارجها الخداعة ، ولا يهتم لشأن اقامة نظام ديموقراطي بل انحصر همه في الحصول على المؤن والذخائر لانشاء فرق مقاتلة • فعرفنا أن نواياه حسنة ولكن مواهبه الادارية ليست على ما نرغب•

لقد اغتيل دارلان في الرابع والعشرين من شهر كانون الاول ، وفي نفس اليوم الذي عدلت فيه عن القيام بهجوم في شمالي بلاد تونس • وكنت في مركز قيادة الفيلق البريطاني قرب بيجا حينما وصلني خبر موته ، فسافرت في الحال الى الجزائر ، ووصلتها بعد ثلاثين ساعة من السفر المتواصل في طقس ممطر شديد البرودة •

تقتصر معرفتي بالاميرال دارلان على مدة ستة أسابيع فقط ، لكن ما اشتهر عنه من تعاونه مع هتلر جعلني أن أكون شديد الحذر منه ، ولكن والحق يقال انه في أثناء المدة التي قضاها كحاكم اداري لكل شمالي افريقياالفرنسية لم يخل بعهد واحد مما وعد ، ومع ذلك فان شخصيته لم توح بالثقة وموته خلق لي متاعب جديدة •

أول ما فكرت فيه أن أعمل على احلال الجنرال جيرو محل دارلان ، ولكني ترددت خوفا من أن يقال انا كالنازيين نقيم حكومات من صنعنا في بلاد ليست لنا ، مع أني تأكدت منذ البداية من اخلاص واستقامة جيرو • أردت أن آخذ رأي المسؤولين الفرنسيين في من يحل محل دارلان ، فقالوا جميعا بتنصيب الجنرال جيرو حاكما اداريا لشمالي افريقيا ، ففعلت رغم عدم ثقتي بمواهبه

الادارية • وعندما زارني فيما بعد كان أول طلب وجهــه الي أن لا أعامــل افريقيا الشمالية كبلد محتل بل كبلد حليف • فتوجيه مثل هذا الطلب من شخص كنت أعتقد أنه يدرك شعورنا نحو هذه البلاد هزني من أعماقي •

ان الشخصين اللذين لم ينالا ثقتنا هما شاتل حاكم الجزائر ونوغيس وزير مراكش ، وذلك لطرقهما الملتوية وعدم اخلاصهما لقضيتنا• ومنذ البدء وافق دارلان على عزلهما ، ولكنه نصح بالتريث ، لان نفوذهما بين القبائل كان عظيما ، ولا سبيل الى صرفهما الا بعــد ايجاد من يكسب ثقــة القبائل وعطفهـــا •

# الفصل الثامن

## الحملة التونسية

وردتنا الانباء في شهر كانون الاول بأن الرئيس روزفلت والمستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا العظمى سيأتيان خلال كانون الثاني الى الدار البيضاء ليعقدا مؤتمرا ، وعلمنا أن عددا من الخبراء المدنيين والعسكريين سيصحب كلا منهما ، وطلب منا أن نهيء أمكنة صالحة لاسكانهم وتسهيل مهمتهم •

لم أدرك قط الغاية التي صمم الرئيسان من أجلها عقد المؤتمر في افريقيا حيث لا يزال يكمن بعض الخطر على حياتهما • ولربما كان السبب توقع مجيء ستالين للاجتماع بهما • أو قد يكون السبب سيكولوجيا لجعل الرأي العام العالمي يتيقن ان الحلفاء يعلقون أهمية كبرى على احتلال شمالي افريقيا ولم يعد مجال للمحور أن يبقى فيها • كان لا يزال يومئذ في مقدور القاذفات الالمانية الوصول الى تلك الناحية كما كان لا يزال عدد من السكان غير راض عن نزولنا وسياستنا ، وقد يقوم أكثر من واحد من متعصبيهم بأدوار عنيفة وخيمة العواقب ، ومن أجل ذلك تناولت الاستعدادات والترتيبات عدة أمور أهمها الاحتفاظ بسرية المؤتمر والمحافظة على حياة المؤتمرين الغالية •

عقد المؤتمر في الموعد المعين • وجرى أثناء البحث والدرس احضار عـدد كبير من الضباط والجنود الاميركيين والبريطانيين للادلاء بمعلوماتهم وصرفت أنا يوما كاملا في المؤتمر بعد سفرة طرأ عليها خطر مفاجيء لم يكن في الحسبان

وذلك لأن محركين من محركات الطائرة توقفا عن العمل مما جعل النقيب جاك ريدي السائق أن يأمر بتوزيع المظلات علينا وبقائنا وقوفا بقرب المخارج ، حتى اذا ما دعت الحاجة قفزنا • وقد قطعنا مسافة آخر خمسين ميلا ونحن على تلك الحال ، عادت الذاكرة بي في أثنائها الى أيام التلمذة حين عطبت احدى ركبتي في احدى مباريات كرة القدم ، وخفت أن الضعف الذي ما زال عالقا بها قد يسبب لي بعض الضرر والخطر • وكم كنت سعيدا عندما وصلت قدماي الارض بحالة طبيعية •

لم أبق في المؤتمر أكثر من يوم واحد ، لتراكم الاشغال علي في أمكنة أخرى ولكني اطلعت فيما بعد على ما جرى فيه من الجنرال مارشال الذي زارني في الجزائر • ولكني كنت قد شرحت للمؤتمرين الحالة العسكرية في شمالي افريقيا ، ووصفت لهم الاحوال التي أجبرتنا على ايقاف هجومنا في الشمال، وذكرت كيف أنا نقوم بجهد لاعداد الفيلق الثاني الذي بدأ يعسكر في منطقة طبسا ، كي نتمكن من القيام بهجوم على غابس وصفاقس الواقعتين على الشواطيء الشرقية من تونس ، اذا سنحت الفرص في المستقبل • ومما ذكرته أن الغاية الرئيسية من تمركز الفيلق الثاني هنالك هو حماية جناحنا الايمن • واذا سمحت الظروف نقوم بالخطوة الثانية وهي الزحف شرقا الى البحر •

عندما كنت أشرح ذلك ، قاطعني الجنرال الكسندر اذ قال يجب أن نسقط من فكرتنا عملية الزحف من طبسا شرقا لأن الجيش البريطاني الثامن على وشك أن يحتل طرابلس ، واذا كان المرفأ لا يزال صالحا للاستعمال فانه سيتمكن من الوصول الى جنوبي تونس في أوائل شهر آذار، فسرنا الخبر •

جرى لي حديث طويل مع الجنرال مارشال ومع رئيس الوزراء وغيرهما ، وعند المساء وصلني ان الرئيس روزفلت يود أن يلتقي بي على انفراد • فكانت تلك واحدة من عدة مرات اجتمعت فيها بالرئيس لنتحدث منفردين •

فألفيته مزهوا متفائلا يتدفق حيوية ، وأعتقد أن مرحه ذلك صادر عن تمكنه من الافلات لبضعة أيام من مشاغل الدولة في وشنطن وحضوره مؤتمرا في زاوية نائية محفوفة بالخطر ، كانت لا تزال منذ شهرين ساحة للمعارك • ورأيت أنه مع شدة انتباهه واهتمامه بالمشاكل التي تواجه الحلفاء حاليا كثيرا ما كان يضرب بأبصاره نحو المستقبل البعيد ليتمكن من وضع اسس لحل المشاكل التي ستطرأ بعد توقف القتال واعلان الهدنة • وأبدى اهتماما خاصا عندما أطلعته على انطباعاتي بخصوص بعض شخصيات فرنسا ، وعلى الاخص جيرو ، وبواسون ، وديغول وفلاندان الذي لم تسنح لي الظروف لمقابلتـه بعد •

راجعنا في خلوتنا ما نشأ من مواقف عسكرية وسياسية في مدة العشرة أسابيع الاخيرة • فأبدى سروره بما أحرزناه من نجاح ، ولكن عندما أخذت أسرد على مسامعه ما قد نتعرض له من نكسات في فصل الشتاء ، بدا عليه الشك بأنني أتوجس خيفة أكثر من اللازم • واتفقت وجهتا نظرنا على أن قوات المحور مهما كانت ضخمة في شمالي افريقيا لن تستطيع الصمود كثيرا أمام الجيش الثامن البريطاني وجيشنا الزاحف من الغرب • ولكن ظهر أنه يتوقع نهاية المحور بأسرع مما يمكن • ثم وجه فجأة الي سؤالا عن الوقت الذي أتوقع فيه استسلام جيش العدو في شمالي افريقيا ، فلفظت أعظم نبوءة صدرت عني طيلة مدة الحرب ، اذ قلت : « ١٥ أيار » وحينما التقيت بالجنرال الكسندر وأخبرته عن نبوءتي ابتسم وقال : « ٣٠ أيار » •

تبينت من حديث الرئيس روزفلت أنه لم يميز بين وضعيتنا في شمالي افريقيا ووضعية جيش محتل احتلالا عسكريا ، لأنه كان عندما يتطرق الى ذكر الخطط والاجراءات التي تتعلق بالسكان وبالجيش هناك ، يلوح باصدار الاوامر والتعليمات وفرضها • فرأيت أن أذكره بأننا اتفقنا منذ البدء على دخول المنطقة على أساس أقرب الى التحالف منه الى الاحتلال بقوة السلاح ، ولذلك فاننا نحاول بحنكة أن ندخل اصلاحات أساسية على وضعية الحكم ونسهل الامر لقيام حكومة شعبية • فوافق بالطبع على ذلك ، وذكر أنه هو نفسه اشترك في وضع هذه السياسة من قبل • ومع ذلك بقي عندما يتحدث

عن المشاكل الداخلية يتكلم بلغة الفاتحين • ولو كان الامر كما تصور لهانت المهمة • واقترح متى اتفقنا مع الفرنسيين علـــى اعطائهم المؤن والاسلحة والذخائر، أن نشترط عليهم أن يسهلوا لنا أمر استخدام القواعد ، والاستعانة بالاشخاص في بلادهم لنتمكن من القضاء على الهتلرية ، ولم يسه عن وجوب ابعاد الشخصيات الفرنسية التي ليست على مشربنا عن مسرح السياسة والادارة • واذا رفضوا ذلـك نمنـع عنهم ما يطلبون • وأبدى رغبتـه في الاحتفاظ ببواسون كحاكم على افريقيا الغربية الفرنسية •

كانت أهم نقطة وردت في حديثه بالنسبة لي ثباته على الخطة الاستراتيجية الرئيسية ، وهي القيام بغزو اوروبا عبر القنال الانكليزي • واعتبر ان النصر الذي سنجنيه في افريقيا ليس الا مقدمة للامر الاعظم وهو غزو اوروبا من الشمال ، والزحف شرقا حتى يتم القضاء على الجيش الالماني •

عندما التقيت بالمستر تشرشل فيمابعد ، سمعت منه نفس الشيء اذ قال: « أيها القائد ، لقد سمعت بأننا نحن البريطانيين نود أن نسقط عملية الغزو الكبرى من الحساب ، فذلك ليس بصحيح • فقد أعطيت وعدا ، واني مصمم على المحافظة عليه ، ولكن الآن لدينا فرصة مجيدة يجب أن لا ندعها تفلت ، وحينما يحين الزمن فان بريطانيا مستعدة أن تقوم بأكثر من قسطها في الغزو »

راودت الرئيس روزفلت آمال بأن يتمكن من ايجاد حل سريع للمشكلة السياسية الفرنسية ،وذلك باجراء صلح بين الجنرال جيرو والجنرال ديغول لشعوره بالقدرة على اقناع الطرفين بطرح خلافاتهما جانبا من أجل مصالح فرنسا • وفي أثناء الحديث أدهشتني مقدرته على استيعاب تفاصيل الامور للاستفادة منها في حينها • فسماعه بأن أخي ملتون قد زار افريقيا ومكث فيها زمنا ، جعله أن يعينه في مركز سياسي للاستفادة من خبرته • وأعاد على مسمعي جملا كثيرة كنت قد رفعتها اليه بتقاريري عندما اجريت الاتفاق مع دارلان • وقال بأنها هدأت من روع الكثيرين الذين كادوا أن يحسبوا أنـا نسير بتؤدة نحو الفاشية •

لم يصدر تصريح الرئيس روزفلت والمستر تشرشل بصدد مبـــدأ التسليم بدون قيد او شرط الا بعد مغادرتي الدار البيضاء ببرهة غـير وجيزة • لكن الامر الذي همني من البدء هو القرار الذي اتخذ بأن تصبح قوات الجيش الثامن البريطاني بجميع اسلحتها بعـد أن تدخل الاراضي التونسية تحت امرتي • سمعت شيئا من ذلك عندما حضرت المؤتمر ، ولكن القرار بلغ الي رسميا عندما أتى الجنرال مارشال لزيارتي في الجزائر ، على أن يصبح الجنرال الكسندر مساعدا لي في قيادة البر ، ويبقى الاميرال كننغهام رئيسا للبحرية والمارشال تدر رئيسا للقوات الجوية • وأن يعمل بموجب هذا القرار في أوائل شهر شباط •

سرني اتخاذ هذا القرار المهم ، لا لشيء سوى أنه يوحد القوى ويخلق وضعية جديدة تمكنني من استعمال الوسائل الفعالة لتحطيم قوات المحور بأسرع مايمكن • وقـــد أخبرت الرئيس روزفلت والجنرال مارشال عن سروري بتوحيد القيادة • وعبرت عن شعوري بأني مستعد لأن أخدم تحت قيادة الكسندر اذا استصوب الامر • قلت ذلك لأنه بعد أن يندمج الجيشان يصبح عدد القوات البريطانية المقاتلة أكثر من القوات الاميركيـــة ، فمن العدل اذا أن تصبح القيادة لبريطاني لا لاميركي • وفي النهاية ابدى جميع الفرقاء ارتياحهم لتوحيد القيادة والترتيبات التي أجريت • أما القرار المهم الذي اتخذه المؤتمر أيضا فكان اجراء الاستعدادات لغزو صقلية بعد أن تتم عملية القضاء على قوات المحور في شمالي افريقيا •

قضينا ما تبقى من كانون الثاني وأوائـل شباط في تعديـل خطواتنا وتقويتها بالرجال والمعدات التي ما فتئت تصل باستمرار • ولكن بعض الهجمات التي قام بها العدو آنا هنا وآونة هناك عرقلت تجمـــع قواتنا بالصورة التي ابتغيناها •

بعد انتهاء مؤتمر الدار البيضاء جاء كل من الجنرال مارشال والاميرال كنغ لزيارتي في الجزائر ، حيث تسنى لنا نحن الثلاثة أن ندرس الحالة من جميع وجوهها • وأدرك كل منا الخسارة التي نتجت من عجزنا عـن

القيام بالهجوم الذي وضعنا خطته للاستيلاء على مدينة تونس . ولكن الفشل في ذلك يجب أن لا يكون مبعثا على اليأس .

توقعت وصول الجنرال الكسندر والمارشال تدر الى تونس في أوائل شباط ، وكنت اعلق على ذلك آمالا كبارا في حل بعض المشاكل الفنية في توحيد قطاعات الجبهة . وذلك لانشغال الجنرال اندرسن قائد الجيش البريطاني الاول في الشمال وعدم تمكنه من الاتصال الفعال بالقطاعات الوسطى والجنوبية ، بينما جعلتني ضآلة وسائل التنقل شرقا وغربا في شمالي افريقيا غير قادر على تلافي النقص في تنسيق الخطط بين جبهات الشمال والجنوب . فمجيء الكسندر يحل المشكلة بطريقة عفوية .

همني أن أفهم كلا من اندرسن وفريدندال بوضوح ان الغاية الرئيسية من وجود قواتنا في جنوب تونس هي دفاعية لتأمين حياتنا ضد أي هجوم مباغت ، ولحماية المطارات الواقعة قرب خط القتال . ومن أجل ذلك ركبت الجو في الثامن عشر من كانون الثاني الى قسطنطينة للاجتماع بالجنرال اندرسن والجنرال فريدندال والجنرال جوان ، وغيرهم منضباط الاركان . وبلغت اندرسن ان يحتفظ بفرقه الآلية على قدم الاستعداد لصد أي هجوم ، ومنع أي تغلغل في صفوفنا . وأخبرته بأني فهمت أثناء وجودي في مؤتمر الدار البيضاء ان تقدم قوات الجيش الثامن السريع غربا يجعل مهمتنا الرئيسية الاحتفاظ بقوتنا سليمة الى أن يحين الوقت للقيام بهجوم حاسم من الغرب والشمال ، بينما يقوم الجيش بهجومه من الجنوب . فتحصر قوات المحور بين فكي الكماشة . هذا على اني لا أمانع في اجراء غارات صغيرة لاقلاق العدو ، على أن لا تؤدي الى الاخلال بالتوازن .

في احدى رحلاتي الى الجبهة كررت ، في أوائل شباط ، أوامري للجنرال اندرسن بأن يحتفظ بقواته المصفحة وأن لايفعل شيئا يقلل من فعاليتها. ولكن تكرر الهجمات الالمانية على الجيش الفرنسي وتغلغل الالمان فيصفوفنا



شاحنات أميركية تسير على طرقات فرنسا

جعل اندرسن غير قادر على أن يتقيد بأوامري كاملة ، لأنه أجبر على تعديل استعمال بعض الوحدات الاميركية أو البريطانية لسد الثغرات ٠

بلغنا في أوائل شباط ان العدو يقوم باستعدادات واسعة لاجراء هجوم جانبي واسع النطاق على قواتنا ٠ ولتحقيق أغراضه سحب وحدات قوية من جيش رومل في جبهة طرابلس للاشتراك في العملية تحت قيادة الجنرال فون آرلن في تونس ٠ وذكرت المعلومات الاولية أن الهجوم سيحدث في ممر فندق ٠ فأمرنا بتشديد الحراسة على الممرات جميعها وبالاحتفاظ بقواتنا على قدم الاستعداد ، لا سيما الواحدات الآلية والمصفحة منها حتى نستطيع أن نلاقي هجومهم من حيثما أتى بهجوم أشد ٠

بعد درس وضعيتنا في الجبهة رأينا أن أضعف نقطة في خطنا هي تلك التي يحتلها الفيلق الاميركي الثاني ،لأنها تمتد على مسافة طويلة من قفصه جنوبا حتى فندق شمالا ٠ فرأيت أن أنهي اجتماعاتي مع وفود المؤتمر التي أتت الى الجزائر وانتقل بسرعة الى تلك الناحية لأدرس الوضعية وأعد الترتيبات التي من شأنها أن ترد الهجوم ، خصوصا حينما علمت أن الجنرال الكسندر لن يتمكن من الوصول الي قبل السابع أو الثامن من شباط ، فلم أر بدا من أن أتسلم القيادة الفعلية شخصيا ، مع أني كنت قد عينت الجنرال اندرسن قائدا عاما على الجبهة كلها منذ عدة أسابيع ٠

غادرت مدينة الجزائر بعد منتصف ليل الثاني عشر من شباط ، وعقدت عدة مؤتمرات في الطريق للتباحث في أمر الهجوم الالماني ٠ وأخيرا وصلت مركز قيادة الجنرال فريدندال بعد ظهر الثالث عشر منه ٠ كانت رحلتي الأولى وأنا أضع اربعة نجوم على كتفي ، لأني ترقيت في الحادي عشر من الشهر ٠

اتخذت قيادة الفيلق الثاني مركزا لها في واد سحيق يصعب الوصول اليه يقع الى الجنوب من طبسة ٠ ولكنه بعيد عن الخط الحربي ٠ فلما وصلته سمعت صوت المطارق ورنين المعادن ، وعندما سألت عن الخبر قيل لي ان المهندسين أمروا بحفر نفق في جانب الجبل لحماية ضباط أركان

حرب الفيلق • وعندما سألت عما اذا كان المهندسون قد أعدوا خطوطا دفاعية في المقدمة أجابني أحد الضباط الشبان أن مسؤولية اقامة خطوط دفاع في خطوط النار الاولى تقع على مهندسي الفرقة المعسكرة هنالك • فكانت تلك هي المرة الوحيدة التي شاهدت فيها هيئة قيادة الفرق مهتمة بخلاصها الى درجة انها التجأت الى حفر نفق للنجاة • ومن ثم قمت بجولة تفتيش على الخطوط الاولى يصحبني الزعيم روسل أحد مساعدي الجنرال فريدندال ، وكان الفيلق الثاني يتألف يومئذ من الفرقة المصفحة الاميركية الاولى ، ومن فرقة المشاة الاولى ، ومن فرقة المشاة الرابعة والثلاثين •

رأيت أثناء جولتي في الخطوط أشياء كثيرة تدعو الى القلق ، أولها وأهمها الشعور بالاطمئنان والتراضي الى حد اهمال اقامة وسائل دفاعية في الممرات الحساسة • وثانيها التكاسل عن التمرين والتدريب • وثالثها عدم بث الالغام • ثم لما لمت المسؤولين على عدم زرع الالغام أخرج القائد المسؤول خريطته من جيبه مختالا ليريني انه سيبدأ بعملية زرعها عما قريب • ولابد من القول ان اختباراتنا في شمالي القطر التونسي علمتنا انه باستطاعة العدو اقامة مواقع دفاعية متينة بعد احتلاله لبقعة ما بظرف ساعتين ، وذلك ببثه للالغام واقامة اعشاش لرشاشاته وتوزيع وحداته على الامكنة الحساسة حتى لانتمكن من زحزحته عنها • فسها ضباطنا عن الاخذ بمثل هذه الدروس الفنية في الحرب ، ولذلك أصدرت أوامري بتلافي الاخطاء والاهمال في الحال •

كان أكبر خطأ اكتشفته هو ان الفرقة الاولى المصفحة الاميركية لم تكن في وضعية مركزة تستطيع أن تعمل بفعالية كوحدة كاملة ، وذلك لان الجنرال اندرسن قد أمر بأن يعسكر نصفها قرب فندق حيث توقع ان يحدث هجوم العدو الرئيسي • واحتاط للامر بأن يحتفظ به كقوة احتياطية تحت قيادته مباشرة يشركه في المعركة في الساعة الحاسمة ، وما تبقى من الفرقة جرى توزيعه الى وحدات منتشرة في كل انحاء جبهة الفيلق الثاني •

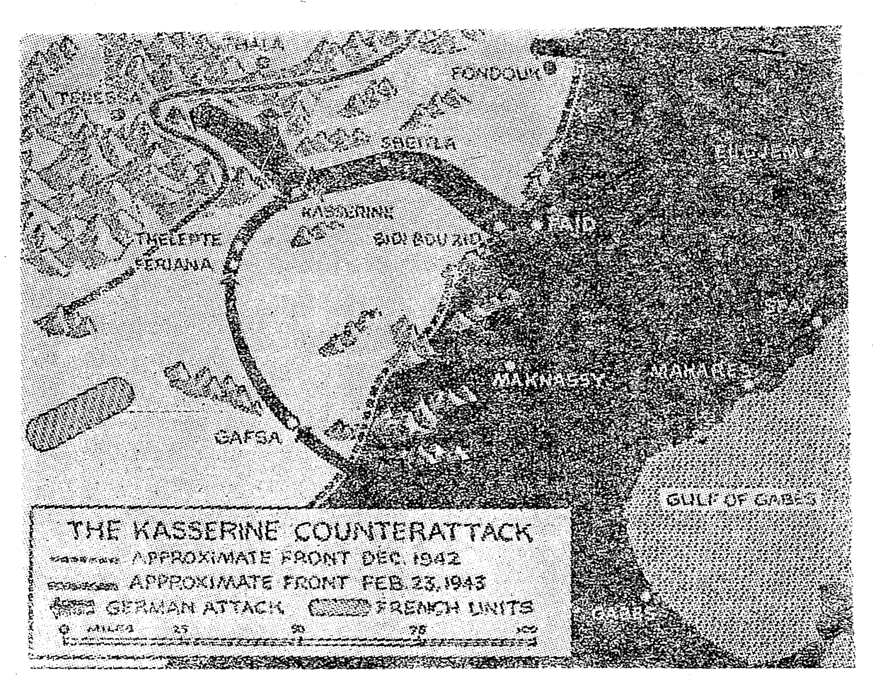
فلم يبق تحت قيادة جنرال الفرقة وورد الا بضع سرايا من الدبابات الخفيفة. ولما زرت الخطوط الامامية الواقعة بين مكنسة وممر فايد لفت نظري اقدام ضابط اميركي ، فعلقت على صدره وساما قبل أن يقوم الالمان بهجومهم بثلاث ساعات عند ممر سيدي أبو زيد .

أسندت قيادة احدى الوحدات المصفحة الى صديق قديم لي يدعى الجنرال بول روبنت ، ليحرس مدخل وادي قرب فندق . ومن البلية انه اعتقد بأن هجوم الالمان لن يكون من تلك الزاوية ، واستنتج ذلك من التقارير التي رفعها اليه بعض الكشافة الذين تجولوا بعيدا في مقدمة الخطوط ولم يعثروا على أثر للعدو . فاقتنعت بدقة تقريره وأخبرته بأني سأدرس القضية في اليوم التالي في مركز قيادة الفيلق .

صرفت ماتبقى من الليل اتبادل وجهات النظر مع الضباط لاصمم على الاوامر التي سأصدرها الى الجنرال فريدندال . ثم رجعت من جولتي التفتيشية قبل الفجر ، وتوقفت عن المسير عند صبيتله لأني سمعت بعض الطلقات المتفرقة . ثم تابعنا المسير نحو مركز القيادة ، ولكن سائقي استسلم الى سلطان النوم ورمانا في حفرة لم تسبب لنا اضرارا لانها ليست عميقة . ولما وصلنا الى مركز القيادة تحققنا ان الهجوم الالماني قد بدأ دون أن يتيح لي الوقت أن أجري تعديلا في مراكز القوى .

بدأت التقارير الصحيحة عن مصدر الهجوم واتساعه ووجهته تصل بالتتابع من الجنود الاميركيين الى الجنرال اندرسن ، ولكن لم يصدق ضباط الاركان هنالك ما جاء بها لاعتقادهم بأن الهجوم سيبدأ من فندق وليس من فايد وسيدي أبو زيد . فبقي الجنرال في حيرة من أمره حتى انه لم يتخذ شيئا من الاجراءات الفعالة لصد الهجوم الا بعد ان تضخم وتطور الى درجة خطيرة جدا .

لما عرفت أن الهجوم قد وقع أدركت انه لابد من ارسال المدد بسرعة ، فلذلك رجعت الى مركز قيادتي في الجزائر واصدرت اوامري بأن يتوجه كل جندي شرقا نحو الجبهة لايقاف زحف العدو . ثم رجعت الى الجبهة




الهجوم المضاد في قصرين

٠٠٠٠٠٠ الجبهة في كانون الاول ١٩٤٢

▬ الجبهة في ٢٣ شباط ١٩٤٣

⟵ الهجوم الالماني

░ الوحدات الفرنسية

---

وعرفت ان الاميركيين قاتلوا قتالا غير مجد ابان تراجعهم ، واضطروا الى اخلاء ممر قصرين الحصين ، لانهم اولا لم يقدروا أهمية الدفاع عنه • وثانيا لم يدروا كيف يثبتوا في وجه هجوم عنيف كالذي وجهه العدو اليهم • فولوا الادبار • وأخيرا تلاشت الصدمة المباغتة وأخذت أعصاب جنودنا تهدأ ، وبدأوا يأخذون الاحتياطات للوقوف في وجه العدو •

اجبرنا على اخلاء المطار الامامي الواقع قرب ثالا ولكن دون ان نخسر شيئا لا في الطائرات ولا في الرجال والوقود • وفيما وراء طبسا بقليل يوجد مطار آخر قرب نقطة مواصلات مهمة رأى الفيلق الثاني من الضروري الاحتفاظ به مهما كانت التضحيات • والى الشمال قرب ثعله استطاعت

الفرقـــة الرابعة والثلاثون أن تثبت وتؤخر زحف الالمان ، الى أن وصلت الدبابات والمدفعية الانكليزية من الشمال وأخذت تدك بقوة وشدة رأس الرمح الالماني الشمالي • وشاركتها مدفعية الفرقة التاسعة الاميركية في ذلك • وفي الحادي والعشرين من شهر شباط بدأ الضعف يظهر عــلى الهجوم واتضح لنا ان العدو قد استنفد عزمه وأخـــذ يعاني من صعوبة المواصلات ونقص في تموين وحداته الامامية • وغدت قواتــه الكائنة الى الغرب من قصرين مكشوفة لاي هجوم نشنه عليها من تلك الناحية •

في الثاني والعشرين تمكنا من وقف تقدم العدو تماما • فقال لي الجنرال باتن الذي يهوى المقارنة بين المعارك في التاريخ • « لو قرأ الجنرال فون ارنيم تاريخ معركة قلعة ستدمات التي جرت ابان الحرب الاهلية الاميركية لما عرض نفسه لنيران وحداتنا الاحتياطية التي ستتألب عليـــه وتجعل تراجعه داميا ومعرضا لخسائر باهظة » •

في امسية ٢٢ شباط تحدثت الى الجنرال فريدندال قائد الفيلق الثاني واخبرته ان الالمان اصبحوا عاجزين عن تطوير هجومهم ، ولذلك يمكنه أن يقوم ببعض الهجمات المحلية التي تسندها المدفعية للتعجيل في زعزعة وضعه ، لكن فريدندال اعتقد أن العدو سيقوم بمحاولة هجومية ثانيـــة في ظرف ٢٤ ساعة ومن الافضل له ان يحتفظ بقواتــه لرد الهجوم • فلم انازعه في ذلك • مع انـــه صعب علي ان نفوت على انفسنا فرصة ضرب العدو عندما انكشف جانبه عند ممر قصرين •

اتضح في اليوم الثاني أن الالمان قـــد ارتدوا من الهجوم الى التقهقر وتمكنوا من سحب معظم قواتهـم تحت جنح الظلام وتحت ستر الضباب في صباح اليوم التالي ، ولكن جيشنا أخذ يشدد من ضغطه عليهم في سائر انحاء الجبهة حتى أوصلهم الى الخطوط التي خرجوا منها • ولم يجرؤوا بعد ذلك أن يقوموا بأي هجوم معاكس آخر •

حضر الجنرال الكسندر عمليات المرحلة الاخيرة من المعركة ، وبالفعـــل تسلم شؤون القيادة فيها ، فظهرت لي مؤهلاته العسكرية الممتازة • ومنذ

ذلك اليوم جعلت منزلته ترتفع وتنمو في نظري كل مدة الحرب • وعندما تباحثت معه عن أسباب نجاح الهجوم الالماني في المرحلة الاولى تبين ان الكثير من المسؤولية يقع علي شخصيا لاني لو أمرت القوات الفرنسية التي انضمت الى صفوفنا بأن تعمل تحت قيادة اندرسن لاستطعنا من البدء تدارك حالة الفوضى التي نشأت عند عدم انسجام القيادة • وزيادة على ذلك كان يجب علي أن أحصر قوات الفيلق الثاني الاميركي في الجنوب في مساحة أقل بكثير مما فعلت كي تبقى وحداتها متقاربة متماسكة تستطيع ان تعمل ككتلة واحدة في حالة أي خطر طاريء الى ان تقترب قوات الجنرال مونتغمري من الشرق • لان وجودنا هنالك ليس لغاية توسعية بل للتمكن من الدفاع عن المطارات الامامية • ولا يصبح وجودنا ضروريا الا متى وصلت قوات الجيش الثامن الى جنوب تونس • لانه حينئذ نقوم بحركة جانبية على العدو ونضربه من الشمال الغربي بينما يكون منشغلا في اشتباكه مع البريطانيين • والذي جعل للمطار الامامي قرب ثلبتا ميزة خاصة في نظرنا وجوده في منطقة رملية لا تعطله الامطار •

ترجع الاسباب الفنية لتضعضع موقفنا الى عوامل أربع ، أولها وأهمها الاحوال الحتمية التي حالت دون قيامنا بالهجوم الذي رسمناه لاحتلال الشواطيء الشمالية من القطر التونسي • لان فشلنا في تطبيقه عمليا أتاح الفرصة لعدونا أن يتمركز هنالك ويهاجمنا ، ولو اعترفت من اوائل تشرين الثاني بعجزنا عن احتلال المنطقة والتزمنا خطة الدفاع لما ماعت الجبهة ومكنت العدو من احرازه ذلك النجاح الموقت •

والعامل الثاني الرئيسي هو ما ارتكبته وكالات اخبار جيشنا من أخطاء، لان المسئولين فيها سبق واعتقدوا بصحة خبرية وصلت اولا ومن ثم اغمضوا آذانهم وابصارهم عما ورد فيما بعد من معلومات تعاكسها • فقد استقر في ذهنهم ان العدو سيقوم بهجومه من فندق • ثم أتت الاخبار من رجال الاستكشاف عندنا تقول بأنهم راقبوا حركات عن كثب ولم يروا أي تجمعات المانية • ومع ذلك بقيت دائرة استخباراتنا تؤكد أن الهجوم سيمر في فندق • مما جعل القائد أن يركز قواته في الامكنة النائية •

والخطأ الثالث نتج عن عدم تمكننا فهم العدو وما يملك من امكانيات ووسائل فتقاعسنا عن أخذ الاجراءات التي من شأنها رد كيده الى نحره • فالحالة في جبهـــة الفيلق الثاني كانت تتطلب وضع وحـــدات خفيفة استكشافية في الممرات الجبلية لتؤخر زحف العدو عـــلى ان تبقى قواتنا الآلية الضاربة معبأة في المؤخرة ، حتى اذا استطاع العدو اختراق أي ممر تعاجله بضربات مركزة سريعة • ومع أن اوامري كانت واضحة في ذلك • فان المعلومات الخاطئة وشدة حذر القادة المحليين ضربت بأوامر القيادة العامة عرض الحائط ووزعت قواتنا الآلية المتحركة في عدة نقط ، ولذلك لم تستطع أن تبدي مقاومة فعالة عندما وقع الهجوم •

والسبب الرابع هو عدم الخبرة العسكرية وعلى الاخص بين ضباطنا ، وذلك لأن الفرق الاميركية التي واجهت الهجوم لم يتسن لها التدريب الفني الخشن الذي أدخلته حكومةالولايات المتحدةعلى جنودها بعدأن دخلتالحرب، لانهم نقلوا بسرعة الى المملكة المتحدة ، وبما ان وسائل النقل كانت لا تزال مضطربة لم نستطع أن نسلمهم الاسلحـــة ليتدربوا على استعمالها • فمرت عليهم أكثر أيام سنة ١٩٤٢ دون تدريب • وقد ظهر هذا النقص بينالضباط والجنود مع أنه لم يبد عليهم أي نقص في العزم والاقدام • وعلى كل انالفرق التي غادرت الولايات المتحدة بعدهم كانت أفضل خبرة وتدريبا في الحرب وابدت ثباتا وصلابة عندما اشتركت في المعارك •

لقد دفعنا ثمنا باهظا لما تعلمناه ، على أن ذلك الثمن لم يذهب كله عبثا ، لاننا استطعنا بعد أن أحرزنا النصر أن نسترجع الاسرى الذين وقعوا في يد الالمان ابان هذا الهجوم•وما خسرناه في الارواح والمعدات منذ تمكنالعدو من اختراق صفوفنا حتى تقهقر الىخطوطه لم يقل عما فقدههو في رجاله ومعداته لان الخسائر الاميركية بين الرابع عشر من شباط والثالث والعشرين منـــه بلغت ١٩٨ قتيلا و ٢٦٢٤ جريحا و ٢٤٥٩ أسيرا ومفقودا •

ان الاسبوع الذي قام فيه العدو بهجومه كان منهكا للجسد ومقلقاللافكار لانه اذا ما انتقلت المبادرة لايدي العدو فانها تترك حالة من التوتر والقلـــق

اذ قد تؤدي الى عواقب وخيمة غير معروفة المدى ، ولا يستطيع انسان في مثل هذه الحالة مهما كانت معنوياته قوية وثقته متينة الا أن يتأثر بهول الصدمة وتتسرب الافكار المخيفة الى ذهنه ٠

وضعت معركة قصرين حدا لمرحلة ، وفتحت الباب أمام مرحلة أخرى في تونس ، لانه بعد أن أجبر الالمان على التراجع اصبحوا أعجز من أن يقوموا بأي هجوم كبير آخر ، بل اكتفوا بالقيام بهجمات شديدة محلية دامية على الجيش البريطاني الاول في الشمال ٠ فمر شهر آذار والالمان يهاجمون هنا ، ويندفعون هناك ويكرون هنالك رغبة في تعديل خطوطهم وانهاك قواتنا على أبواب بيزرته ، بينما البريطانيون يدافعون آنا وآنا يهاجمون طمعا باكتساب مواقع أفضل وانسب للقيام بالهجوم الكاسح ٠ فاضطرت عملية الكر والفر هذه الجنرال الكسندر أن يستعين ببعض وحدات الفرقة الاميركية الاولى ، لتنقذ بعض وحداته في نزاعها المنهك ٠ ولما وضح أمامنا أن الالمان لا يهدفون القيام بعمليات واسعة بل محلية ٠ أخذنا نعيد تنظيم وحداتنا ، ونعدل في الادارة والقيادة ، وندمج سرايا قديمة بسرايا جديدة ، ونجري الترتيبات اللازمة للقيام بالهجوم الكبير عندما يتحسن الطقس ٠

بدأ مركزنا متحسن من عدة وجوه بعد انتهاء معركة قصرين ٠ أولها أنه كنتيجة للمعركة جعلنا الفيلق الثاني المؤلف من أربع فرق أن يعسكر في جوار طبسه حيث يمكنه أن يشكل حلقة متينة بين قوات الحلفاء في شمالي تونس وقوات الجيش الثامن الآتية من الصحراء ٠ ثانيها أن الضباط والجنود اكتسبوا خبرة وحكمة بقيت معهم الى آخر الحرب ٠ وثالثها أن أخبار المعركة هزت المسؤولين في الولايات المتحدة ، فأرسلوا لنا على جناح السرعة خمسة آلاف وخمسمائة شاحنة ٠ فكانت هذه معوانا لنا في التنقل وايصال المؤن ٠ ورابعها ان سلاح الحلفاء الجوي أخذ يتزايد ويثبت فعاليته ضد قوى المحور هذا بالاضافة الى أن الجيش الثامن في الصحراء احتل مدينة طرابلس واصلح مرفأها ، مما عجل في تلقيه المدد ومضاعفة زحفه ٠ والميزة الاخيرة هي أننا في هذه المدة أجرينا تعديلا أساسيا في القيادة ليصبح الترتيب الجديد منسجما مع ما اتخذ من قرارات في مؤتمر كزابلانكا ( الدار البيضاء ) ٠٠

فأصبحت القوات الجوية الاميركية منها والبريطانية ، القاذفات والمقاتلات تحت قيادة مارشال الجو العام تدر • وعين الجنرال سباتز معاونا له ، ووضعت القوات البرية في جبهة تونس تحت قيادة الجنرال الكسندر ، فتسنى له أن يوجه كل اهتمامه الى التنظيم الفني وتنسيق التعاون بين الفرق والقطاعات والفيالق من يوم الى يوم ، ان لم يكن مقيدا بتسلم جيش واحد كما كانت الحالة مع الجنرال اندرسن •

في اوائل شهر آذار اسندت قيادة الفيلق الثاني الى الجنرال باتون عوضا عن الجنرال فريدندال ، ولكن ذلك لا يعني انني جعلته مسؤولا عن النكسة التي اصابتنا ابان الهجوم الالماني لان المسؤولية في التقصير وقعت علينا جميعا ، لان معنويات الفيلق تطرق اليها الشك • فرأيت أن أدعمها بتعييني قائدا مشهودا له ، وليس أليق من الجنرال باتون لمثل هذه المهمة • ورأيت من الانسب تعيين فريدندال لتدريب الجنود في الولايات المتحدة بعد أن اشترك في المعارك وتمرس بها • فأرسلت توصية شخصية الى الجنرال مارشال بأن يسند اليه قيادة جيش في أميركا •

أنعشت قيادة الجنرال باتون الفيلق ضباطا وجنودا لما بدا منه من ثقة في النفس واصرار على التدريب الخشن • فأصبح يلتهب شوقا للمعارك •• والجنود بدورهم أذعنوا مختارين الى أقسى انواع التدريب والترويض والسرعة في العمل • وما فقدناه من دبابات ورجال ومعدات استعضنا عنه بما هو أفضل ، واصلحنا المطارات الامامية ، فأخذت مقاتلاتنا تستعملها بكثرة •

كان الطقس وطبيعة الارض أفضل مما هما في الشمال ، فتمكن الجيش الثامن من مواصلة زحفه غربا بدون انقطاع حتى يتمكن من الاتصال بجناحنا الايمن في تونس • وادركنا أن المعركة الفاصلة التي سيخوضها الجنرال مونتغمري ستكون في خط مارث ، وهو مركز دفاعي طبيعي أعده الفرنسيون على أطراف تونس ليردوا جيش المحور اذا ما زحف من برقة غربا لامتلاك افريقيا الفرنسية • ولكي يسهل الجنرال الكسندر مهمة مونتغومري أمر

الفيلق الاميركي الثاني أن يتمركز اولا في قفصه ، ثم يزحف شرقا ليجبر رومل أن يسحب قسما من قواته في خط مارث لمجابهة خطر الاميركيين • فأتت اللعبة غايتها ، لان رومل الذي لم يستطع أن يعرض مواصلاته للخطر اضطر الى أن يوجه قسما من جيشه ليحمي نفسه من الهجوم الجديد •

في ليل العشرين من شهر آذار اصبح في مقدور الجنرال مونتغمري أن يهاجم خط مارث • ودارت المعركة مستمرة شديدة ، ولكن مونتغمري قام بحركة موفقة في وسط المعركة ،فأرسل وحدات قوية من جيشه لتقوم بحركة التفافية ، وفاجأت العدو وتمكنت من طرده شمالا ، ومكنت الحركة الالتفافية الجيش الثامن من الاتصال بالفيلق الثاني الذي زحف شرقا • واخيرا اتصلت جميع فرقنا المقاتلة ببعضها وشكلت خطا حربيا واحدا يحيق بقوات المحور من الجنوب والغرب ، بينما يحيق البحر بها من الشمال والشرق •

قمت بزيارة للجنرال مونتغومري بعد معركة مارث ورأيت أن جيشه مؤلف من أجناس وألوان لا يكاد أن يحصيها عد • فتأكدت أن افريقيا لم تشاهد جيشا خليطا مثله منذ أيام هنيبال،لانه يتألف من انكليز واسكتلنديين ونيوزيلنديين ، وهنود وبولنديين وتشيك وفرنسيين واوستراليين وافريقيين من الجنوب ، وعرب واميركيين • فقابلت بعض الطيارين الاميركيين الذين رافقوا الزحف من العلمين ، وتحدثت اليهم طويلا • وبعد أن رجعت الى مركز قيادتي أرسلت لهم بعض ماتمكنت من وسائل الراحة والترفيه •

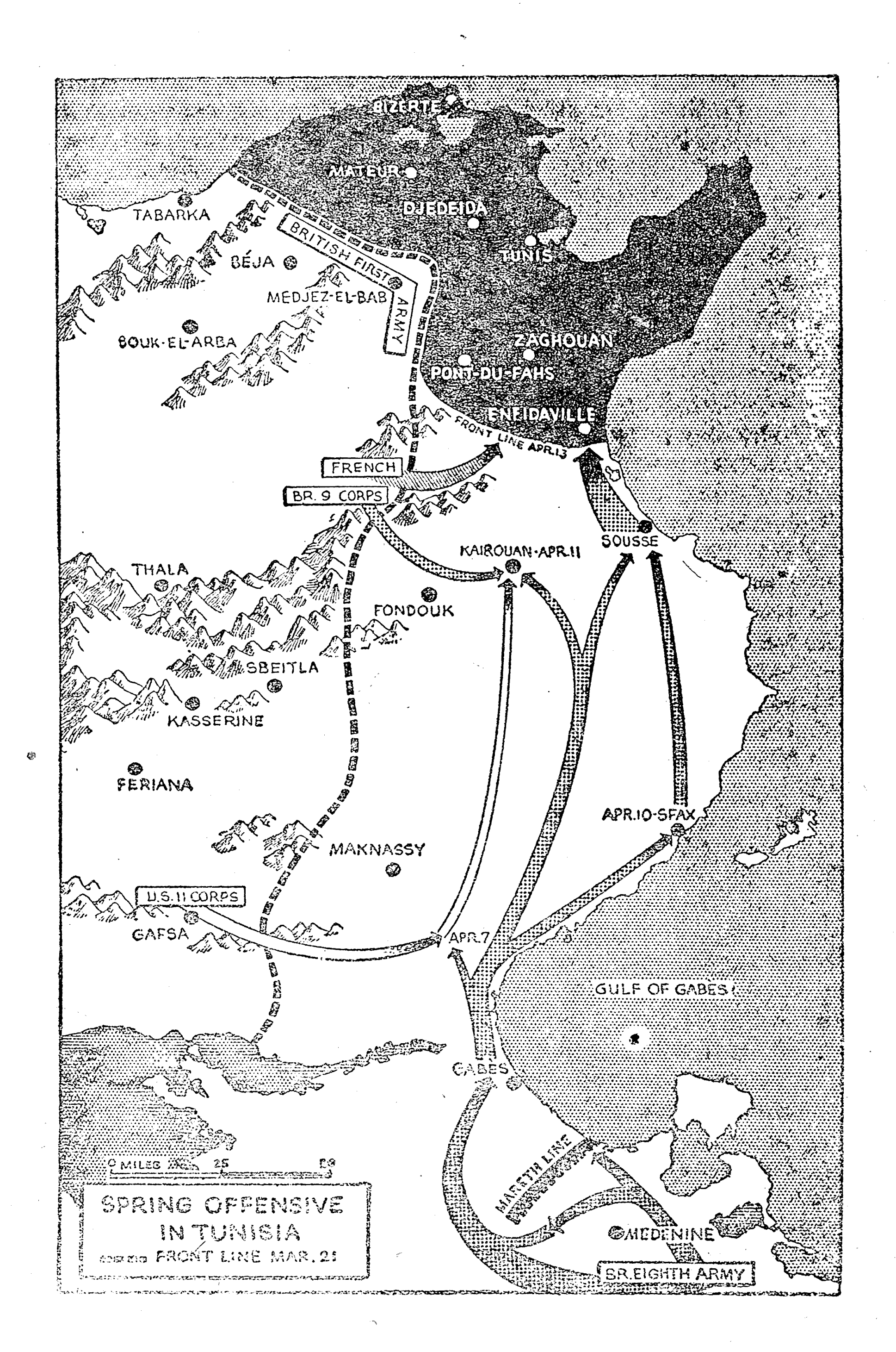
حاول الجنرال الكسندر أن يقوم بعملية لقطع الطريق على جيش رومل شمالا فأعد هجوما يتجه شرقا من ممر فندق الى البحر • فاشترك الجناح الايسر من الفيلق الثاني في العملية التي كانت معظمها انكليزية • والفرقة الاميركية التي اشتركت كانت قليلة التدريب لم يتعود جنودها على تحمل المعارك ومشقاتها • ففشل الهجوم ، ولكن عندما قامت فرقة بريطانية بنفس العمل نجحت بعد فوات الوقت ، لان معظم جيش العدو اجتاز منطقة الخطر شمالا • فكان لهذا التقصير غير المقصود من فرقة اميركية صدى غير مستحب لان الجنرال السير كروكر قائد الفيلق البريطاني وجه انتقادا شديدا لتلك

الفرقة أمام ممثلين عن الصحافة ٠ فكانت هذه الحادثة الوحيدة التي جرى فيها تبادل التهم بين اميركيين وبريطانيين ٠ فعملت أنا والجنرال الكسندر على لفلفة القضية ووضع حد للتهم والاختلافات التي لا يستفيد منها الا العدو الذي من عادته أن يجعل من الحبة قبة ، ليثير النزاع بين عناصر الحلفاء ٠

مع أن سرعة الالمان في زحفهم شمالا جعلت هجوم الجنرال الكسندر قليل الفائدة ، فان خط القتال قصر جدا بعد أن تجمعت قوات المحور في بقعة واحدة ٠ فتمكنا من سحب الفيلق الاميركي الثاني من خط القتال لنشغله في خط آخر ٠

عندما جرى البحث في امكانيات هذا الفيلق ارتأى الجنرال الكسندر مع عدد من أركان حربه أن يرسل الى منطقة قسطنطينة لاتمام تدريبه ، ولكن أنا والجنرال باتون ، مع اعترافنا بأن بعض جنود الفيلق لا يزالون أغرارا اعتقدنا بأن الفيلق بمجموعه خليق بأن يتسلم قطاعا خاصا في خط القتال لما يبدو عليه من معنويات عالية ونزوع للقتال ٠ ولابد أن أكثر الجنودالتهبوا غيظا وحنقا ٠ لا لما تعرضوا له من خشونة وقسوة في المعاملة ، بل لماسمعوه من طعن في مؤهلاتهم كجنود مقاتلين ٠ وبعد البحث رأينا أن الاسرى الالمان كانوا مصدر الاشاعة أن الاميركيين ليسوا خليقين بالحرب ٠

انفردت بالجنرال الكسندر وألححت عليه أن يستعمل الفيلق الثاني بمجموعه كوحدة كاملة ٠ وقدمت الاسباب التي جعلتني اتخذ هذا الموقف وهي أن معظم القوات البرية التي سيقع على عاتقها أمر مقاتلة الالمانستكون من الاميركيين ٠ فالحاجة اذن الى تدريب الجنود على الاشتراك في المعارك على نطاق واسع ليس ضروريا فحسب بل واجبا مفروضا لا مفر منه ٠ فاشتراك الفيلق بمقاتلة قوات المحور في تونس يجب أن يعتبر جزءا لا يتجزأ من التمرينات المتوخاة ، هذا فضلا عن أن الفيلق لم يشترك في المعارك التي خاضها ككل بل كوحدات مجزأة لا تعبر عن امكانياته ٠ ولما كنت أرى أن




هجوم الربيع في تونس
...... خط الجبهة في ٢١ آذار

معنوياته قد تحسنت كثيرا منذ اوائل آذار ، فمن حقه أن يطالب باعطائه فرصة ليبرهن عن فعاليته كجنود وعن فعالية اسلحته الاميركية ٠

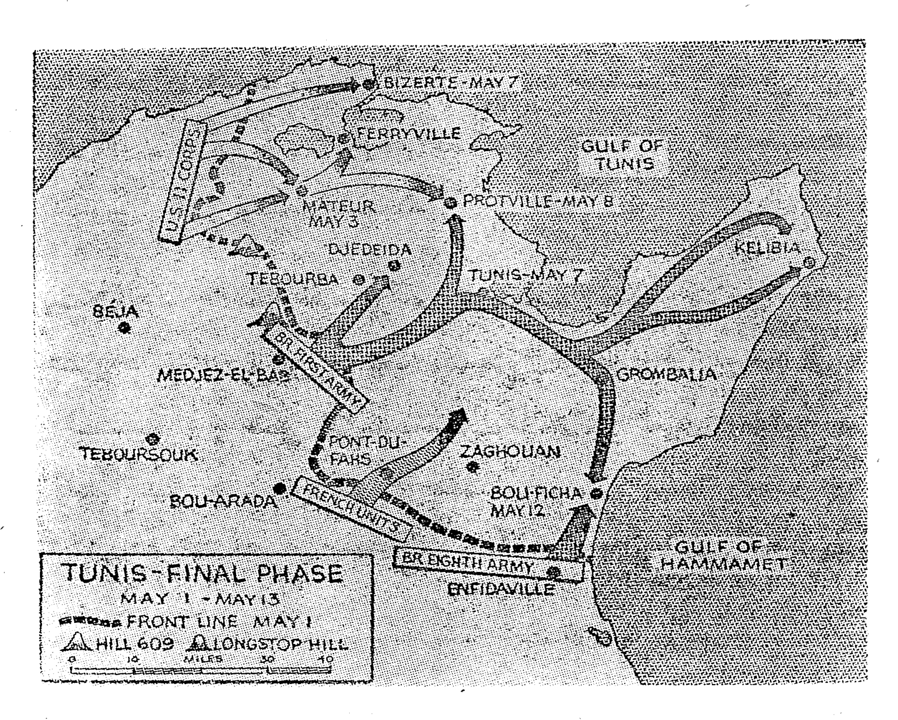
النجاح يخلق الوحدة ، واذا نجح هذا الفيلق باشتراكه في المعركة فان ذلك يؤدي الى جعل الشعب الاميركي بأجمعه أن يشعر بالفخر ، لان ابناءه واسلحته ومعداته التي يرسلها تعطي ثمارا يانعة تقابل التضحيات التي يقوم بها من أجل المجهود الحربي ٠ ووقوف الجندي الاميركي الى جانب الجندي البريطاني في المعركة يؤدي الى التقارب بين الشعبين ٠ واذا سار النصر في ركابهما فانهما يشعران بالفخر والاعتزاز وتزداد ثقتهما بأنفسهما ليتمكنا من خوض معارك أشد وتجارب أقسى في المستقبل ٠

لم يسع الجنرال الكسندر الا أن يوافقني على وجهة نظري ٠ وصمم على أن يستخدم الفيلق كمجموعة واقترح بموافقتي أن ننقله من وسط الجيش الاول البريطاني ونعسكره على شاطيء تونس الشمالي مقابل بزرتا ٠ فعمل اندرسن وباتون على انجاز الامر ، فتم بدون اضطراب او مضاعفات٠وسارت عملية التموين بكل نظام وانسجام ٠

اجريت في هذه الاثناء تغييرا آخر في قيادة الفيلق الثاني ، فعينت الجنرال عمر برادلي قائدا له لاعطي فرصة للجنرال باتون أن يرجع الى مركز قيادة الجيش السابع ويواصل الاستعدادات اللازمة لغزو صقلية الذي سيبدأ مباشرة بعد انتهاء حملة تونس ٠ فاستلم برادلي قيادة الفيلق في ١٥ نيسان سنة ١٩٤٣ بعد أن أصبح معظمه في مركزه الجديد على الشاطيء الشمالي ٠

لما واصل الجنرال مونتغمري زحفه شمالا اصطدم بخط أنفيدفيل وهو مركز حصين جدا استطاع العدو أن يوقف تقدمه وهو متحصن فيه ٠ على أن الامر قد أصبح واضحا ، وهو أننا يجب أن نقوم بهجوم عام من كل الجبهات لنقضي على العدو ٠ ولما تدارسنا الموضوع رأينا أن الكفة اصبحت راجحة في جانبنا من كل ناحية ٠ فقواتنا الجوية قد تزايدت بسرعة وملكت

ناصية الجو حتى لم تجرؤطائرات العدو على التحليق الا تسللا • وهكذا قل عن مدفعيتنـــا التي بلغت من القـــوة والفعالية درجـــة عظيمة • ولمـا تحقق الاسطول انه في أمن من طائرات العدو تقدم أيضا ليضرب العدو من البحر • هذه القوات الثلاث التي تعمل بانسجام والتي تسيرها خيوط صادرة عن مكتب قائد واحد ، جعلت تضرب العدو من الجو ومن البر ومن البحر بـلا هوادة وانقطاع • فقطعت خطوط تموينه ، ولما ظن الالمان أن الهجوم الرئيسي سيقع عليهم من الجنوب ركزوا معظم قواتهم في تلك الناحية ، غير أن الجنرال الكسندر أمر باقتطاع أقوى فرق الجيش الثاني سرا وارسالها الى جبهـــة الجيش الاول في الغرب • وذلك لمنعة خط أنفيدفيل أولا ، وليخدع العدو ثانيا • فتمت هذه الترتيبات في حينها ليبدأ الهجوم العام في ٥ أيار • فكانت النتائج سريعة وحاسمة • فاستطاع الفيلق الثاني الاميركي أن يندفع في وجه




حملة تونس في مرحلتها النهائية

١ ــ ١٣ أيار

•••••• خط الجبهة في ١ أيار

مقاومة عنيفة ويحتل بزرتا في السابع من أيار • والى الجنوب تقدم الجيش الاول البريطاني ، المفروض فيه أن يتحمل العبء الاعظم من الهجوم ، بقيادة الجنرال اندرسن واحتلمدينة تونس في نفس الوقت أي في السابعمن أيار•

في ابان حملة تونس ابدى العدو مقاومة عنيفة في كـل مكان ، ولكننا صادفنا موقعين اثنين ، واحدا في طريق القوات الانكليزية ، وآخر فيطريق القوات الاميركية ، تميزا على غيرهما منعة وصلابة ، وخسرنا فيهما ما لـم نخسره في أي بقعة أخرى في الحملة الافريقية ، وذلـك لمناعة مركزهما الطبيعي وما أبداه جنود العدو من تشبث وعناد في الدفاع ، وأخيرا احتل البريطانيون الموقع الذي دعوه « الوقفة الطويلة » • كما احتل الاميركيون موقع عدد ٦٠٩ • وبذلك برهن الجندي الاميركي على انه لا يقل شجاعة واقداما في المعارك البرية عن غيره من خيرة جنود العالم •

حالما اخترقت قواتنا جبهة العدو ارسل الجنرال الكسندر الوحـدات المصفحة في الجيش الاول لاحتلال شبه جزيرة بون ، وذلك لقطع الطريق على قوات العدو خوفا من أن تنسحب وتتحصن فيها • ومنذ ذلك الحين تحولت الحملة من معركة حربية الى عملية تطهير واخذ اسرى • وفي الثاني عشـر من شهر أيار توقفت كـل مقاومة للعدو • وبلغ عـدد الاسرى الذين وقعوا في قبضتنا خلال اسبوع ٢٤٠,٠٠٠ أسير منهم ١٢٥,٠٠٠ الماني وهكذا قضي على الفرق الالمانية في افريقيا •

أما رومل فيظهر انه ادرك أن لا مفر من الكارثة ، ولهذا فر قبل أن تحل الواقعة في جيشه ونجا بجلده • وفي انتصارنا الساحق على قواته قضينا على الاعتقاد بأن الجيش الالماني لا يغلب • أما فون ارنيم فقد اشرف عـلى تسليم الجنود الالمـان ، بينما الفيلد مارشال مس القائد الاعـلى الاسمي لجيش المحور اشرف بدوره على تسليم الوحدات الايطالية • وعندما وصل

فون ارنيم الى الجزائر في طريقه الى القصر اقترح بعض معاوني علي ان احافظ على عادة قديمة وهي السماح له بزيارتي ٠

عندما كانت جنود المرتزقة تقاتل بعضها طمعا بأجر أو شهرة ، لا بدافع الحقد والعداوة كانت العادة أن يقوم القائد المنتصر باكرام خصمه ، وذلك بانزاله ضيفا عليه لمدة شهر على أساس أن العسكريين المحترفين هم رفاق في السلاح ٠ ويظهر أن شيئا من هذه العادة قد بقي الى القرن العشرين ٠ انما أنا لم أشعر بأي ميل لممارستها ، لان اعتقادا نشأ في ذهني وأخذ يزداد بأن التاريخ لم يشهد حربا عالمية اشتركت فيها امم كثيرة في سبيل غاية واحدة ، وهي الحفاظ على كرامة الانسانية وصونها من الذل والعبودية أمام عدو شرير حقود ، وعليه لم يبق مجال لتساهل أو مجاملة ٠ لانه لا خلاص للعالم الا بتدمير المحور ، وما الحرب ضده الا حملة صليبية بكل مافي اللفظة من معنى الشرف والحرية والاهداف السامية ٠

كنتيجة لهذا المبدأ أمرت الزعيم سترونغ ضابط الاتصال في قيادتي بأن يجتمع بالقادة الاسرى ويأخذ منهم ما استطاعه من أخبار ، لان همي متجه نحو من بقي حرا من القواد الالمان ٠ وقد حافظت على هذا المبدأ الى آخر الحرب ، ولم أقابل أحدا منهم الا الجنرال يودل ، وذلك عندما اتى الى مركز قيادتي في ريمز ليوقع استسلام المانيا سنة ١٩٤٥ ٠ ويومئذ كانت الكلمات التي وجهتها اليه تعني بأنه هو شخصيا سيكون مسؤولا عن تنفيذ بنود الاستسلام ٠

كانت نتيجة الحملة التونسية سارة ، لكن القيادة العامة التي انشغلت في تحضير ما لزم لغزو صقلية لم تفسح مجالا للاحتفالات ، انما اكتفينا باستعراض عسكري في العشرين من أيار لانتهاء امبراطورية المحور في أفريقيا ٠

أدت ضخامة عدد الاسرى الى تأخير الاستعدادات لغزو صقلية ، لان معظم



قوات أميركية تنزل في شواطيء فرنسا الشمالية عند شاطىء أوماها

نقلياتنا الجوية والبرية عبئت لنقلهم الى أماكن اسرهم • ولكن هيئة القيادة العليا وما تعلق بها من فروع تفرغت بكليتها لوضع تخطيط للحملة تحت اشراف الجنرال الكسندر حتى اذا تم كل شيء قمنا بالتنفيذ •

هتف شعوب الامم المتحالفة سرورا عندما وصلها خبر النصر في تونس• ورأى كل صديق وعدو في هذا النصر معنى عميقا ، وهو ان الحلفاء أخيرا بدأوا فيزحفهم • والالمان الذين عانوا الانكسار والخذلان في معركةستالنغراد في فصل الشتاء الماضي بدأوا يتخلون عن خططهم الهجومية في جبهة روسيا مكتفين بخطة الدفاع • وبعد خذلانهم في تونس حصروا جهدهم في الدفاع عمّا في أيديهم لان جوانح مطامعهم قد كسرت •

# الفصل التاسع

# غزو صقليـــــة

اتفق المؤتمرون في الدار البيضاء أن يصار الى فتح طرق البحر المتوسط لسفن الحلفاء • وعلى هذا قرروا أن تكون خطوة الحلفاء الثانية غزو صقلية لانها تكاد أن تشطر البحر المتوسط الى قسمين • وطالما انها في يـد المحور تستطيع طائراته أن تهاجم سفننا وتسبب لها الاضرار والخسائر • واقترح بعضهم أن يصار الى احتـــلال سردينيا وكورسيكا • وعندمـا سئلت عن رأيي في ذلك قلت :

« اذا كانت الغايـة من الحملة مهاجمة البر الايطـالي فالانسب احتـلال سردينيا وكورسيكا ، لانهما تجابهان ايطاليا على طول شواطئها الغربية • فنزولنا في هاتين الجزيرتين يجبر العدو على نشر وتوزيع قواته من الطرف الجنوبي الى أقصى الشمال في مرفـأ جنوى • فيمنعه ذلك عن تجميع قـوة ضاربة في نقطة واحدة تستطيع أن ترد على الغزو بهجوم صاعق وتمنع حدوثه واذا كانت الغاية فتح المتوسط فلابد من غزو صقلية • فوافقني الجنرال مارشال على رأيي لأنه خاف اذا استطعنا النزول في ايطاليا أن يحاول البعض الغاء ما اتفقنا عليه قبلا وهو غزو فرنسا عبر القنال الانكليزي • وشدد كما شددت على غزو صقلية •

عرفنا أنه يوجد في صقلية نحوا من ثلاثمائة ألف جندي ، معظمهم من الايطاليين • ويوجد بينهم أقل من فرقتين المانيتين • بقيت المسألة أن نعرف اذا كان الايطاليون متحمسين للدفاع عن وطنهم أم بقوا على ما عرفناه عنهم

من قلة الاهتمام بالحرب ، لان على ذلك يتوقف تعيين الفرق التي ستشترك بعملية الغزو • وأخيرا تم الاتفاق على أن يشترك جيش أميركي من خمس فرق بالاضافة الى معظم قوات الجيش الثامن البريطاني الذي زيد عليه فرقة كندية أتته من انكلترا • ثم بحثنا نقطة النزول ، وبعد الجدل وتقليب الامر من جميع نواحيه ، صممنا على أن ننزل في ثلاث أمكنة متباعدة من الجزيرة • فيهاجم الانكليز الشاطيء الشرقي ويحاولون احتلال سيراكيوز لانتزاع مرفأها بأسرع ما يمكن ، وينزل الاميركيون في الزاوية الجنوبية الشرقية ، وتنزل قوة مختلطة على الشواطيء الشمالية الغربية • وتعمل هذه القوات الثلاث على الالتقاء في وسط الجزيرة ، ثم التوجه الى بوغاز مسينا • ويكون الجنرال الكسندر القائد العام على جميع القوات البرية • والذي شجعني على وضع هذه الخطة ازدياد قوات الجو والبحر عندنا والتي بفضلها أصبحنا قادرين على تطهير سماء المنطقة من طائرات المحور • واعتمدنا أن نستعمل جنود المظلات بضخامة لم يعرفها تاريخ الحرب من قبل •

تقع الى الجنوب من صقلية جزيرة صغيرة تدعى بنتيلاريا فيها مطار صغير • فرأينا ان لا سبيل الى غزو صقلية قبل احتلال بنتيلاريا • والمهم أن شواطئها خالية من المرافيء ، يصعب اقتراب السفن منها دون أن تتعرض للخطر • وبعد تداول في أمرها قررنا أن نضربها من الجو والبحر بشدة حتى تضطر حاميتها الى التسليم • وبالفعل بعدما قذفناها بما لا يقل عن خمسة آلاف طن من المتفجرات رفعت الحامية الرايات البيضاء واستسلمت • عندها صممت القيادة العليا أن تبدأ غزوة صقلية في اوائل شهر حزيران • وقبل الموعد المعين ذهبت والجنرال الكسندر الى جزيرة مالطا لنشرف على العملية من هنالك •

حسب الترتيب الذي وضعناه على الجدول قررنا أن تنزل في الجزيرة الوحدات التي تحملها الطائرات أولا ، ولما كان بعضها سيمر مقابل جزيرة مالطة ، صعدنا نحن على المرتفعات لنراقب مرورها وهي تتجه شمالا • فرأيناها تتعرض لريح زعزع يدفعها بشدة ذات اليمين وذات اليسار • ولكن أكثرها

ملكت زمام أمرها ، وسارت حسب الخطة المرسومة وعندما غادرتنا مختفية في سيرها شمالا آوينا الى فراشنا نسترق بضع ساعات من النوم ٠

في الصباح بدأت الرسائل تصل الينا وفيها خليط من الاخبار ٠ بعضها سار والبعض الآخر مكــدر ٠ واحداهــا ذكرت بأن بعض طائرات الانزلاق الانكليزية قذفتها الريح بعيدا عن أهدافها ٠ فسقطت في البحر ، وأخرى تحطمت على البر ٠ فأشفقنا أن تكون الخسائر كثيرة ، ولكن الاحصاءات التي وردتنا بعدئذ ذكرت أن الخسائر أقل مما توهمنا ٠ وذكرت رسالة أخرى أن عملية الانزال من البحر من الجانبين تسير بنجاح وتصادف مقاومة معتدلة ٠

وفي الجنوب استطاع المظليون أن ينزلوا عـلى مسافة قليلة من المكان المعين ٠ والذي أدهشني هو التقارير التي وصلت عن نجاح عملية النزول في القطاع الاميركي ، لان العواصف جعلتنا نعتقد أن الاميرال انى كيرك آمر قوافل الهجوم في تلك الناحية سيضطر الى تأخير النزول الى القوارب بضع ساعات أملا في أن يتحسن الطقس ٠ ولم يصدق الاميرال كاننغهام قائـــد الاسطول العام للحملة بأن النزول على البر ممكن في مثل تلك العاصفة ٠ وسار على ظهر مدمرة سريعة يشرف بنفسه على العملية ، وعندما رجع أخبرني أن الفرقة الخامسة والاربعين قامت بعملية انزال من أمهر ما شاهد في حياته البحرية مدة خمس واربعين سنة ٠

حين وصلت التقارير عن المعارك بدا أن العدو قد انخدع ، لانه ظن ان معظم نزولنا سيكون على الشاطيء الغربي لقربه من الشاطيء الافريقي ٠ فحشد قواته هنالك ٠ ولما عرف مكان الهجوم هب بسرعة كعادته ليسحقه ٠ فقامت وحدة آلية مصفحة من مرفأ جيلا واتجهت بسرعة وبدأت تهاجم الفرقة الاولى الاميركيـــة ، وكادت أن تنجح في طردها ورميها في البحر لولا نيران الاسطول التي انصبت عليها بشدة وضعضعت قوتها ٠

ولما اعتقدت ان العدو سيواصل عمليات هجومه المضاد في تلك الجبهـــة

غادرت مالطة في تلك الليلة وذهبت على مدمرة بريطانية لاجتمع بالجنرال باتون والاميرال هويث قائدي البر والبحر في تلك الناحية • وعندما وصلت رأيت أن الالمان قد بدأوا في التراجع ليقووا خط دفاعهم في منطقة كتانيا الحساسة • واستطعت أن أدرك وأنا في موقفي على ظهر المدمرة أن العملية تسير سيرا حسنا • وكان الى جانبي حينذاك مراسلان صحافيان ، أحدهما جو غنثر صاحب المؤلفات الشهيرة • وأرسلت من هنالك برقية الى الفرقة الكندية رحبت بانضمامها الى جيش الحلفاء ، وتمنيت لها كل نجاح • ورأيت أنه لم تحدث من قبل عملية برمائية بمثل هذه الضخامة ، لأنه على مسافة أميال من كل جهة على الشاطيء كانت مئات السفن والقوارب عائمة تحمل الرجال والمعدات • وعندما التفت الى البر رأيت صفوف الجنود تسير الى الامام تحت مظلة هائلة من الطائرات •

اننا بالطبع جعلنا احتلال مضيق مسينا هدفنا الرئيسي ، لان على نجاحنا في ذلك لا يتوقف وصول المدد الى العدو في صقلية فحسب ، بل يمكننا من حصر قوات المحور في الجزيرة واجبارها على الاستسلام أيضا • ويظهر أن العدو قد أدرك غايتنا تلك فقام بسباق يمنعنا فيه من الوصول فرابط في جبل أتنه المشرف على سهل كتانيه الواسع • ولما زحف الجنرال مونتغمري بسرعة شمالا سقط معظم السهل في يديه ومرفأ سيراكيوز أيضا • لكنه عندما اقترب من أسفل الجبل بدأت مقاومة العدو تشتد ، وأخيرا وصل الى نقطة تحقق فيها أن تقدمه أصبح مستحيلا • فصمم على جمع قواته ومعداته في بقعة واحدة ليتمكن من ارسال افواج قوية لتقوم بحركة التفافية من الغرب لانه لم ير أي طريقة أخرى غير هذه تمكنه من الوصول الى هدفه ــ مرفأ مسينا • وفي أثناء مرور جيشه في ذلك السهل تفشى بين جنوده داء الملاريا الذي جعل يفتك بجنودنا على مجال واسع لم نصادفه في أي مكان آخر كل مدة الحرب •

في نفس الوقت كان الجنرال باتون يتقدم بسرعة في وسط الجزيرة .

ثم أرسل وحدة آلية سريعة الحركة ، فاحتلت الشاطيء الغربي ، وسقطت مدينـــة بلبرمو في يدها • ثم اندفعت لاحتـــلال معظم شواطيء الجزيرة الشمالية • فلم يبق في يد المحور الا مرفأ مسينا • فضعفت بذلك معنويات المعسكر الايطالي وأخذ الجنود يستسلمون بالالوف •

ليس من شك في أن باتون طالب حرب حاد الذكاء سريع الفهم ، يقدر السرعة في العمليات الحربية حق قدرها ، لان السرعة تساعد الجنود على اضعاف ما يتمتع به العدو من ميزات • وأهم من ذلك انهـــا تجعل الـــذي يقوم بها أن يستثمر نجاح العملية بعد الاخرى دون أن يترك مجالا للعدو أن يعدل خطوطه ويجمع قواته ليقوم بالهجوم • ونجاح السرعة في الخطوة الاولى يمهد الطريق الى نجاح اسرع في الخطوة الثانية • فيؤدي ذلك أخيرا الى تضعضع معنويات العدو • فالسرعة التي لايعتريها الكلل في ملاحقة العدو تعود على من يقوم بها بأغلى وأثمن جائزة في الحروب •

لضمان السرعة في العمل يجب على القادة والجنود أن يغتنموا الفرص ويندفعوا بتصميم وعناد . وعلى القائد الاعـــلى أن يعد الوحدات والجنود لتعمل بسرعة بعد نجاح كل عملية • وهكذا لايستطيع الجيش أن يعمل بسرعة في الحروب الا اذا أعد القائد الجنود والمعدات والمؤن بكثرة ،وعرف كيف يوزعها على الوحدات • واذا فشل في ذلك عرض جنوده للخطر • ولكنه اذا نجح أحرز أعظم الانتصارات بأقـــل ما يمكن من الاصابات • فالسرعة تتطلب تدريبا وجسارة ومقدرة عـــلى الحركة ، وثقة بالنفس ، ومعنويات عاليـــة ، وقيادة ماهرة ، بالاضافة الى وسائل نقل أبدا تحت الطلب • فالجنرال باتون استعمل كل تلك الحركات والاشياء الفنية بعزم لا يفل • فكان نجاحه ضربة قويـــة زعزعت كيان الدولة الإيطالية • فتصدع بناء موسوليني ، وسقط هو من الاعلى الى الاسفل في أواخر شهر تموز .

في أواخر تموز بدأت المعسكرات الايطالية في الجزيرة تنهار الا ما كان

منها في قبضة الالمان ، فقد بقيت تقاوم . ولكن أبـــدى عنادا وتشبثا في خطوطه في جبل أثنه وقاتل بمهارة ووحشية . والوحدات الآلية والمظليون الذين واجهناهم هنالك كانوا من خيرة ما واجهنا في أثناء الحرب . وكل موقع غنمناه بعد أن دمرناه تدميرا كاملا . ومع ذلك فانه عندما أطبق جيش الحلفاء السابع والجيش الثامن على جبل أثنه أدرك الالمان أن اللعبة قـــد انتهت ، ففروا هاربين وقطعوا مضيق مسينا ، بينما كانت قاذفاتنا تمطرهم بالقذائف . لكن ضيق المضيق ساعدهم على أن ينجوا في ساعات الظلام ، وعليه استطاعت الفرقة الاميركية الثالثة أن تدخل مدينة مسينا في السابع عشر من شهر آب . ثم تبعها أفـــواج من الجيش الثامن وهكذا انتهت حملة صقلية .

لما بدأنا في درس عملية غزو صقلية كـان الجنرال الكسندر يرجو أن قواتنا التـي ستنزل في شرقي الجزيرة تستطيع الاندفاع بسرعة شمالا وتحتل مسينا وتسد طريق النجاة عـــلى جيش المحور . واذا أمكن تقوم بهجوم مباغت على البر الايطالي .

بدأت عمليات مونتغمري على الشاطيء الشرقي تبشر بالخير ، وبدا أن آمال الكسندر ستتحقق ، ولكن عندما وصل مونتغمري الى خطوط الدفاع الطبيعية على سفوح جبل أثنه وجد ان العدو قـــد وضع قوات عظيمة استطاعت أن توقف زحفه شمالا . ولم نتمكن من الوصول بعد ذلك الى مسينا الا بعد أن سبقنا العدو ، على أن مونتغمري لم ينج من الانتقاد وعلى الاخص من قبل الصحفيين ورجال الطيران ، لانهم اتهموه بشدة الحذر . فالانتقاد سهل ولكن من يقوم بهجوم فاشل تقوم حوله الضجة بأنه سفاح، ومن يتحلى بالحيطة والحذر يتهمونه بالجبن . وان مثل هذه التهم لاتستند الى براهين تدعمها . وفي زمن الحرب يجري الحكم على القائد بعد احصاء سجل المعارك التي خاضها ويقابل بين ما احرزه من انتصارات وما عاناه

من خسائر • فاذا رجحت كفة انتصاراته تسجل مهارته واصابة رأيه في الامور • وعليه فان الذين يوجهون التهم الى مونتغمري بأنه قصر في بلوغ مأربه كاملا يجب على الاقل أن يعترفوا بأنه لم يذق مرارة انكسار كبير في أي معركة خاضها • واني قد درست ما احاط بمعركة أثنه من مضاعفات بكل دقة مع كل من مونتغمري والكسندر وتبين لي ان أي هجوم على مواقع العدو سيمنى بالفشل ، هذا اذا أخذنا بعين الاعتبار ماكان بين أيدينا من موارد في أواسط شهر تموز . ويجب أن نتذكر ان هنالك بون شاسع بين الحذر والجبن • كما ان هنالك بون بين الشجاعة والتهور •

برزت في معركة صقلية صفات الجنرال برادلي كقائد عسكري بين القواد الاميركيين ، ولذلك لما سألني الجنرال مارشال في أوخر شهر آب عمن أقترح بأن يعين قائدا للجنود الاميركيين في الجزر البريطانية أجبت مباشرة : « اذا أردت الصحيح يجب أن تختار برادلي ، واني سأبدأ من الآن بالعمل على انهاء مهمته معي » ، وعليه غادرنا الجنرال برادلي بعد مدة وجيزة الى انكلترا •

لم تكن حملة صقلية مجرد احتلال جزيرة ، لانه كان لها دوي عميق في جميع أنحاء ايطاليا ، فاهتزت أركانها وسقط مسوليني « الفشار » عن كرسيه ، وانتشرت النقمة والفوضى في الامة الايطالية ، وبدا ان ايطاليا صممت على الوصول الى السلام بأهون الطرق ، فحل المارشال بييترو بادوليو محل مسوليني في رئاسة الحكومة ، وبدا من تصريحاته الاولى انه مصمم على متابعة الحرب ، لكننا عرفنا بأن تصريحاته جاءت لتهدىء من غضب الالمان ،وليعطي الايطاليين فرصة لينجوا من عقاب حليفتهم الشريرة•

كان أمل الايطاليين ضعيفا بعقد صلح انفرادي ، وذلك لان حكومة مسوليني فتحت جميع أبوابها ومغالقها أمام الالمان ، فأصبح خبراؤهم ومستشاروهم في كل زاوية ودائرة ، لا تخفى عليهم خافية ، فاذا حاولت

الحكومة الجديدة التفلت من قبضتهم أثارت غضب هتلر ودفعته الى الحاق الضرر العظيم بالشعب الايطالي وممتلكاته • فاحتال المارشال بادوليو على المشكلة بأن أرسل الى لشبونة عاصمة البرتغال من يفاوضنا سرا • فأرسلت ضابطين لي ملء الثقة بهما من أركان حربي وهما رئيس أركان حربي الجنرال سميث ، ورئيس قلم الاستخبارات في قيادتي الجنرال كنث سترونغ ، لينوبا عني في اجراء الترتيبات لاستسلام القوات الايطالية بدون قيد أو شرط •

بدأت عندئذ سلسلة من المفاوضات والاتصالات السرية ورحلات الوكلاء الخفية من الجانبين ، وجرت عدة اجتماعات في الزوايا البعيدة عن الانظار ، وجرى من العقد والمفاجئات فيها ما يشبه الاساطير الخيالية ، وذلك لما أحاطنا من مؤامرات متنوعة ، وكلما أحبطنا واحدة حيكت الثانية ، وذلك نتيجة لميوعة الموقف وتغير الاحداث • ومن هذه المؤامرات واحدة جرى الاتفاق بموجبها على أن تنزل قوة كبيرة من جيشنا من الجو في ضواحي روما • وبعد أن هيأنا كل شيء ، طلبت الحكومة الايطالية منا أن نوقف العملية • ولا أزال أجهل السبب الذي دعا الايطاليين منا أن نوقف العملية • ولا أزال أجهل السبب الذي دعا الايطاليين الى أن ينقضوا الاتفاقية ، أهو خوف المسؤولين هنالك ، أو لأن الالمان اكتشفوا بطريقة ما بعض ما يحاك وراء ظهورهم •

على أثر ذلك أرسلنا الجنرال ماكسول تيلر الذي أصبح فيما بعد قائدفرقة المئة والحادية من المظليين ــ سرا الى روما • فتعرض لاخطار هو ومن صحبه مما يضيف فصلا جديدا على هذه الرواية المثيرة والمجازفات التي مر فيها لم يحدث لها مثيل مع أي رسول من قبلي ، لانه تحمل مسؤوليات جسيمة ، ونفذها بكل حذر وحسن تدبير ، بينما كان في كل لحظة معرضا لاكتشاف أمره وادانته بالموت •

ان الايطاليين أرادوا الاستسلام ، ولكنهم أرادوا أن لا يجري ذلك ويعلن الا بعد أن تنزل قوات ضخمة من جيوش الحلفاء في ايطاليا ، حتى تستطيع

الحكومة نفسها النجاة من نقمة القوات الالمانية • ولذلك طالبوا بأن نطلعهم بالتفصيل على ما بيتناه من خطط • فأبينا عليهم ذلك خوفا من الخيانة •• أضف الى ذلك اننا كنا أعجز من أن ننزل في بلادهم القوات التي اقترحوا انزالها كضمانة لسلامتهم • فلم تتصور السلطات العسكرية الايطالية أننا نستطيع أن نعمل شيئا بأقل من خمس عشرة فرقة ، بينما نحن صممنا على أن لا ننزل الى البر الايطالي أكثر من خمس فرق •

بينما كانت تلك المفاوضات تجري ، استطاع مونتغمري أن يتسلل مع فرقتين عبر مضيق مسينا في احدى الليالي دون أن يلقى أي مقاومة ، وهكذا أصبح غزو الحلفاء للقارة الأوروبية أمرا واقعا • جرى ذلك في الثالث من شهر ايلول أي بعد عشرة أيام مما قدرت أنا سابقا • ولكن التحضير لعملية هجوم برمائية يستهلك الوقت بسرعة ، مع أنه لو أسرعنا أكثر من ذلك لما واجهنا مشكلة ساليرنو • على أن ما حققناه كان يدعو الى التفاؤل ، لان ذلك سمح لنا أن نستعمل المواعين التي نقل مونتغمري فرقه عليها في الهجوم الكبير الذي وضعنا له الخطة • فبدأ يزحف من رأس ايطاليا الجنوبي شمالا ، بينما جعلت قوات العدو تضع العراقيل في سبيل تقدمه ، وهي ترقب بحذر المكان الذي اخترناه للغزوة الكبرى •

بعد طرد موسوليني أوقفنا غاراتنا على ايطاليا برهة من الزمن ، وأعلنا أنا نريد أن نعطي فرصة للحكومة الايطالية الجديدة أن تتجنب التدمير الذي ينتظر بلادها ، وذلك بقبولها الرضوخ لشروطنا والاستسلام بدون تأخير • فأثار اعلاننا هذا الاحتجاج في لندن التي ذكرتنا بأن القائد الاعلى لحملة ما في العصر الحديث لا يبعد أكثر من سفر ساعة عن عواصم الرأي العام ، وأي رحمة يبديها نحو العدو تثير الشعوب ضده • والحقيقة أننا لم نتوان عن قذف ايطاليا الا لانشغال طائراتنا بنقل الجنود والمعدات استعدادا لغزوها • ولم يكن اعلاننا الا من قبيل الباس الضرورة ثوب الفضيلة • لاننا حالما استرجعنا حريتنا للعمل جددنا حملاتنا الجوية بنشاط وفعالية •

من المقرر أنه كان لا مهرب من غزوة كبرى لايطاليا ،ولم نجد في كل الشاطيء الايطالي الواقع بين روما والرأس الجنوبي أفضل من ساليرنو •

وأمر غزونا لساليرنو شيء يتوقعه العدو لانه واقعي وممكن ، واذا توقعه يستطيع أن يجمع قواته ليصدنا ، واذا رمينا بأبصارنا الى أبعد من ذلك شمالا يصبح من المستحيل على مقاتلاتنا أن تحمي ناقلات الجنود والاسطول فقررنا اذن بحكم الضرورة النزول في ساليرنو ٠

كانت المفاوضات لا تزال جارية بيننا وبين الحكومة الايطالية بشأن التسليم بصورة معقدة ، لانها تناولت مستقبل الاسطول الايطالي وما تبقى من قواتها الجوية ، ومصير جيوشها البرية المنتشرة في بلادها وفي كل شبه جزيرة البلقان ، كما تناولت امكانية رد الفعل الالماني عندما يعلم استسلام حليفتها ٠ وبعد أخذ ورد تم الاتفاق على أن نعلن أنا وبادوليو استسلام ايطاليا في مساء الثامن من ايلول ٠ وقد اخترت ذلك التاريخ لاننا صممنا النزول في ساليرنو في منتصف ليل ذلك اليوم ٠ ولتفرغي للعمليات الحربية وكلت رئيس أركان قيادتي بتلك المفاوضة الطويلة المنهكة ٠

جرى كل شيء طبيعيا ، حتى ظهر الثامن من ايلول حين استلمت رسالة سرية من بادوليو يخبرني فيها بأنه غير قراره على أساس ان السرعة باعلان استسلام بلاده يعطي فرصة للالمان بأن يقبضوا عليها بيد من حديد ، وينزلوا قصاصهم الشديد في كل شخص تحوم حوله الشبهات ٠ فرددت على رسالته فورا بأنني صممت على أن أعلن اتفاقي معه على استسلام ايطاليا واذا هو تردد بدوره يترك ايطاليا وحيدة ضعيفة في الساحة تتحمل غضب الالمان كما تتحمل غضبنا ٠ وبالفعل أعلنت استسلام ايطاليا في الساعة السادسة والنصف من ذلك المساء ٠ ووضعت بادوليو أمام الامر الواقع ٠ فاضطر هو بعد ساعة ونصف من ذلك أن يعلن بصوت خائف مرتجف ما أعلنته أنا ٠

لم يغير ذلك الاعلان شيئا في خططنا ، لأنا علمنا من قبل بأن المعسكر الايطالي في ساليرنو قد أبدل بقوات المانية قوية جدا٠وأنبأنا قلم استخباراتنا أن نزولنا سيصادف مقاومة عنيفة تبلغ الذروة بعد اليوم الرابع من نزولنا٠

تم العزم على الغزو بقوة أربع فرق بالاضافة الى فرقتين لا تزالان بعيدتين

في الجنوب ، لبلاد فيها أكثر من خمس عشرة فرقة المانية • ولم نجرؤ على مثل هذه المجازفة الا لتأكدنا بأنا نستطيع الحاق فرق أخرى بها ، ولايماننا بأن سلاحنا الجوي يستطيع أن يضرب كل شبر من الارض التي يعسكر فيها العدو ، ويمهد الطريق أمام هجوم فرقنا • هذا بالاضافة الى الاسطول البحري الذي يرافق سفن الانزال ويقف دائما على قدم الاستعداد ليدك بمدفعيته الحصون ويسبب الدمار للقوات التي تجابهنا •

سارت عملية الهجوم وما عقبها من نشاط في القتال حسب ما تنبأ قلم استخباراتنا • فبدأ القتال حادا وقصيرا أول ما وصلنا الشاطيء ، ولكن قواتنا استطاعت أن تصل اليابسة رغم كل مقاومة • وبعد خمسة أيام استطاع الالمان أن يحشدوا قوة عظيمة ويقوموا بمجهود عام لرمينا في البحر وبدأت اذاعات الالمان تسخر من عملنا وتتهكم على ما ارتكبناه من مغامرات فاشلة ، وتتنبأ بأن مصير حملتنا على ساليرنو الدمار والهلاك •

كان هجوم الالمان في الثالث عشر من الشهر عنيفا جدا ، فحمي القتال الى درجة رهيبة • واشتد ضغطهم في الوسط ، وفتحوا فيه فجوة كبرى، وتقدموا الى أن أصبحوا على مسافة ثلاثة أميال من البحر • فاكفهر الجو وساد العبوس وأخذت الحوادث تنذر بشر مستطير ، وعلى الاخص عندما فوجئت الفرقة السادسة والثلاثون الاميركية بضربة من ناحية لم تتوقعها ، واصيبت بخسائر فادحة قبل أن تستطيع لملمة نفسها وامتلاك روعها • وبدا في وقت ما بأن قواتنا الغازية ستنشطر الى شطرين ، حتى أن الجنرال كلارك فكر بنقل مركز قيادته الى البحر ثانية ليستطيع أن يشرف على سير المعركة من الجناحين المشطورين ، وابرق يأخذ رأينا في ذلك • ففسر البعض برقيته بأنه ينوي انهاء الغزوة والاقرار بالفشل ، على أن حقيقة الامر انه لم يدر أبدا في خلد كلارك ولا في خلد الجنرال ماكريري قائد القوات البريطانية أن ينسحبا وبدأت بعد ذلك تصل تقارير تشرح الكثير عن الهجوم الالماني • فصدرت عندئذ الاوامر الى مارشال الجو تدر أن يركز قوته الجوية ، ويأمر كل آلة تستطيع الطيران ان تقوم بضرب شديد على النقط الحساسة في التجمعات الالمانية • فوجه سلاح الطيران ضربات اليمة في الوقت المناسب على المكان

المناسب ، فأصابت من الالمان مقتلا في الرابع عشر من الشهر • فضعضعت الجيش ودمرت مواصلاته واحرقت مؤنه ، فدبت الفوضى في صفوف الالمان ولم يستطيعوا أن يقوموا بهجوم يهدد مركزنا • فتنفست جنودنا الصعداء وملكت روعها وبدأت بالزحف ثانية • غير أن حدة القتال لم تخف لانه بعد أن ثبتنا اقدامنا في ساليرنو توجهت ابصارنـا الى هدفين رئيسيين • الاول احتلال نابولي لاهمية مرفأها لاسطولنا وبحريتنا • وثانيا الاستيلاء عـلى مطار فوجيا لنتخذ منه قاعدة لضرب اواسط أوروبا التي لم يستطع طيراننا أن يصيبها بسوء من قواعده في الجزر البريطانية وافريقيا •

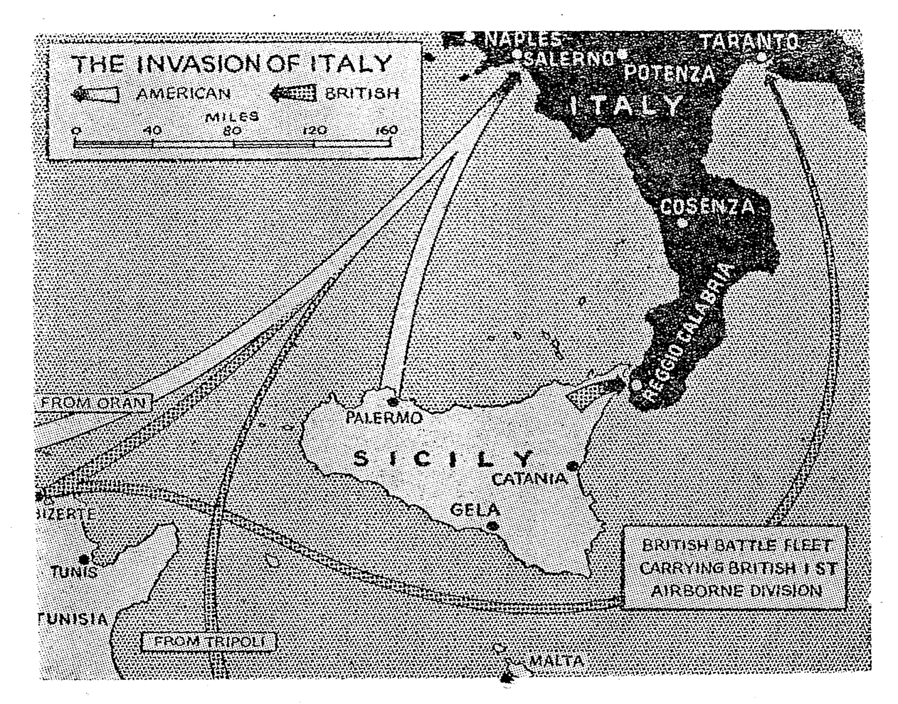
بعد انتهاء حملة صقلية تحققنا انه لابد من الاستيلاء على مطار ما في ايطاليا ليسهل علينا مهمة احتلال ساليرنو • وبعد أن رأينا العدو يجمع قواته هناك صممنا أن نحتل مطار فوجيا الواقع عند كعب قدم ايطاليا الشرقي في جوار تورنتو • ولكن المشكلة هي اننا بعد نجاحنا في صقلية غادرت جبهة المتوسط أربع فرق أميركية وثلاث فرق انكليزية الى بريطانيا لتشترك في غزو فرنسا حسب ما سبق ووضعنا من خطط • فلم يبق لدينا الا فرقة واحدة لم تشترك في ساليرنو ولا مع قوات مونتغومري في الجنوب • فصممنا أن نستعملها في غزو تورنتو عند أخمص قدم ايطاليا • وتعهد الاميرال كاننغهام كعادته بالابحار نحو المرفأ الايطالي غير هياب ولا وجل من ألغام ولا مفاجئات • فسار وقبل أن يدخل الميناء التقى بمعظم الاسطول الايطالي ، وكانت ساعة تكهرب الجو فيها • فاحتار الاسطول الايطالي بين السكوت والمقاومة • ولم يكن قد تلقى الاوامر بالاستسلام • وأخيرا رأى أن ينسحب ، فدخل كننغهام بأعصاب هادئة وانزل فرقة المظليين على البر دون أي مقاومة • فأصبح لنا بذلك ثلاث جبهات في ايطاليا •

خفف نزولنا في ساليرنو الضغط من أمام مونتغومري • فتقدمت جنوده بسرعة حتى تمكن في السادس عشـر من الشهر أن يتصل جناحـه الايسر بميمنة جيش ماكلارك قرب خليج ساليرنو • بينما اتصل جناحـه الايمن بفرقة المظليين البريطانية ، واندمج معها ونجح في الاستيلاء على مطار فوجيا في نفس الوقت •

بعد استسلام ايطاليا نشأت حالة جديدة في القسم الشرقي من البحر المتوسط أثارت اهتمامنا ، وخلقت نقاشا بين نظريتين مختلفتين لم يبت بصحة أي منهما حتى الآن . وهي أنه وجد في جزر الدودكنيز الواقعة على مقربة من المياه التركية معسكرات ايطالية . فبعد استسلام ايطاليا رأينا أن تلك المعسكرات أصبحت من ضمن الجيش الايطالي الذي أعلن استسلامه ، ففكر الحلفاء بالاتصال بهم ليروا اذا كانوا مستعدين ان يدافعوا عن الجزر التي في حوزتهم . فتبين أنهم بعيدين عن أي نوايا حربية ولا يهمهم من يصبح سيدا للجزر . فارتأى رئيس وزراء بريطانيا أن يرسل جزءا من قواتنا لحمايتها خوفا من أن تقع في أيدي الالمان . فقاومت أنا ذلك الرأي لاني احتاج في الجبهة الايطالية الى كل جندي وكل طائرة وبندقية . واعتقدت أن الاهمية الاستراتيجية لتلك الجزر لا تضارع جبهة ايطاليا ، ولا يجوز أن نضعف قواتنا هنا للاستيلاء على جزر نائية لا تنفع ولا تضر . ولكن رئيس الوزراء البريطاني ألح بوجوب احتلال الجزر . فارتؤي أخيرا أن يعقد مؤتمر في تونس بيني وبين الجنرال ميتلاند ويلسن قائد عام القوات البريطانية في الشرق الاوسط الذي يقول بصحة رأي المستر تشرشل .

عقد المؤتمر وشرحت وجهة نظري التي لم يستطع أن يناقشني في صحتها أحد . وبناء على ذلك أبيت أن أقتطع من قواتي جنودا ولا طائرات للاستيلاء على الجزر . فاغتنم العدو هذه الفرصة واحتلها هو . ولا أزال أعتقد حتى الآن أن احتلال الالمان للجزر لم يفدهم شيئا ، ولو احتللناها نحن لخسرنا قسما من جنودنا نحن بأشد الحاجة اليه في معركة حياة او موت .

قام في وجهنا منذ استيلائنا على صقلية مشكلة أخرى ، وهي اقامة ادارة حكومية مدنية لتستلم زمام الامر من يد المسؤولين العسكريين . ولما كانت حكومتانا قد سبق واحتاطتا للامر دربت كل منهما عددا من الفنيين في الادارة اذ فتحت المدارس الخاصة لذلك . وعندما بدأنا نستولي على المناطق الالمانية




غزو ايطاليـــا

أخذ هؤلاء الاداريون يتسلمون شؤون الحكومة فيما وراء صفوفنا • ولابد من القول أن نجاحهم او فشلهم يؤثر على عملياتنا الحربية • لانهم اذا عرفوا كيف يستميلون الناس ويقنعونهم بأن يخلدوا الى الهدوء والسكينة فانهم يضمنون لنا سلامة المواصلات • واذا فشلوا واستفزوا الاهلين فقد يركن هؤلاء الى عمليات التخريب والتدمير واغتيال الجنود وغـير ذلك مما يخلق الفوضى والتشويش • ولا يسعني الا أن اثني على الجهود التي أبداها هؤلاء الفنيون الذين أصبح لهم شأن عظيم بعد أن احتللنا المانيا •

# الفصل العاشر

## مؤتمر القاهرة

وصلتنا الاخبار ونحن لا نزال في ابان معركة ساليرنو بأن الرئيسين روزفلت وتشرشل قد صمما على عقد مؤتمر مع اركان حربيهما هذه المرة في القاهرة خارج منطقة صلاحياتنا ، ولكن طلب الينا ان نعمل على تأمين مرور الوفود ، بالاضافة الى استقبالهم وتقديم المسكن وما شاكل من حقوق الضيافة . وبدأت جماعات من البوليس السري تفد علينا لتؤمن حياة الرئيس بتحريها كل الاشخاص والامكنة التي قد يمر فيها ، فبدأت اولا بدرس الاحوال الشخصية لكل موظف في دائرتي .

تسربت المعلومات بطريقة مبهمة عن مؤتمر القاهرة واخذت الصحف تردد بعض النقط التي ستبحث فيه . والذي جعلنا ان نقف مدهوشين هو ان اكثر ما جاء في الصحف كان مطابقا للواقع ، الامر الذي جعل الدوائر المسؤولة في واشنطن ولندن ان تقترح على الرئيسين بعد أن تركا عاصمتيهما متوجهين الى البحر المتوسط ان يغيرا مكان الاجتماع الى مالطة أو الخرطوم ، خوفا على حياتهما من عملاء المحور . فأبرقت انا عندئذ الى الرئيس انصحه بأن يعقد المؤتمر في الوقت والمكان المتفق عليهما ، لان المحافظة على حياتهما لاتتوقف على المكان بل على مايتخذه المسؤولون من احتياطات وحراسة . واذا كانت امكانيات اميركا وبريطانيا اعجز من أن تؤمن الحراسة على حياتهما ، رغم ما اتخذ من حذر وحيطة ، فلا كان المؤتمر .

سبق المستر تشرشل الرئيس روزفلت في الوصول الى منطقتنا .



فريق من القوات الامريكية ضد المدرعـــات يطلقون النار
من مخبئهم على قلعة فوغافيل

واجتمعت به مطولا في مالطة • وبعد البحث وافقني على أن يعقد المؤتمر في القاهرة حسب الاتفاق ، وابرق للرئيس الاميركي بهذا الخصوص ، ولما صحب رئيس الوزراء عدد من مستشاريه العسكريين تدارست معهم عددا من المواضيع التي تتناول الحالة الحربية في الحاضر والمستقبل •

كان المستر تشرشل على سجيته حاضر النكتة ظريف المعشر • واني اقولها بصراحة اني لم اجتمع على أية وليمة بشخص يلذ حديثه للسامعين ويثير فيهم الاهتمام والشوق الى الاستماع كرئيس الوزراء • فهو يتنقل في تعليقاته عن الحوادث الى الاشخاص ويجرح ويؤلم بتهكمه • ويمدح ويطري كيف شاء وفي كلا الحالين ظرف وفتنة . ومما ذكر في تلك العشية انه ينتظر وصول الرئيس بكل شوق وأمل ، كيف لا وهو يستمد منه الالهام في معالجته المشاكل الحربية وما يعقبها من تطورات بعد الصلح • وتوقف أخيرا عند الموضوع الذي يحلو له ، وهو مهاجمة المانيا من اضعف النقط وتوجيه الضربة الى معدتها حيث لا درع ولا تحصينات ، ومازالت اليد على المحراث • فمواصلة الهجوم من الجنوب اضمن ، لان هتلر اقام جهازا دفاعيا في الشمال يصعب التغلب عليه • وكم مرة سمعته يردد كلما ذكرت أمامه خطة الغزو من الشمال ، « لنحذر من أن تصطبغ امواج الاطلسي بدماء الشبيبة الاميركية والانكليزية ، أو تغص الشواطيء بما يتراكم عليها من أجسادهم » •

كلما سمعت السيد تشرشل يتحمس لغزو اوروبا من الجنوب ، ويصاب بالبرد اذا ذكر الغزو من الشمال ، يدور بخلدي ان هنالك سببين يجعلانه يطري الاولى ويزهد في الثانية وينهى عنها ، فهو ينظر الى الامور بعين السياسي ويرى ان الهجوم من الجنوب يبقي البلقان في حظيرة الغرب لئلا تبتلعه روسيا • وانا كجندي أنظر الى الامور بعين العسكري الذي يريد أن يسحق خصمه بأقرب الطرق ،والسبب الثانيهو اثبات صواب نظريته بأن الهجوم على غليبولي في الحرب العالمية لم يفشل لخطأ في الستراتيجية، انما الخطأ في طريقة التنفيذ • وليبرر نفسه يريد ان تغزى اوروبا من الجنوب ، واذا نجحت العملية صحت خطته في الحرب الاولى وتخلص مما وجه اليه من انتقادات .

في قصر الفرسان القدماء في مالطا علق مستر تشرشل على صدري وصدر الجنرال الكسندر وسامين خصيصا لنا بانعام من الملك • فشكرناه على ذلك • وعلق أحد الحضور بقوله انه لو صدر مثل هذا الانعام في القديم لخرج الفرسان بعرض عظيم والجرت حفلة مبارزة وسباق وانتهت بالشراب والعربدة •

دعيت بعد مدة وجيزة للذهاب الى وهران لاستقبال الرئيس روزفلت • ولما وصل على ظهر سفينة نقلناه بطائرة الى قصر على الشاطيء التونسي يدعى الدار البيضاء • وكان الرئيس يومئذ يتمتع بصحة جيدة وحالة من التفاؤل والثقة بالمستقبل • فصرف هنالك يوما تفقد فيه ساحات المعارك التي خضناها في تلك الناحية • وكان يتحدث عن الحروب القديمة وتطرق الى ذكر معركة زاما التي‌حدثت بين هنيبال والرومان • وانتهينا الى الاتفاق على انها حدثت في احدى تلك السهول وليس في منطقة جبلية لاتستطيع الفيلة أن تلعب دورا مهما فيها • وكان حديث الرئيس عن التاريخ يضفي على الموقف جوا من الانس والسرور • وبينما كنا نتحدث التفت الي بغتة وقال : « لو عرض أحد عليك رهانا منذ سنة بأن الرئيس‌روزفلت سيأتي لتناول الغداء على قارعة الطريق في تونس ، فماذا كنت تفعل ؟ » وبالطبع لم يصدر ذلك السؤال عنه الا تنويها بما يشعر به من السرور لما رافق خطواتنا من نجاح • ثم نوه بأنه يشعر بالخيبة لان الانتخابات في الولايات المتحدة حدثت قبل غزو افريقيا • وانتقل الى الحديث‌عن دارلان وبواسون وجيرو ثم الى ايطاليا وموسوليني ، واطلعني عما أصابه من قلق في أثناء معركة كسارين • وتحدث أيضا عما يقوم بينه وبين المستر تشرشل من خلافات في وجهة النظر ، واردف يقول : « لايمكننا قط ان نعثر على حليف أفضل وأصلب من ذلك « الثوري الرجعي » . وبينما كان الانس باديا على الرئيس‌في حركاته‌وسكناته تقدم أحد أفراد البوليس‌السري‌وقال : «ياسيدي الرئيس أطلت المكوث هنا أكثر مما ارغب ، يجب أن تنصرف الآن » • فابتسم عندئذ وقال : « ما اسعدك يا أيك بقلة الاسياد الذين يتحكمون في حركاتك وسكناتك » •

عارض البوليس في تجـول الرئيس في ساحات المعارك خوفا عليه مـن طاريء يحدث ، أما أنا فقد تأكدت أنه بعيد عن كـل خطر لانه لم يعلن عن زيارتـه الى هذا المكان ، ولو فعل لما كان مستبعدا ان يترصده أحـد ليفتك بـه ٠

لأنقذ الجنرال مارشال والاميرال كينغ من الرسميات المتحتمة عليهما وهما في حاشية الرئيس ، دعوتهما لضيافتي في دارتي الصغيرة ، فسري عنهما ٠ وفي أثناء الحديث أخبرني الاميرال كينغ انه كان قد تم الاتفاق على تعيين قائد بريطاني للغزوة المتوقعة لفرنسا ، ولكن لما ظهر للرئيس روزفلت أن معظم القوات التي ستقوم بها هي من الاميركيين ، أبلغ رئيس الوزراء أن الرأي العام الامريكي يحتج اذا كانت الحملة اميركية في معظمها ولكن قيادتها في يد انكليزي ، فلذلك هو لا يقبل الا بتعيين قائد أميركي ٠ فقبل المستر تشرشل على مضض لانه سبق ووعد ألن بروك بالقيادة ٠ وبناء على ذلك فستصبح القيادة في البحر المتوسط بيد أحد القـواد الانكليز ، لان معظم الجنود هنا من البريطانيين ٠ ومضى كنغ قائلا : ان الرئيس ينوي أن يعين الجنرال مارشال قائدا لغزو اوروبا ، ولكنه هو ( كينغ ) عارض في ذلك لان انشغال مارشال في القيادة بعيدا عن الجبهة الداخلية في أميركا وعن هيئة قيادة الحلفاء العليا تكون له نتائج وخيمة ٠

بدا من الجنرال مارشال صمت وحيرة بينما كان الاميرال كينغ يتكلم ، وخصوصا عندما ذكر أن غياب الجنرال مارشال عن المسرح الداخلي يهون اذا حللت أنت يا أيك مكانه ٠ فتذكرت عندئذ ما لمح المستر تشرشل في مالطة الى انني سأغادر جبهة المتوسط بعد قليل الى اميركا ٠

لابد من القول أن المستر تشرشل امتعض من فشله في تعيين صديقه بروك قائدا للحملة ، لكنه أبدى تفاؤله في تعيين الجنرال مارشال ، لان ذلك يؤكد لنا أن الحكومة الاميركية سترمي بكل ثقلها وامكانياتها في هذا المشروع ،

فيعجل ذلك في عملية القضاء على المحور • وأكد لي سروره بما تم في المتوسط من نتائج مفرحة • ولكن من الانصاف أن يعين من الآن وصاعدا قائد بريطاني في هذه الجبهة ما دامت أميركا ستتسلم القيادةفي العملية الكبرى عبر القنال•

في صباح اليوم التالي لحديث كينغ اجتمعت بالرئيس روزفلت ، فطرق موضوع الغزوة الكبرى ، وأظهر بوضوح أن الرأي العام الاميركي يعلق عليها أهمية عظيمة • ثم أردف بأنه يصعب عليه الاستغناء عن الجنرال مارشال الذي يتمتع بشعبية عظيمة في أميركا ، هذا بالاضافة الى ما يتحلى به من سداد رأي • وختم بقوله:« من السخف أن نلعب بالنار ونقوض أركان فريق تجلت مهارته في لعبة ، لنقيم مكانه فريقا نجهل امكانياته » • فلم أزد ببنت شفة على القول بأني سأبذل كل جهدي في أي مكان ترغبه حكومتي •

في اليوم التالي غادرنا الرئيس وحاشيته الى القاهرة بعد أن ترك لي كلمة بأن ألحق به الى هنالك في ظرف يومين او ثلاثة ، ومعي هيئة أركان حربي ما عدا الكسندر الذي أصيب بالمرض • وبناء عليه ذهبنا الى القاهرة لنشرح وجهة نظرنا في حملة البحر المتوسط •

في مثل هذه الاسفار كنت أصطحب معي نفرا من حاشيتي لأوفر لهم بعض وسائل الترفيه بعد ما تعرضوا له من ضغط في العمل ، وهذا ما فعلته في هذه الرحلة الى القاهرة •

تبين في أثناء المؤتمر أن وجهات النظر متفقة بين جميع الفرقاء الا على نقطة واحدة وهي أن الانكليز قالوا بوجوب استغلال الحملة الايطالية الى أبعد مدى ولو أدى ذلك الى تأخير غزو فرنسا من الشمال • فرفض الاميركيون البحث في أي شيء يؤدي الى اضعاف أو تأخير الغزوة الكبرى ، على أنهم مستعدون أن يتعاونوا مع الانكليز ما أمكن في المتوسط ، ولكن ليس على حساب ما هو أهم ، وقال الانكليز انه اذا شدد الحلفاء النكير على ايطاليا ودعموا قواتهم بالرجال والمعدات كما يلزم فان غزو فرنسا عبر القنال يصبح ثانويا • لان المانيا قد تنهار تحت الضربات المسددة اليها من الجنوب •

ارتأى رئيس الوزراء وبعض مستشاريه العسكريين أن لا لزوم للتعرض لاخطار حملة برمائية ثانية طالما أن اقدامنا قد أصبحت ثابتة في البر الاوروبي واذا واصلنا ارسال الجيوش والطائرات والمدرعات الى ايطاليا فاننا نستطيع غزو يوغوسلافيا واحتلال كريت وجزر الدوديكانيز وبلاد اليونان دون أن نصاب بخسائر كبيرة • فعارضناهم في ذلك لاعتقادنا ان طبيعة الارض لا تساعد على استعمال آلة حربنا مركزة الا في الشمال • على أني لم أسمع مستر تشرشل يصرح بأنه عدل عن غزو فرنسا عبر القنال ، لكنه شدد على القول أنه اذا اشتد ضغطنا على المانيا من الجنوب فانها تضطر الى سحب بعض فرقها من شواطيء الاطلسي ، فتسهل علينا عملية الغزو • فانحاز اليه بعض المؤتمرين من الاميركيين •

كان القرار الذي قدمته هيئة أركان حرب جيوش الحلفاء الى مؤتمر القاهرة ان حملة ايطاليا قد حققت الغاية التي أتت من أجلها ، وذلك باحتلال مطار فوجيا ومرفأ نابولي ، لانه من المطار تستطيع طائراتنا ضرب اواسط أوروبا ، وبواسطة مرفأ نابولي نستطيع تموين جيوشنا هنالك • واتفقنا على أن الحملة الايطالية تستطيع مؤازرة حملة الشمال اذا تمكنت من التقدم الى سهول نهر البو واخذت تهدد المانيا بالوصول الى النمسا من الشمال الشرقي ، والوصول الى القطاع الجنوبي الشرقي من فرنسا عبر الجبال • ولكن التقدم الى البو بالقوات الموجودة لدينا في شتاء سنة ١٩٤٣ و ١٩٤٤ مستحيل ، ون كان لابد منه فيجب الانتظار الى صيف سنة ١٩٤٤ حين يصل المدد الكافي •

أبديت رأيا صريحا بأنه يجب أن لا نتعهد بالقيام بأي نشاط في المتوسط على حساب غزو اوروبا من الشمال ، لكن يجب أن نحتفظ بقوة كافية هنا تستطيع اشغال عدة فرق نازية • فوافق المؤتمر على رأيي هذا وواصلت السفن نقل الجنود وشحن المعدات الى انكلترا ، على أن المستر تشرشل ألح علينا أن نحتل روما ، لا لشيء سوى الاثر السيكولوجي على شعوب الامم المختلفة •

سنحت لي الفرصة أن أجتمع بالرئيس روزفلت مرة ثانية • فأنعم علي

في حفلة رسمية بوسام الاستحقاق من الدرجة الاولى • ثم انزوينا جانبا واستعرضنا الحوادث وتركز حديثه هذه المرة حول الترتيبات التي يجب أن نتخذها بعد الحرب • وابديت له رأيي بأن بعد استسلام المانيا مباشرة يجب أن يتخلى الجيش عن كل نشاط في اوروبا ويسلم البلاد الى ادارة مدنية من الحلفاء • وعندما تعرض للشؤون الداخلية في أميركا قال بأنه مع شدة شوقه للرجوع الى حياته العادية ، يود أن يرشح نفسه للرئاسة مرة ثانية ليستطيع أن يحقق ما يدور في مخيلته من ترتيبات وتنظيمات •

دعاني الجنرال مارشال في احدى الامسيات الى مأدبة عشاء مع عدد من أعضاء المؤتمر وكان الطعام شهيا مؤلفا من ديوك حبش • وعندما انصرف الضيوف سمعت أحدهم يقول للجنرال مارشال « شكرا جزيلا على وليمة عيد الشكر هذه » • فالتفت حولي مبغوتا وقلت : « أرأيتم ما تفعله الحرب بالانسان ؟ لم يدر في خلدي قط أننا اليوم في عيد الشكر » •

منحني القائد العام فرصة يومين ، فاغتنمتها لزيارة الاقصر لاشاهد آثار مدنية مصر القديمة العظيمة • ومن هنالك ركبت جوا الى القدس وبيت لحم • فارتاحت نفسي لزيارة تلك الامكنة التاريخية ، وانشغلت بها عن العمليات الحربية والواجبات العسكرية •

# الفصل الحادي عشر

## ايطاليا

انتهى مؤتمر القاهرة ورجعت أنا الى مقر قيادتي ، بينما ذهب الرئيسان لعقد مؤتمر مع ستالين في طهران ٠ ووجدت أن أهمية افريقيا الشمالية قد تضاءلت بالنسبة للحرب في ايطاليا ، لاننا استولينا على موانيء فيها تستطيع السفن أن تأتي اليها مباشرة دون أن تعرج على الموانيء الافريقية ٠ ورأيت أن أنقل مركز القيادة الى ضاحية نابولي ٠

وصلني خبر وانا في ايطاليا بأن الرئيس في طريقه الى الولايات المتحدة سيمر بمنطقتنا ، فذهبت الى تونس لاستقباله ٠ وقبل أن يصل استلمت برقية من الجنرال مارشال تشير الى أن الترتيبات الجديدة اقتضت نقلي من المتوسط ٠ لكنه لم يعط التفاصيل ٠ ولماوصل الرئيس روزفلت اخبرني مباشرة عندما جلست الى جانبه في السيارة : « ما رأيك يا أيك ، ستصبح القائد العام للغزوة الكبرى » ٠ ولأن الوقت لم يتسع للتحدث مطولا عن القيادة الجديدة اكتفيت بالقول : « آني أقدر ياسيدي أهمية هذا المنصب وما يترتب عليه من قرارات ٠ فأرجو الله أن يساعدني لأكون عند حسن ظنك»

فيما تبقى من النهار أجرينا ترتيبات ليتمكن الرئيس من زيـارة مالطة وصقلية لكي ينعم على الاولى بوسام ، وكان اللورد غورت يومئذ حاكما لها ، لدفاعها المجيد ضد المحور في سنتي ١٩٤١ و ١٩٤٢ ويتفقد في الثانية مطارا حديثا أنشأه الاميركيون ، ولينعم على الجنرال كلارك بوسام ٠ وبالفعل قام بالمهمتين ٠ ولكن طائرته أصيبت ببعض الخلل في مالطا ، فاضطر الى أن

يصرف ليلة هنالك • فبدأ الاضطراب على وجوه حرسه من البوليس السري ، بسبب هذا التأخر ، أما هو فهمس في اذني ان ذلك العطل جاءه نعمه لانــــه يود أن يصرف هذه الليلة قريبا من المسرح الحربي • وتمنى أن يحدث عطب آخر في افريقيا ليصرف ليلة أخرى • لأن البوليس السري لا يدعه يتأخر في هذه الانحاء بدون سبب • وكانت ملاحظتي انني ظننت أن رئيس الولايات المتحدة مطلق الحرية في اختيار مكان وزمن سفره ، فاجاب : « ما أصعب أن تناقش وتقنع حرسي من رجال البوليس » •

سنحت الفرصة للرئيس أن يحدثني عن قيادتي الجديدة ، فقال انه في البدء افتكر بتعيين الجنرال مارشال قائدا للغزوة الكبرى ، على أن آخـذ أنا مكانه في واشنطن ، ولكن صعب عليه أن يتخلى عن وجود مارشال الى قربه نظرا لما يتمتع به من نفوذ في أميركا ، ونظرا لما يصدر عنه من سداد رأي في هيئة أركان حرب الحلفاء العليا • لان وجود مارشال هنالك يجعله أن يشعر بأن كل قرار يتخذ هو عين الصواب • واردف أن مارشال نفسه اقترح تعييني في المنصب الجديد ، وان الانكليز الذين وافقوا على تعيين مارشـــال قائدا للغزوة لم يعترضوا على تعييني • واضاف بأنه لم يصمم بعد على اعلان تعييني في منصبي الجديد • ولذلك يفضل أن يبقى أمره سرا حتى يختـــــار هو الوقت لاعلانه •

والمسألة الثانية انه لم يتوفق بعد لايجاد اسم فخم يطلقه على مركزي ، لأن ما يحيط بالاسم من أبهة له مفعول خاص في النفوس • وبعد أن رحل الرئيس حل الجنرال مارشال ضيفا علينا واخبرني بالشيء الذي لم يخرج عما أخبرني به الرئيس •

علمتنا الحملة في المتوسط أن الوحدة في القيادة والتعاون بين العناصر وتنسيق عمل قوي البر والبحر والجو ، هذه الثلاث هي مفتاح النجاح في جميع الاعمال وعلى الاخص العمليات الحربية • وبناء على ذلك عندما بدأت اختار المساعدين لي في قيادتي الجديدة،وضعت نصب عيني انتقاء الاشخاص الذين يدركون أهمية الوحدة والتنسيق والتعاون ، لكي لا أضطر الى اجراء

عملية تبديل وتعديل في القيادات في أثناء المعارك كما حدث لي في افريقيا • فسرني ان احصل على مارشال الجو تدر كمساعد لي في الغزوة الكبرى ، لانــه استطاع في مسرح البحر المتوسط أن يكسب ثقة واحترام جميـــع الذين تعاونوا معه ، وذلك لمـــا بدا منه من مهارة في قيادة الجو وجرأة في تطبيق ماوضع من خطط • وخولتني السلطات العليا ان اصطحب الجنرال سميث رئيسا لأركان حربي ايضا في انكلترا ، لاني لولاه لما استطعت تنظيم هيئة اركان حربي لنتمكن من القيام بالعمليات الحربية العظمى • وافتكرت في البدء ان اصطحب الجنرال الكسندر ليكون قائدا للقوات الاميركية التي ستشترك في الغزو • وشعرت بالارتياح لذلك لما نشأ بيني وبينه من صلات وثيقة ، ولاني اعجبت بما يتحلى بـــه من الصفات العسكرية المحترمة ، واعتبرته جندي بريطانيا الاول ، ولان الاميركيين جميعهم أحبوه واعجبوا به •

كان قرار المستر تشرشل الاخير ان يبقى الكسندر قائدا لحملة ايطاليا التي يعتقد بعظم تأثيرها على عملية الغزوة الكبرى والتي توقع أن يحصل بفضلها على نتائج حاسمة • وبناء عليه عين الجنرال مونتغمري قائـــدا للقوات البريطانية في العملية الجديدة ، فقبلت • ويمتاز الجنرال مونتغمري بصفتين مهمتين لا يعلو عليه بهما أحد • اولاهما انه يستطيع ان يثير حماس رجاله ويكسب اخلاصهم واعجابهم به • وثانيتهما مقدرته الفنية في التحضير والادارة للمعارك ، لانه يدرس مواقع العدو وامكانياته درسا جيـــدا حتى يستطيع بعد ذلك أن ينقض عليه بسلاح المدفعية والمصفحات والطائرات والمشاة ليضمن النصر المحقق •

سرني ايضـــا ان احصل عـــلى خدمات الاميرال رمزي كرئيس للقوات البحرية لأن كاننغهام غادرنا ليصبح القائد العام للبحرية الانكليزية • يتحلى رمزي بالشجاعة وسعة الحيلة والنشاط الهائل والاخلاص في العمل وسهولة المعشر • فلا عجب اذ ارتاحت نفسي اليه •

سمعنا بأن الرئيس روزفلت سيلقي خطابا مهما في ليلة عيـــد الميلاد ، فأصغينا في الوقت المعين ، واذا به يعلن تعييني قائدا عاما للغزوة الكبرى ،

ويذكر اللقب الذي اطلقه علي وهو : « القائد الاعلى لحملة قوى الحلفاء » فبدا اللقب مهيبا ومؤثرا في النفس • فعلق احد مساعدي على ذلك بأن مهمته ستكون في الاسبوع القادم طبع ونشر الاوراق والبطاقات التي تحمل اسمي الفخم الجديد •

عندما اقترب اليوم الذي سأغادر فيه المتوسط الى لندن شعرت بالغم والكدر لاني سافارق ضباطا وجنودا نشأت بيني وبينهم صلات ودية • ولما اتجهت افكاري الى ما سيحدث ، عرفت أن الجنرال ولسن الذي كان قائدا للقوات البريطانية سيصبح القائد العام لحملة ايطاليا ويحل مكاني • وهنا فكرت في من من القواد الاميركيين يجب ان يعين مساعدا له بالاضافة الى قيادته الجيش الاميركي في هذا المسرح ، لان الناحية الادارية المتعلقة بقوات ضخمة تواجه مشاكل التموين والترقية ، والعقوبات وتعيين القواد والمراسلات بالقيادة لعليا وما اشبه • وهنا بدأت أفكر بما يلزمنا من قواد اميركيين في بريطانيا وفي ايطاليا • وكنت متفقا مع الجنرال مارشال على أن يعين كل رجل في المكان الذي يناسبه ليقوم بأكبر قسط ممكن في متابعة الحرب • عندئذ دونت ما جال في خاطري وأرسلت في ٢٣ كانون الاول سنة ١٩٤٣ هذا التحرير :

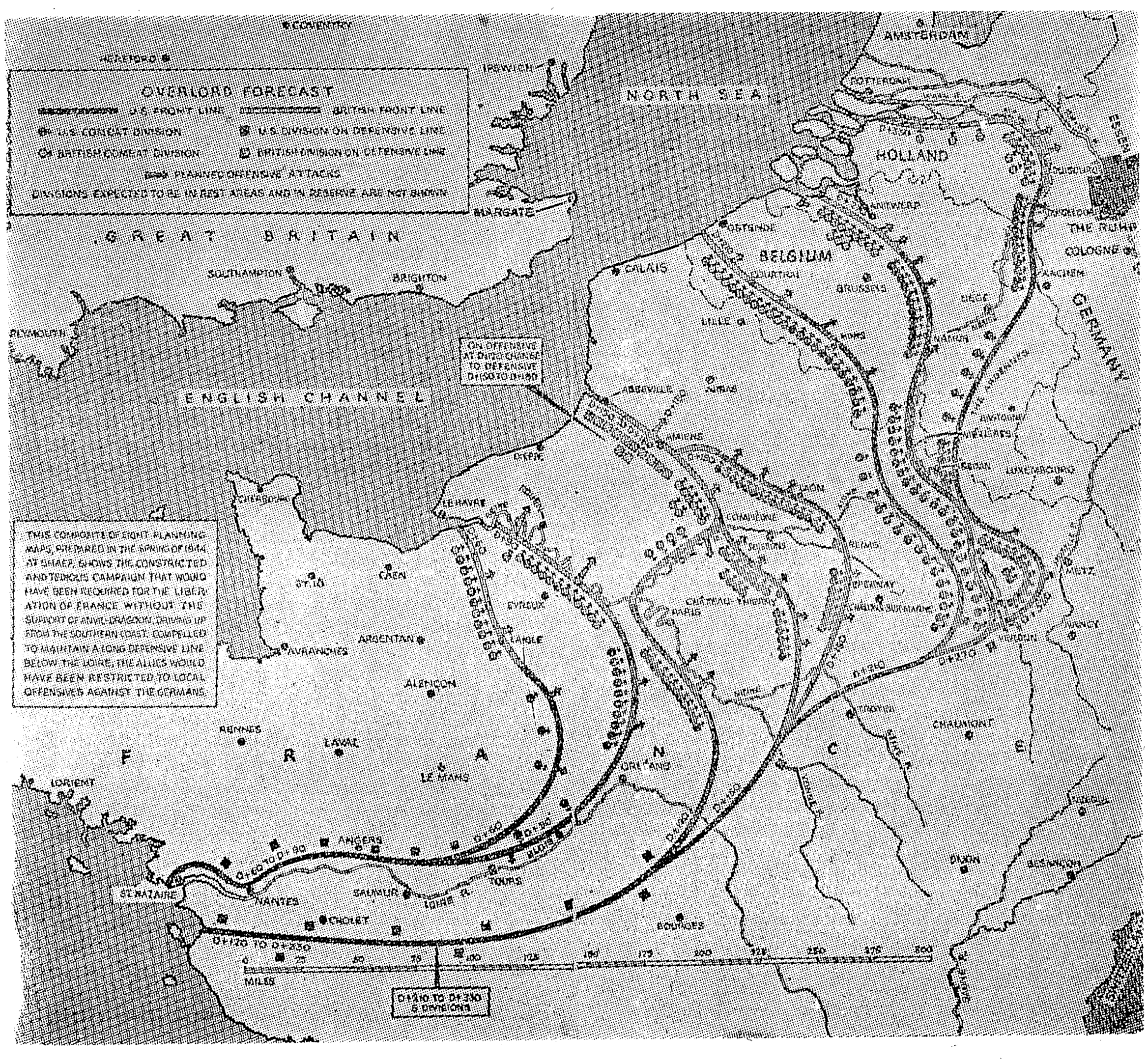
« لا أرى من ضرورة لتعيين قواد للجيوش البريطانية والاميركية في أول مرحلة ، لانه قد يؤخر اجراء مثل هذا التعاون المطلوب بين قوات البر والجو • وعندما يصبح تعيين القواد ضروريا ، أود تعيين القائد الذي اشترك في المعارك وذاق طعم الحرب الفعلية • ولا أرى من هذه الناحية أفضل من تعيين الجنرال برادلي قائدا عاما للجيوش الاميركية في الغزوة الكبرى • على أن يكون الجنرال باتون قائدا لاحد الجيوش • والجنرال هدجز سمبسن قائدا لجيش آخر ، وعلى الاخص يجب أن يعين برادلي قائدا أعلى للقوات الاميركية عند بدء الهجوم • وأتمنى أن يعين الجنرال دفرس قائدا للقوات الاميركية في المتوسط ، وأن يبقى الجنرال كلارك في الاحتياط ليقود الحملة التي ستقوم بغزو فرنسا من الجنوب » •

نشأ احترامي لمواهب برادلي العسكرية عندما كنت لا أزال في أميركا ،

وما زالت مقدرته في البحر المتوسط بادية أمامي حتى ارتفع تقديري له • وفي افريقيا عينته في قسم دعوناه « عيون وآذان » وأعطيته سلطة التجول حيثما شاء بين الجنود في المنطقة الاميركية ، ليطلعني على كـل ما يسمعه ويراقبه ، وذلك ليس لما يربطني به من صداقة ، بل لعلمي انـه شديد الملاحظة ، لبق في تصرفاته ، لطيف المعاملة • ثم عينته مساعدا لقائـد الفيلق الثاني في طبسا ، ثم أصبح قائدا للفيلق وأظهر حنكة في قيادته ؛ لاصابة حكمه في الرجال ومواهبهم ، ولعدله في معاملتهم ، هذا بالاضافة الى رصانته ورباطة جأشه ،فأحببت أن أجدد صلاته بي في الغزوة الكبرى•

خوفا من أن يحدث احتكاك وتحاسد بين برادلي وباتون اذا ما عينت الاول قائـدا عاما للجيوش ، والثاني قائد جيش فقط ، دعوت باتون وأطلعته على ما أنوي فعله وأخبرته بأني أقدر مواهبه كقائد لجيش وقـد يكون في ذلك أعظم جندي في أميركا • وانما المصلحة تقضي بتعيين برادلي قائدا عاما • فأدرك غايتي وقال انه لا يطمع في وظيفة أعلى من قيادة جيش• وأبدى ارتياحه الى ذلك • وبعد حصولي عـلى هذين القائدين القديرين المجربين للغزوة الكبرى رأيت انني أستطيع الاستغناء عن الجنرال دفرس الذي كان قائدا لقوات الاميركيين في بريطانيا • وبما انه على جانب عظيم من المقدرة الادارية ، ولعدم تمرسه في المعارك رأيت أن يعين قائدا أعلى للقوات الاميركية في المتوسط ، على أن يبقى كلارك القائد العملي للجيش •

اتفقنا ونحن في القاهرة عـلى أن يعين الجنرال سباتس قائـدا عاما للقاذفات الاميركية في كل من جبهة المتوسط وجبهة بريطانيا ، ولما كان المجهود الاكبر ضد المانيا من ذلك الحين فصاعدا سيصبح في بريطانيا ، فقد رغبت في أن أصطحبه معي الى هنالك • وأجرينا ترتيبات لكي يذهب الجنرال ايكر من بريطانيا الى المتوسط ليصبح قائـدا عاما للقوى الجوية فيه • وعينا بدلا منه الجنرال دولتل كرئيس لقوات الجو الاميركيةالثامنة•




التوزيع الرئيسي لقوات الحلفاء

بينمــا كنت أجري كــل تلك التغييرات والترتيبات لاغادر افريقيا الى انكلترا في العاشر من شهر كانون الثاني تسلمت تلغرافا من الجنرال مارشال يدعوني فيه سريعا الى وشنطن لاجتمع به وبالرئيس روزفلت مدة قصيرة قبل أن أنتقل الى مركزي الجديد · فاحتججت على ذلك ، لان الوقت لايسمح لي ، وطلبت أن تؤجل زيارتي الى ما بعد مكوثي مدة في لندن واطلاعي عــلى الاحوال هنالك · ولكن الجنرال مارشال أبى قائلا : « عين من تشاء محلك في ادارة الحرب لمدة عشرين دقيقة وأسرع الى وشنطن »·والحقيقة أن مركزي كان تابعا لسلطة القيادة المشتركة للحلفاء وليس للجنرال مارشال وحــده ومع كل هذا رأيت أن وراء دعوة الجنرال مارشال لي أمر مهم فأخبرت الجانب البريطاني عما جرى ، وذهبت الى الولايات المتحدة ، ورجعت بعد اسبوع الى افريقيا لانجز القضية المتعلقة بتعيين الجنرال دفرس قائدا عاما للقوات الاميركية هنالك ·

رأيت أن أرسل أحد مساعدي الى لندن ليحمل بعض التعليمات والتوجيهات التي يجب أن تتخذ هنالك قبل وصولي · ولحسن الحظ وجدت أن الجنرال مونتغومري يرغب في الذهاب الى انكلترا في الحال فأرسلته · وقبل أن يذهب دعوته وأخبرته أنــه قبل بضعة أسابيع أتــاني الجنرال وليم تشيمبر من القواد الاميركيين يحمل مخططا لعملية الغزو عبر القنال ، وبأني اعترضت فنيا عليه ، لانه يقول باجراء هجوم على جبهة ضيقة بقوة لا تزيد على ثلاث فرق ، على أن تكون خمس فرق فقط في الطريق عندما يبدأ الهجوم · فمثل هذه العملية الضيقة لا يسمح باحتلال سريع لمدينة شاربورغ · ولا يساعد على بناء قوة كبيرة تستطيع شق طريقها بسرعة في فرنسا · وكلفته أن يقوم مقامي في لندن ويعمل على تغيير المخطط الذي لم يرضني ·

في ابان انشغالي بتسليم القيادة الى خلفي أصيب المستر تشرشل وهو في تونس بمرض شديد ، ولما بدا عليه بعض التحسن سمح له بأن يذهب

للاقامة في مراكش بضعة أسابيع للنقاهة • فأرسل يطلبني لاجتمع بـــه ، فذهبت في الحادي والثلاثين من شهر كانون الاول ، ووجدته نشيطافي تفكيره قويا في معنوياته ، رغم ما يتهدد صحته من مرض • ورأيت أن الامر الذي يشغله كثيرا هو وجوب تقوية هجوم الحلفاء في ايطاليا • ورجاني أن أبقي الجنرال سميث في جبهة المتوسط ، لكني لم أوافقه على ذلك ، لان العلاقة بين القائد ورئيس مساعديه هي شيء شخصي وتتغير بتغيير الاشخاص • واذا كان سميث يناسبني فقد لايناسب خلفي ولا أرى حكمة في أن أحرم من خدماته ، ولا يستفيد منها رئيسه الجديد • هذا ناهيك عن أن الجنرال ولسن قد يكون عنده شخص آخر يعينه رئيسا لاركان حربه ، ولا يقبل أن يفرض عليه مساعد آخر • وأخيرا شدد علي أن أبذل جهدي في سبيل تقوية الهجوم على ايطاليا لاحتلالها بأسرع وقت • ثم ودعته متمنيا لـــه الشفاء العاجل • وبعـد أن ودعت الذين ساعدوني في افريقيا وايطاليا ، وزعت منشورا عـــلى الجنود متمنيا أن التقي بهم مرة ثانيـــة في قلب وطن العـدو •

قبل أن اختم هذا الفصل أود أن أذكر شيئا عن رحلتي الى أميركا • ففي الطريق لم يحدث ما يعكر صفو الرحلة سوى بعض طلقات من مدفع مضاد وجهته بطارية برتغاليةعلى طائراتنا من جزر الازور•وعندما وصلت اجتمعت بهيئة أركان حرب وزارة الدفاع ومن ثم بالرئيس روزفلت الذي كان يعاني مرض الانفلونزا • ولكنه احتفظ بمرحه وأبقاني الى جانبه أكثر من ساعة يبحث معي مئات القضايا والعمليات ، مـا مضى وما سيأتي • فأدهشني بسعة اطلاعه على جغرافية العالم ، لان البقع المجهولة في زوايا الكون البعيدة ترتسم بكل دقة على خارطة عقله • ثم أوجز لي ما ينوي أن يجريه من ترتيبات في المانيا بعد احتلالها • وبكل وضوح أخبرني بأنه يريد أن يحتفظ بالجزء الشمالي الغربي من المانيا لكي تحتله القوات الاميركية • وأصغى جيدا عندما احتججت على تقسيم المانيا الى مناطق احتلال ، لما يعتري ذلك من

مصاعب في التفاهم مع القيادات المختلفة التابعة لأربعة أمم • وألححت أن تسلم المناطق المحتلة الى سلطات مدنية • فبدا أنه تأثر بما قلت ، ولكنه لم يفه بما يمكن أن يصبح عهدا عليه • الا أن الرئيس لم يحدثني بشيء عن مخططه المتعلق بسياسة أميركا الداخلية ، وهكذا فعل ابنه اليوث فتجنب ذكر سياسة أميركا الداخلية • وانما ذكر أنه الوحيد الذي خرج على تقاليد العائلة وبأنه رجعي في تفكيره •

وقبل أن أودعه قلت : « من كل قلبي أتمنى لك شفاء سريعا مما تعاني » فأجاب مباشرة : « انني لم أشعر منذ سنين بالقوة التي أشعر بها الآن • ولكني في الفراش لان الاطباء أشاروا علي بذلك خوفا من نكسة » وخرجت ولم تقع عيني عليه أبدا بعد تلك الزيارة •

تسنى لي وانا في زيارتي القصيرةأن أذهب بصحبة زوجتي لزيارة ابننا • وبعد ذلك قمنا بزيارة خاطفة لوالـدتي واخوتي ، وزيـارة آل زوجتي • فأنعشتنا تلك الزيارات العائلية • وفي تلك الساعة كنت أجهل الوقت الذي سيمر قبل أن أتمكن من المجيء الى أميركا ثانية • كما كنت أجهل متى تضع الحرب أوزارها •

# الفصل الثاني عشر

# تخطيط الغزوة الكبرى

وصلت لندن في الخامس عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٤ لاقوم بتنظيم واعداد أعظم قوة استطاعت الدولتان المتحالفتان حشدها • وبدأت في تحضير الغزوة التي لو قوبلت بالغزوة التي سبقتها منذ سنة ونصف لرأينا أن النظام سيطر فيها بدل الفوضى ، والرجاء والثقة حلا محل الخوف والشك وأحاط بي معاوني مارشال الجو السر آرثر تدر والجنرال عمر برادلي والجنرال السير برنارد مونتغمري ، والجنرال سباتس والاميرال السير برترام رمزي • وكلهم قد تعود الحرب وخبر المعارك وتمرس في القيادة ، وعرف قيمة ادماج العناصر المختلفة لتصبح وحدة فعالة • وعينا مارشال الجو السير ترافورد ملوري الذي اكتسب خبرة واسعة في معارك الجو التي حدثت في سماء بريطانيا • قائدا عاما لسلاح الحلفاء الجوي • واطلقنا عليه لقب « رئيس القيادة الجوية »•لكنه لم يتمرن على العمليات الجوية وهي تعمل متعاونة مع القوات البرية • وعزمت على اتخاذ مركز قيادتي في ضواحي العاصمة البريطانية رغم كل احتجاج • ولما فعلت أطلقت عليه اسم « المركز الاعلى لحملة قوات الحلفاء » واختصرناه بلفظة « شاف » •

اكتسب فريقنا بعد مدة وجيزة عضوا مهما بوصول جورج باتون الذي طلبت أنا نقله من المتوسط • وكثيرا ما صرف الامسيات معي في مكتبي نسهر معا الى ساعات الصباح ، وذلك لأن حديثه كان يثير في الحماس والالهام•وفي احدى الجلسات أبديت له ملاحظة بأن يتجنب المؤتمرات الصحفية والبيانات



قسم من ( ١٨٢٠٠٠ ) أسيرا الماني أسروا في منطقة الرور

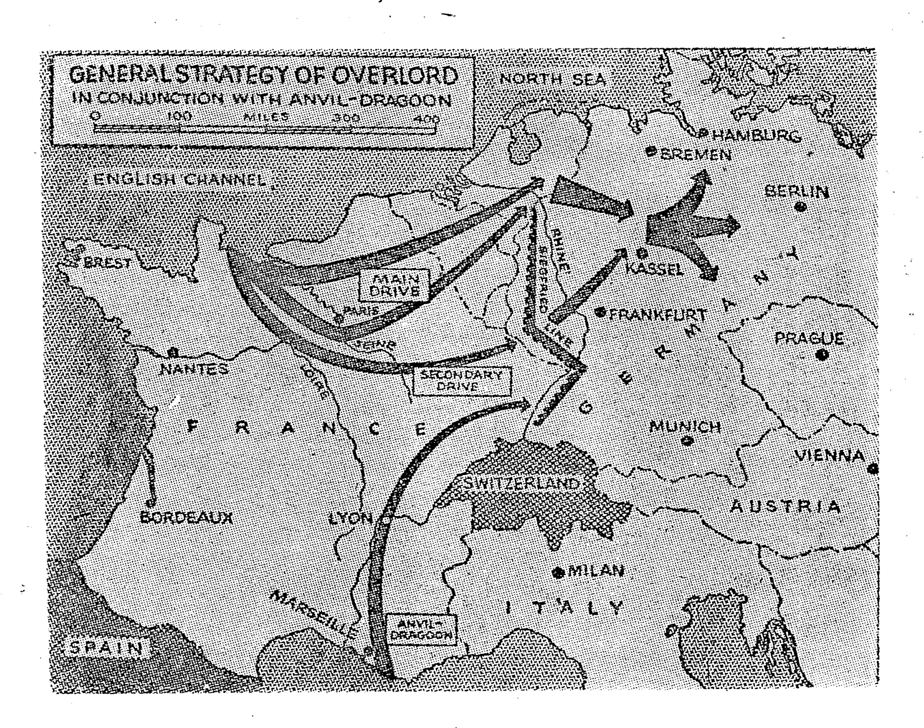
الشعبية لعلمي أنه عبقري في اعطاء التصاريح الطنانة التي لا تفشل في اثارة الرعب والهلع في سامعيه • وقد تمرن طويلا على انشاء ملكة فيه تساعده على صعق اصدقائه ومعاشريه بألفاظ تتفجر كالقنابل • وفي خطاب وجهه الى احدى الفرق الاميركية بعد وصوله المملكة المتحدة بقليل سبب أكثر من موجة استياء ودهشة وتعليقات صحفية • فأفهمته أني لا أستطيع أن أحتفظ به لكي يقـــوم بدور فعال في الحرب الا اذا ساعدني باحتفاظه بالسكوت • فوعدني بذلك •

رأينا من البدء وضع خطة طويلة المدى نعمل بموجبها في غزونا للقـارة الاوروبية • ذلك لأن الاوامر التي صدرت الينا من مركز القيادة المشتركة كانت بسيطة ومختصرة ، تطلب الينا النزول على شواطيء فرنسا لنعمل على تدمير الجيش الالماني • وما يلي أهم ما جاء في الامر • « انكم ستعملون عـلى غزو اوروبا بالتعاون مع حلفائنـــا • وعليكم أن تقوموا بعمليات تهـدف الى التغلغل في قلب المانيا وتدمير قواها المسلحة » • ففكرة تدمير قوى العدو كانت أبداً المبدأ الذي يقود خطواتنا • أما النقط الجغرافية التي اعتبرناها قلب المانيا بالنسبة لاهميتها للعدو فهي الامكنة التي تجهزه بالاعتدة والمؤن • وليس من نقطة في غرب المانيا أهم من وادي الرور المركز الرئيسي لصناعة الذخائر وتموين آلـة الحرب الالمانية بالاسلحة • والنقطـة الثانيـة هي حوض السار •

من الطرق الطبيعية لاجتياز نهر الرين بقوات كبيرة واحدة تقع شمالي وادي الرور ، وأخرى تمر في منطقة فرانكفورت ، وأما الثالثة ففي الجنوب في منطقة ستراسبورغ • وكان الطريق الشمالي في نظرنا هو الانسب ، وذلك لثلاثة أسباب رئيسية • أولها أن طبيعة الارض الواقعة شمالي وادي الرور قرب نهر الرين تصلح جدا للاعمال الهجومية • وثانيها انا اذا سرنا فيهـا نصل حوض الرور مباشرة بعد قطعنا لنهر الرين ، وبذلك نحرم الجيش الالماني من أهم معامل تسلحه • والسبب الثالث هو أن هذه الطريق الشمالية

تقع قريبا من البحر . واذا احتللنا مرفأ أنتورب الذي هو من أعظم مرافيء اوروبا الغربية ، تستطيع سفننا أن توصل المؤن والمعدات بسهولة أكثر . ولا يخفى أن القائد يهتم كثيرا بطرق المواصلات وسرعة التموين .

كان الهدف في زحفنا على المانيا هو الاشتباك بمعظم الجيش الالماني والعمل على تحطيمه . واذا اكتفينا باختراق الجبهة والتغلغل في البلاد في خط ضيق فلن نصل الى ذلك الهدف . فرأينا أن القيادة الالمانية ستركز معظم قواتها في الامكنة الضرورية لبقائها . وعزمنا على وضع خطة لشن هجوم على تلك الامكنة بجميع قواتنا البرية والجوية وضربها بشدة حتى نبيد جيش العدو .




الستراتيجية العامة للغزوة الكبرى

قر قرارنا أن نقوم بمهاجمة المانيا على جبهة عريضة ما أمكن ، على أن تتركز أضخم قواتنا الضاربة على الميسرة مكتسحة أمامها جيش العدو ومطهرة شواطيء فرنسا الشمالية وشواطيء بلجيكا لأننا بذلك نستولي على الموانيء المهمة لتموين جيوشنا ، ونقضي على ما يمكن أن ينشئه العدو من قواعد لاسلحة سرية يعتزم أن يضرب بها بريطانيا ، حسب ما تواتر من اخباريات

وردت من عملائنا التابعين لقلم الاستخبارات · هذا بالاضافة الى توجيه قوات ضاربة أخرى لاحتلال وادي السار الغني بمنتوجات الفحم والحديد الضروريين للصناعة الحربية · فرسمنا خطة على أن تلتقي ميمنتنا هنالك بجيش الحلفاء الذي سيغزو الشواطيء الجنوبية من فرنسا ويزحف شمالا في وادي نهر الرون ، فيؤدي ذلك الاتصال بين أجزاء جيوشنا الى تحرير فرنسا ، ويبقى أمامنا خط مواصلات عظيم يستطيع أن يتلقى بسهولة وصول الجنود والمعدات الاميركية الضخمة التي ستصل باطراد·هذا ناهيك عن حصره لكل جنود الالمان الذين يبقون غربي نقطة الاتصال ، فتحرم المانيا من جهودهم في الحرب · فاذا حالف التوفيق هذه الخطة فاننا نتقدم الى الامام لسحق العدو الذي سيتمركز على نهر الرين وخط سيغفريد ليحمي حدوده ·

توقعنا في شهر أيار سنة ١٩٤٤ أن يكون لدينا في فرنسا ثمانية وستون فرقة قبل أن نصل الى نهر الرين · هذا بالاضافة الى الفرق التي ستزحف من جنوبي فرنسا · فرأينا أن طبيعة الارض والمواصلات لا تساعد على استعمال أكثر من خمس وثلاثين فرقة تزحف من أميان شرقا الى لياج في بلجيكا فالى وادي الرور في المانيا · وما يبقى يوزع على الجبهة الممتدة من البلجيك شمالا الى سويسرا جنوبا · على أن يتمركز الجزء الاعظم في الميمنة المتجهة الى السار · ونبذل الجهد في أن نشتبك بجيوش العدو غربي الرين ونبيدها ، وذلك لقصر خطوط مواصلاتنا·لانه اذا تمكن العدو من الانسحاب الى ما وراء الرين والاتجاه شرقا ، نتجت عن ذلك عقبتان · العقبة الاولى هي نهر الرين لان أمر اجتيازه مشكلة في ذاتها · والعقبة الثانية طول خطوط المواصلات علينا ·

بعد البحث والتعديل والتغيير تم الاتفاق على الخطة الآتية :

أولا : النزول على شاطيء نورماندي في فرنسا ·

ثانيا : تجميع قواتنا ومواردنا لكي نتمكن من خوض معركة حاسمة في منطقة نورماندي وبريتاني ، ومن ثم نشق خطوط العدو وننطلق الى ماوراء

الطوق الذي يضربه حولنا على أن تجري عمليات النزول في المرحلتين الاولين تحت قيادة مونتغمري الفنية ٠

ثالثا : مطاردة العدو على جبهة عريضة بمجموعتين من الجيوش ، وتركيز معظم القوة في الميسرة لتستطيع الاستيلاء على المرافيء ، والوصول الى حدود المانيا وتهديد وادي الرور ، بينما تسير ميمنتنا نحو الشرق الجنوبي لتتصل بالقوات الزاحفة من جنوبي فرنسا ٠

رابعا : تجميع الجنود والمعدات على حدود المانيا الغربية بعد أن تقع موانيء بلجيكا وفرنسا في أيدينا ، والقيام بهجوم عام مركز ، تشترك فيه قوات المشاة والمصفحات والمدفعية والطائرات لتعمل على ابادة قوات المانيا غربي نهر الرين ٠ وفي نفس الوقت تعمل على احتلال رؤوس جسور عبر النهر ٠

خامسا : شن هجوم مزدوج كفكي كماشة على حوض الرور من أجل تطويق وابادة القوات العظيمة التي حشدتها المانيا لحماية تلك المنطقة الحساسة ٠ ومن ثم احتلال جميع الاراضي الالمانية وانهاء الحرب ٠

ان هذه الخطة العامة التي رسمها قادة الحلفاء قبل يوم الغزو بقيت رائدا لنا كل مدة المعركة ، منذ بدء الهجوم حتى استسلم العدو ٠

عندما وصلت القضية الى تعيين الوقت الذي يبدأ الهجوم فيه ، بدأت المعضلة لان ذلك يتوقف على الطقس وما يحدث من عواصف وهيجان قد يؤخر العملية ٠ ففي مؤتمر طهران وعد كل من الرئيس روزفلت ورئيس وزراء بريطانيا المستر تشرشل بأن يبدأ الهجوم في أيار مع امكانية التأجيل بضعة أيام اذا اضطرتنا الاحوال الطبيعية الى ذلك ٠ وجدنا نحن القادة العسكريون انه من الضروري أن نبدأ عملية الغزو بأقرب ما أمكن من الوقت ، لعدة أسباب ٠ أولها اننا في البدء باكرا نتيح لأنفسنا فصلا طويلا من السنة تصلح فيه الحملات العسكرية الكبرى على مدى واسع قبل حلول فصل الشتاء ٠

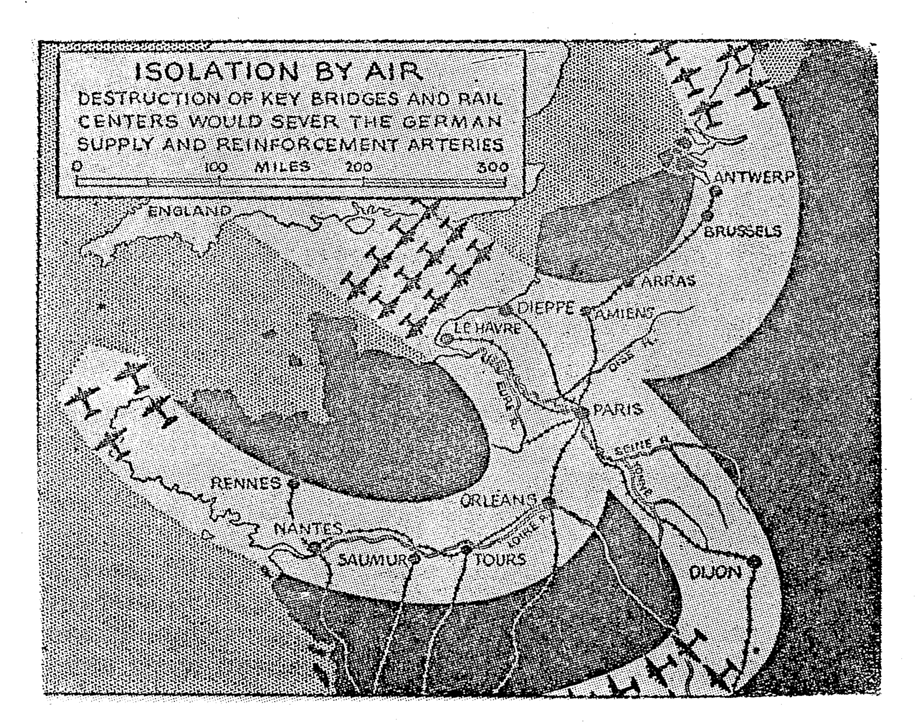
ثانيا : نعطي بذلك أقل فرصة للالمان لان يقووا خطوط دفاعهم لاحباط الغزو فبناء على ذلك اخترنا اوائل أيار لان في ذلك الحين يرتفع المد في القنال الانكليزي ويمكن قوارب النزول من الوصول بسهولة الى البر الفرنسي دون أن تتعرض للاصطدام بصخور الشاطيء . ثالثا : لانه بدأت الاخبار تصلنا عن انشاء الالمان لاسلحة سرية بعيدة المدى ذات قوة تدميرية هائلة . فكلما اسرعنا بالغزو منعنا الالمان من استعمال ذلك السلاح .

بدأ يصل في الربيع عدد من الضباط من وشنطن الى مركز قيادتي ليطلعني على آخر المعلومات التي تتناول آخر ما توصل اليه الالمان من انشاء أسلحة جديدة ، بما فيها أسلحة جرثومية وذرية . وكانت هذه التقارير سرية جدا تصلني شفهيا . ومما أخبرني أحدهم ان العلماء الاميركيين قد أحرزوا تقدما ملحوظا في هذين النوعين من السلاح . ومما وصلوا اليه من معلومات استنتجوا عن طريق التخمين العلمي الى أية درجة توصل الالمان . وقد ساعدت المعلومات الواردة من عملائنا في اوروبا تدعيم المعلومات الواردة من أميركا . ثم أن الصور التي التقطتها طائراتنا اشارت الى أن العدو يجري بعض انشاءات لقواعد غريبة في شكلها قد تكون هي نفسها السلاح الجديد .

عملت أميركا وبريطانيا على تعبئة أكبر الادمغة العلمية في البلدين لتساعدنا على تقدير آخر ما توصل اليه الالمان والامكنة التي يتخذونها مراكز لبحوثهم واكتشافاتهم ، لكي نوجه قاذفاتنا لتضرب وتدمر كل بقعة قد ينشأ الخطر منها علينا . لان عملاءنا في المانيا لم يستطيعوا في البدء أن يعرفوا أي شيء عن الاسلحة الجديدة ولا عن أمكنة صنعها . ولكن قبل أن نبدأ الغزو أرسل الخبراء من علمائنا تقديرات دقيقة عن مكان وصفات وامكانيات الاسلحة الالمانية الجديدة .

لما اقترب أوائل شهر ايار وجدنا أنفسنا مضطرين الى تأخير الغزوة الى أوائل حزيران ، وذلك لان الخطة التي وضعها الجنرال فريدريك مورغان تقضي ببدء الغزو بثلاث فرق . أما أنا فرأيت أن جبهة الغزو يجب أن تكون عريضة ويلزمها خمس فرق . وبدا أن الاستعداد لجعل الغزو يبدأ بخمس

فرق يتطلب شهرا كاملا • وثانيا لأنعملية الغزو لا تكون ناجحة الاباستعمال أكبر عدد من القاذفات ، لتدمر خطوط الدفاع الاولية ، وتفاجيء ما يرسله العدو من امدادات بضربات مبيدة • وتقصف خطوط مواصلاته ، لان على ذلك يتوقف الكثير • ففيشهر أيار تكون الغيوم كثيفة،تحول دون استعمال القاذفات في الاغراض التي ذكرتها • فالانسباذن تأجيل الغزو الى أنيصبح الطقس أكثر صفاء ، ويتيح الفرصة أمام طيراننا الضخم أن يستعمل نيرانه ضد العدو الى أقصى حد •




العزل الجوي

وبالاضافة الى وضعنا الخطط للقيام بهجومنا وكيفية تنفيذه صممنا على اتخاذ الاجراءات التي تخدع العدو ، وذلك بايهامه بأننا سننزل في الشاطيء الذي اتفقنا أن لا ننزل فيه • فبالطبع أن أهون السبل لغزو فرنسا من بريطانيا هو الهجوم على أقرب الشواطيء • أولا لقصر المسافة • وثانيا : لصلاحية المواني والشواطيء للنزول • ان العدو قد أدرك ذلك فقوى تحصيناته هنالك وجمع أكثر قواته ، حتى أصبح نجاح أي هجوم مستحيلا

دون أن نمنى بخسائر فادحة قد تشل الغزوة ، وتقضي عليها قبل أن تتبلور فاخترنا النزول على شواطيء نورماندي وبريتاني • وعملنا عـلى ايهامهم بالنزول في منطقة كاليه ودانكرك • وذلك بايصال معلومات خاطئة لعملائه عندنا • وتسهيل الامر عليهم لان يبعثوا بها الى مركز القيادة الالمانية •

كان قد سبق ووضعت أنا والجنرال مارشال خطة لبدء غزو فرنسا من الجنوب عندما نبدأ بغزونا لها من الشمال • ولكن وجدنا منذ شهر شباط انه لن يصبح لدينا الجيش والمعدات الكافيين لعملية الغزو في الوقت المعين • لان الولايات المتحدة باشرت بعمليات واسعة النطاق في الشـرق الاقصى ضد اليابان ، مما عمل عـلى تأخير السفن والطائرات من الوصول الى المتوسط • فكتب الجنرال مونتغمري في ٢١ شباط يطلب الي حذف عملية الغزو من الجنوب ، وتركيز كل ما لدينا من قوات في الغزوة الكبرى • فأبيت عليه ذلك • ولكن رأينا أن نؤجل عملية الجنوب الى مابعد عملية الشمال ، لان الظروف قد تساعدنا على ارسال بعض سفن النقل من القنال الى المتوسط • وعلى هذا تم الاتفاق •

قامت في وجه استعمال قاذفاتنا مشكلة سياسية حساسة ، لان النقط الحساسة في مواصلات العدو في فرنسا تقع ضمن مناطق كثيفة السكان • واذا صممنا على تنفيذ خطتنا فاننا نقضي على حياة أكثر من ثمانين الف فرنسي على أقل تقدير • وأي قائد يعلم ان مثل هـذا العدد الضخم من الابرياء سيذهب ضحية عملية هجومية ضد عدو يكرهه الطرفان ، ويقدم عليها • وقد بعث المستر تشرشل الي برسالة بهذا الخصوص يرجوني فيها أن لا ألجأ الى أي نشاط يؤدي الى اهلاك عدد كبير من الفرنسيين ، ليس ذلك لمباديء انسانية فحسب بل لان الشعب الفرنسي يجب أن يعامل معاملة الصديق لنكتسب وده واخلاصه في ابان الحرب وما بعدها •

شككت أنا وقواد سلاح الجو التابعين لقيادتي في صحة تقدير الاصابات

الآنفة الذكر لاعتقادنا ان باستطاعتنا تدمير مواصلات العدو بتضحيات أقـل بكثير . لا سيما اذا ما استعملنا اجهزة الاذاعة عنـدنا ووزعنا المنشورات بواسطة الطائرات الى السكان لكي يبتعدوا عـن مناطق الخطر قبل وقوع الغارات . والذي جعلنا نتأكد من ايصال المناشير الى السكان في وقت قصير قبـل الغارات هـو سيطرة قواتنا الجويـة عـلى سماء العدو ، حتى أصبح لا يستطيع الصمود في وجه مقاتلاتنا . واغتنمنا فرصة توجيه اذاعاتنا وتوزيع منشوراتنا لخدع العدو . فكررنا توجيهها الى سكان منطقة كاليه كما كررنا غاراتنا بقوات هائلة لنجعل العدو يعتقد أن هذه المنطقة هي هدف غزوتنا .

طال النقاش حـول الغارات وما ينتج عنها من اصابات ، حتى اقتنع رئيس الوزراء بصحة خطتنا ووافق على تنفيذها . لا سيما وانه رأى الجنرال بيير كونغ قائد القوات الفرنسية يوافق عليهـا . ولمـا تمت التجربة وحدثت الغارات تبين أن وجهة نظرنا كانت مصيبة . وزيادة عـلى ذلك تقبلت الامة الفرنسية ماكتب عليها من تضحيات قليلة دون أن تبطن حقد للحلفاء . وبالاضافة الى غاراتنا على مواصلات العدو في فرنسا واصلنا دق منشآت الزيت والمعامل في المانيا نفسها . كما واصلت طائراتنا تحدي سـلاح الجو الالماني بأن يشترك في معارك معها بقصد انهاكه وانقاص فعاليته عندما يبدأ الهجوم .

عمل قادة سلاح الجـو وسلاح المشاة عـلى وضع الترتيبات لتعاون السلاحين معا . والغينا القول : « مساندة قـوى البر » وأحللنا محلها عبارة « القوى البر جوية » . لان تداخل القوتين في قوة واحدة هو صفة فنية لكل معركة حديثة ، اذ يتوجب على القوات البرية أن تحتل قواعـد للطائرات قريبة من خط القتال ، حتى تستطيع الطائرات أن تقدم الحماية عندما تزحف الاولى على العدو . وقـد جرى في كثير من الاوقات الحرجة ان اشتركت طائراتنا بما يزيد على العشرة آلاف غارة في اليوم الواحـد لتساهم بمعركة برية .

من المسلم به ان وضع خطة لهجوم فني تجعل القائد أن يقيم الاعتبار اللازم لايصال المدد والمؤن ، وحفظ خط الرجعة ، واحلال وحدات مكان أخرى ٠

كان الاعتقاد قبل الحرب الاخيرة ،أن القيام بهجوم برمائي كبيرمستحيل الا اذا استطاع المهاجم الاستيلاء على مرفأ صالح في بضعة أيام ، ولكن ما ادخله الحلفاء من أدوات حديثة فنية قلب الاوضاع انقلابا ثوريا ، لانهم صنعوا المرافيء العوامة ، المتنقلة والمصفحات الطائفة التي يصل بها الجندي الى خطوط العدو دون أن يتعرض للرصاص ، وغيرها من المبتكرات التي لم تخطر بال القيادة الالمانية لما وضعت خطط دفاعها ٠ فكان لهذهالادوات المستحدثة أثر فعال في سحق العدو ٠

على أن امتلاك الجهاز الذي يمكن الانسان من انزال معداته على الشواطيء المفتوحة بكميات ضخمة لا ينفي ضرورة الموانيء الطبيعية ٠ وخصوصا في بحر عرضة للعواصف الهوجاء كالقنال الانكليزي ، فلابد من العمل اذن على الاستيلاء على مرفأ كبير يسهل عملية ايصال الرجال والمعدات ٠

ان اول مرة سمعت فيها عن فكرة انشاء ميناء اصطناعي على شاطيء نورماندي كانت في ربيع سنة ١٩٤٢ ٠ وذلك حين قال الاميرال مونتباتن : « اذا كان لابد من الموانيء فيجب أن نصنعها اجزاء اجزاء ثم نضمها معا قطعة واحدة » ٠ فساد عندئذ الهرج والمرج بين الحضور ، ولكن ما بدا في الوهلة الاولى ضربا من الخيال اصبح بعد سنتين حقيقة مجسمة ٠ وقد صنعنا نوعين من الموانيء ، النوع الاول دعوناه « الاوز » وهو عبارة عن اغراق عدد من السفن الواحدة بجانب الاخرى حتى تؤلف ملجأ أمينا للسفن الصغرى قرب الشاطيء حيث يجري تفريقها بدون خطر ، الا اذا كان الهيجان شديدا جدا ٠ واما النوع الثاني فدعوناه « الكبش » وهو عبارة عن ميناء كامل مصنوع من الباطون المسلح تصف قطعه الضخمة الواحدة بجانب الثانية حتى تؤلف حاجزا منيعا ضد الامواج وقد استعمل

البريطانيون « كبشا » واستعمل الجيش الاميركي كبشا آخر حينما جرى الغزو • وكلا النوعين من الموانيء من بنات أفكار وصنع البريطانيين •

لقد علمنا الاختبار في البحر المتوسط ان كـــل فرقة تستهلك ما زنته سبعة اطنان من المؤن والذخائر كل يوم وهي في ساحة المعركة • فتحتم علينا اعداد الترتيبات لايصال هذه الكمية لكل فرقة • هذا بالاضافة الى ما توجب من اعداد احتياط من الجنود والذخائر باعداد وكميات كبيرة •

تمكنا في الوقت المناسب من القيام بهجوم للتغلغل في جبهة العـــدو والانطلاق منها في الاراضي الفرنسية • كما توجب علينا أن نحضر الادوات الهندسية الضخمة لاصلاح الموانيء التي نحتلها ، ولاصلاح خطوط السكك الحديدية والجسور والطرق ، وانشاء المطارات ، وفوق كل ذلك توجب اعداد الوسائل لحمل الجرحى بسرعةونقلهم من الشواطيء الى المستشفيات التي اعددناها في انكلترا •

كان معاوني المختصان باعداد المؤن الجنرال السر همفري غيل والجنرال كروفورد • وكلاهما خبير فني في هذا الحقل • وقد قاما باعداد كل مايلزم بمؤازرة عدد كبير من المعاونين فجاء ما اعداه ما كفانا شر الحاجة •

لما كان البريطانيون قـد أوجسوا خيفة من قيام الالمان بهجوم عــلى شواطئهم الجنوبية أعدوا خط دفاع قـــوي هنالـك ، جهزوه بأعشاش الرشاشات ، واسوار مــن الحجر ضخمة ، والاسلاك الشائكة المعقدة • وبثوا الالغام ، واقاموا الحواجز الفولاذية تحت المياه اليابسة • وحفروا الخنادق المضادة للدبابات • فافترضنا أن الالمان قد لجأوا الى مثل هـــذه الاجهزة الدفاعية ضـد هجومنا عليهم • فانصرف البريطانيون لاستنباط اجهزة يسهل عليها تحطيم هـذه العقبات • واجروا في ذلك عدة اختبارات كأنهم يقومون بمعركة فعلية •

اليك مثلا شيقا من هذه التجارب التي التجأنا اليها في استعمال طوربيد بنغلور • لا غريب في هذا الطوربيد الا انه انبوب طويل محشو بالمتفجرات

يدس في حقل من الالغام وعندما ينطلق يفجر كل الالغام المنصوبة في خط طوله ويفتح طريقا ضيقا في حقل الالغام تخترقه الجنود أثناء زحفها ، وكان هذا السلاح معروفا في الحروب غير أن البريطانيين وجدوا له طريقة جديدة للاستعمال • وذلك أنهم التجأوا الى تغطية ذبابة شيرمان بعدد من الانابيب يحتوي كل منها على طوربيد بنغلور • فاذا وجهت الى الامـــام اصبحت كالمدافـــع • وعندما تتقدم الدبابة تنطلق الطوربيدات من الانابيب بالدور وتفجر الالغام قبـــل ان تصل اليها دبابة بعشرين قدما • وبهذه الطريقة تستطيع أن تطهر ممرا لايقل طوله عن الخمسين مترا • واجرينا تجارب كثيرة كهذه لنبطل مفعول الخنادق والحواجز وغيرها من العقبات •

من الامور التي يجب أن يوجه اليها القواد الكبار اهتماما خاصا هو ابقاء معنويات الجيوش عالية • وكثيرا ما يجب أن يوجه هذا الاهتمام نحو غاية خاصة • ومثل على ذلك أن أحد المعلقين قدر الاصابات التي ستمنى بها القوات المهاجمة لخطوط دفاع العدو على شواطيء فرنسا بثمانين الى تسعين بالمئة ، فانتشر هذا التعليق بسرعة وسبب هلعا بين الجنود وقلقا للقيادة • فاغتنمها الجنرال برادلي فرصة ليتجول بين الجنود ويخبرهم أن هذا التقدير باطل من أساسه ولا يقوم الا على المبالغة وجهل مطلق في الفنون الحربية • وأكد لهم أن الاصابات لن تزيد على معدل الخسائر في أي معركة شديدة أخرى • فتبنينا تقديره ووزعناه في المناشير ونشرناه في الصحف كي لا يتطرق الخوف الزائد ويزعزع ثقة الجنود •

انتشر النشاط في كل دوائرنا الحربية ودرست قوات الجو خطوط دفاع العدو وجربت أنجع الطرق لابادتها ، كما وضعت الخطة للدور الذي يجب أن تلعبه في المرحلة الاولى وفي المراحل التي تلي • وجمعنا ما أمكن من المعلومات عن قوات العدو من مصادر مختلفة ، ولما كانت البحرية ستقوم بدور الحراسة وكنس الالغام ، ودك حصون الشاطيء واقامة الموانيء الاصطناعية واصلاح المرافيء المدمرة ، وابقاء خطوط التموين نشيطة عاملة عبر القنال فقد قامت بتمارين خاصة مرارا وتكرارا لكي تنجز ما ترتب عليها من تبعات بدون خطأ ولازلل • واجرينا تجارب عديدة لانزال الجنود والمعدات من السفن والقوارب

ووضعنا الخطط لاخفاء الجنود والمعسكرات عن أعين العدو ، ولم نبق شيئا الا وقتلناه درسا • بينما اغتنم القواد كل فرصة لزيارة الجنود ومراقبتهم وانا نفسي قمت بين أول شباط واول حزيران بزيارة ست وعشرين فرقة ، واربعة وعشرين مطارا ، وخمس سفن حربية ، بالاضافة للزيارات التي قمت بها للمستشفيات والمستودعات والمخازن • ولم تقل زيارات برادلي ومونتغمري وسباتز وتدر عن هذا العدد •

لا شك في أن الجنود يودون أن يروا الرجال الذين يتولون قيادتهم يهتمون بهم ، ولذلك يجب على القواد أن لا يحبسوا نفوسهم في مكاتبهم كل الوقت ، بل يجب أن يظهروا ذواتهم أمام الجنود ويتحدثوا اليهم ويختلطوا بهم ما أمكن ، لانهم بذلك يرفعون معنوياتهم لان المعنويات هي فوق كل اعتبار عند احتدام المعارك •

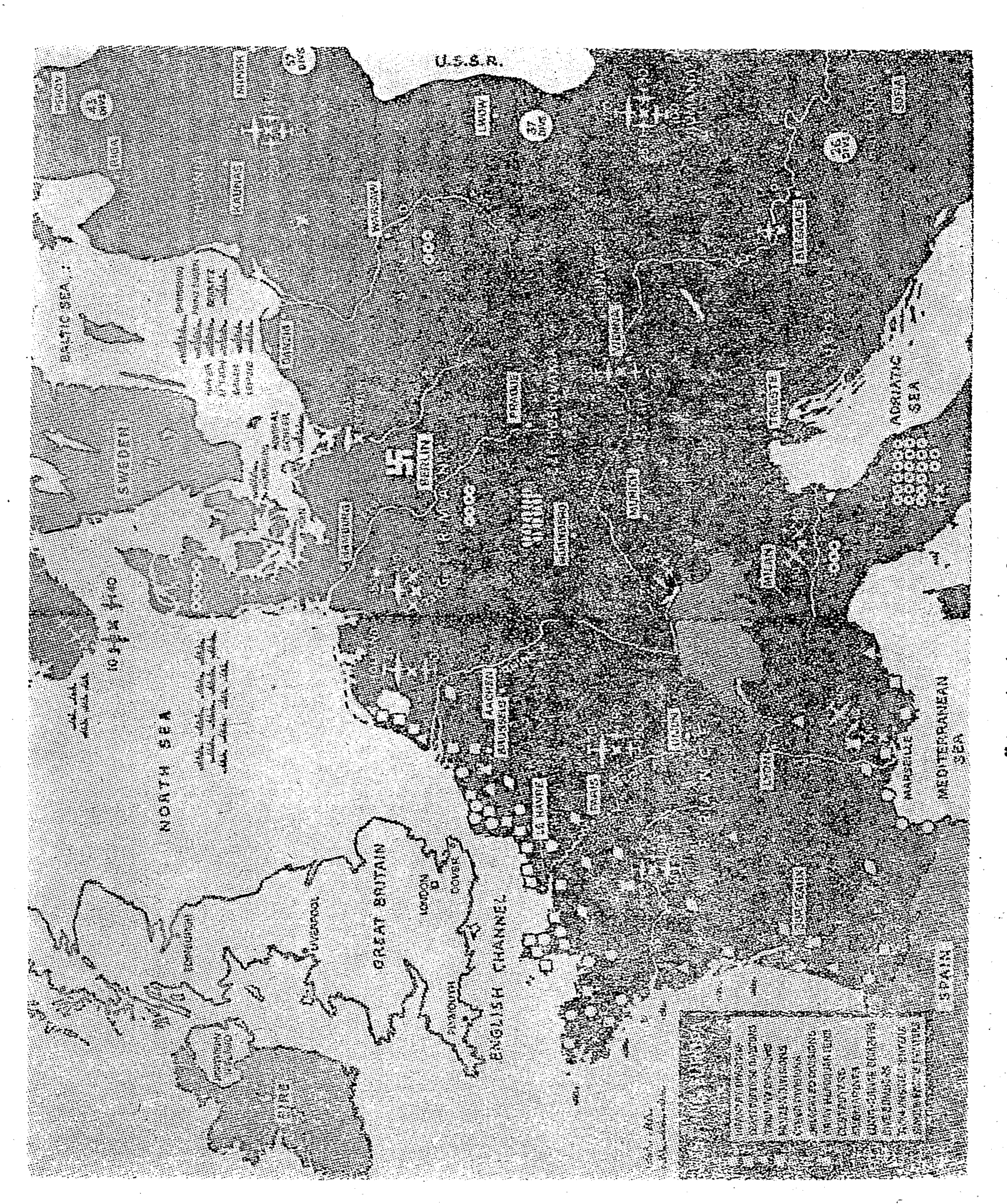
عندما اقترب الوقت لنقل مراكز قياداتنا الى الشواطيء ، بدت أجزاء انكلترا الجنوبية كمعسكر واحد • وقد أوقفت بريطانيا ، بطلب منا ، كل مواصلاتها بين هذه المنطقة وسائر مناطقها، كما اوقفت كل اتصال بين ايرلندا الحرة وسائر الجزر البريطانية خوفا من تسلل الجواسيس • وقد التجأت الحكومة الى طريقة استبدادية ، اذ اوقفت كل الاتصالات الدبلوماسية مع الخارج ، خوفا من أن يتسرب من احدى السفارات ما يفيد العدو عما يجري في انكلترا • وأثارت بذلك غضب واحتجاج الدول وصادرت جميع سفنها وقاطراتها وما نفتقر اليه من وسائل نقلها ووضعت الكل تحت تصرفنا • والمهم أن الشعب البريطاني لم يتذمر ولم يحتج على ما اتخذ من اجراءات تحد من حريته ، وتحرمه من رفاهيته ووسائل تنقله ، بل قبل التضحيات بكل سرور لانه عرف أن المعركة فاصلة ، والعاقل من يضحي بهناء بضعة أشهر ويتحمل المشقات والمصاعب بصبر كي يعيش حرا طليقا مدى الحياة •

أضحت القيادة العامة في الحرب الحديثة مضطرة ان تدرس أحوال الجو وطبيعة الارض ونفسية العدو وامكانياته ، وما قد يطرأ من مفاجئات طبيعية ومضاعفات ، لاسيما وان الغزوة برمائية عبر قنال عرضة للعواصف ويقوى

فيه المد والجزر المسبب عن التجاذب بين المياه والقمر والشمس • ومن المسلم به أن ربابنة الملاحة يستطيعون التنبؤ سلفا بارتفاع المد وانخفاض الجزر من اطلاعهم على مركز القمر والشمس • ولهذا فاننا بعد أن أجلنا البدء بالغزو من اوائل ايار بتنا نحسب متى تكون وضعية الشمس والقمر مناسبة ثانية للبدء بالهجوم ؟ فوجدنا أن ذلك يحدث في ٥ و ٦ و ٧ من شهر حزيران لاننا في ذلك التاريخ نستطيع أن نجتاز القنال ليلا تحت جنح الظلام ، ولا يعلم العدو شيئا عن وجهة سير قوافلنا البحرية وفي نفس الوقت تصل الطائرات ناقلات الجنود عندما يكون القمر مشرقا حتى يبصروا طريقهم في النزول والتمركز ، بعد أن تكون قاذفاتنا قد ضربت تحصينات العدو بشدة ودكت معاقله وأذهلت رجاله في آخر أربعين دقيقة من نور النهار •

لا تستطيع القيادة في الحرب الحديثة أن تترك شيئا للمناسبات ، بل عليها أن تتحسب للطوارىء وتوقت كل أمر يتعلق بوصول جنود المظلات وطائرات الانزلاق والذين تنقلهم السفن حتى تكون عملياتهم منسجمة مع بعضها • هذا مع وجوب تعيين الوقت الذي تكون فيه حالة المد موافقة لنزول الجنود والمعدات من السفن والقوارب الى البر في اللحظة التي لاتزال فيها قوات دفاع العدو مذهولة مما عانته من قصف قاذفاتنا واسطولنا البحري ، فلا تمنى الا بأقل ما يمكن من خسائر •

ذكرت قبلا أننا اخترنا منطقتي نورماندي وشبه جزيرة كونتنتان كهدف أول لغزوتنا لانهما بعيدتان نسبيا عن انكلترا ولا يتوقع العدو أن نغزوهما ولهذا لم يعبيء فيهما من القوى ما عبأه في منطقة كاليه • ورأينا أن ينزل الجيش البريطاني في نورماندي والجيش الاميركي على يمينه عند قاعدة شبه جزيرة كونتنتان على أن تتجه ميمنته شمالا لاحتلال مرفأ شاربورغ ، بينما يتقدم قلبه وميسرته نحو الغرب الجنوبي لقطع شبه الجزيرة وقطع مواصلات العدو المحصورة فيها • لكن رأينا أن طبيعة الارض التي اخترناها لبدء نزول القوات الاميركية على جانب عظيم من الصعوبة • لان وراء الشاطيء منخفضا تسللت اليه مياه البحر وحولته مستنقعا يصعب اجتيازه الا على ممرات أقيمت خصيصا لتلك الغاية ، ولم يعمل العدو على ازالتها • فاذا




أوروبا المحتلة

احتل جنودنا الشاطيء وارادوا التقدم استطاع العدو أن يرابط عند تلك الممرات ويمنعها • فنضطر الى أن ننحصر في منطقة ضيقة لا يمكن توسيعها ، ونبقى هدفا لنيران العدو الذي قد يتمكن من طرحنا في البحر ثانية • فتفشل الغزوة وتزهق الارواح عبثا • ولنتلافى مثل ذلك المصير المشؤوم وضعت خطة لانزال فرقتين من جنود المظلات وراء المستنقع لتحمي الممرات وتؤمن تقدم قواتنا الزاحفة من البحر • الى هنا بدأت المسألة طبيعية وبسيطة ، ولكنها بالفعل معقدة كل التعقيد • لان طبيعة الارض وراء المستنقعات صعبة، كثيرة الصخور والمنحدرات والعقبات الطبيعية والاصطناعية مما يعرض عددا كبيرا من الجنود للموت والتحطيم • ومن يبقى حيا تحصده نيران قوات العدو المتحركة والمعسكرة في تلك الناحية •

تناقشنا في الموضوع مطولا ، فوافق على رأيي كل من الجنرال برادلي والجنرال ماثيور يدجوي قائد القوات الاميركية التي تحملها الطائرات ، وجرى ادخال مشروع فرقتين من الجو في صلب خطتنا الرئيسية ، ولكن قبل بدء الهجوم بمدة قصيرة ، بعث المشروع ثانية واعترض الكثيرون عليه •

في الثلاثين من شهر أيار دخل علي مارشال الجو لقوات الحلفاء واحتج على ما أعددته من مذبحة لجنود فرقتين من أفضل جنودنا ، لان الخطة التي وضعتها لانزال فرقتين من الجو وراء خط في أرض صعبة ستؤدي الى اهلاك ستين الى ثمانين بالمئة من الجنود بواسطة نيران العدو والعقبات الطبيعية • ولا يستطيع ما تبقى سالما أن ينفذ ما أسند اليه من مهمات • ورجاني أن أعيد النظر في ذلك القرار •

لما كان قد أدركنا الوقت ولا مجال لطرح الموضوع على لجنة خاصة تتناقش فيه وتعطي قرارها ، ولما تصورت نفسي جالسا في مكتبي ارسم خطة تؤدي الى اهلاك عشرات الالوف من خيرة شبابنا عبثا ، طلبت اليه أن يسلمني تقريره خطيا • ولما فعل سجلت اعتراضه رسميا حتى اذا حدث وفشل المشروع بالصورة التي ارتآها ، لا يكون مسؤولا أمام الرأي العام • ثم انزويت في غرفتي لأفكر في القضية مليا • وتوصلت أخيرا الى ما يلي من نتائج:

أولا : اذا ألغيت عملية النزول من الطائرات فلابد لي من الغاء النزول على قاعدة شبه الجزيرة خوفا من تعريض الجنود الغازية من البحرية لكارثة أعم وأشمل من الكارثة التي تنتظر فرقتي الجو .

ثانيا : اذا الغيت عملية النزول على قاعدة شبه الجزيرة ، أكون قد حكمت على فشل قضية درستها ووثقت بصحة نجاحها مدة سنتين ، فأقضي بذلك على ما يمكن من نجاحات في أمكنة أخرى . لان اشغال العدو هنا يخفف الضغط على القوات الغازية في غير جبهة . وبدونها لا نستطيع احتلال شاربورغ وهي مسألة حيوية لنا . وأخيرا قد احكم بالغائها على فشل الغزوة كلها .

ثالثا : ان تقديرات مالوري هي تخمينية لا أكثر ولا أقل ، ولكن اختباراتنا في صقلية وايطاليا تجعلنا أن لا نذهب الى الدرجة التي ذهب اليها من التشاؤم ، لاسيما وان برادلي وريدجوي الخبيرين في مثل هذه القضية قد وافقا على خطتي وتحمسا لها . عندئذ اتصلت بمالوري وأخبرته تلفونيا بأنني صممت على الاحتفاظ بالمشروع حسب الخطة الموضوعة . ولما جرى الهجوم ونجحت الخطة كان مالوري أول من اتصل بي وهنأني وقدم اعتذاره لانه سبب لي كثيرا من القلق .

بينما كانت القيادة تخطط وتدرس وتسجل وتعيد النظر ، جعل عدد من رجال السياسة والجيش يأتي ويعقد المؤتمرات معنا ويشترك في المباحثات وابداء الرأيء واطلاعنا على ما يجري في أمريكا من اعداد سفن واسلحة ورجال ومؤن وغيرها مما يبشر بالخير . بالاضافة الى ماتقوم به بريطانيا من مجهودات وكثيرا ما اجتمعت بالمستر ايدن والمستر بفن وبأركان قيادة الجيش البريطاني وغيرهم من الساسة . وممن اجتمعت بهم الجنرال ديغول الذي جاء خصيصا من افريقيا ليبحث في أمر غزو فرنسا . وكانت هذه الاجتماعات تتناول بالبحث كل موضوع ما يختص بالحرب وما يلي الحرب من تخطيط لاحتلال المانيا والنمسا وسائر البلدان التي يسيطر عليها المحور .

في كل هذه المدة ازداد اتصالي برئيس الوزراء لانه استطاع أن يمدنا



قسم من أسراب من القاذفات الامريكية التي أغارت على مدينة بريمن الالمانية

بالرأي والعمل • وكنت اذا زرته لغاية تتعلق بعملية الغزو اصرف مــدة ساعة في الطريق بين الجنائن والبساتين ، أتمتع بلذة فائقة في الهواء الطلق وبالمناظر الجميلة ، فأزداد نشاطا ، لانه يسكن في قصر تشكرز الذي أقام به كرومويل قديما ، وهو يقع في بقعة هادئة خارج المدينة •

كان المستر تشرشل يطلب من ضيوفه أن يصلوا الى قصره عند الاصيل ، حتى يتمكنوا بعد العشاء من مشاهــدة بعض الافــلام في الساعة العاشرة والنصف مساء • وبعد ذلك يبتدىء المؤتمر للدرس والعمــل • فنبقي في الاجتماع الى الثالثــة صباحا • واعتاد المستر ايدن وبعض أركان قيــادة الجيش البريطاني أن يحضروا دائما • فنشأت صداقة بيني وبين عــدد كبير من قادة بريطانيا •

حدث في أحد المؤتمرات أن قائدا بريطانيا وهو يتحدث عن الجنود أطلق عليهم لفظة « جثث » فوبخه المستر تشرشل على استعمال مثل هذه اللفظة لانه ليس من الانسانية واللياقة أن يتكلم أحد عن الجنود بمثل هذه الخسة وقد شعرت بمثل ما شعر به رئيس الوزراء ، لكنني حزنت على ذلك القائد الذي أثار غضب المستر تشرشل عليه وهو لا يدري •

وجد في قصر تشكرز سجل كما هي العادة في أكثر بيوت البريطانيين ، يتحتم على كل زائر تسجيل اسمه فيه • حدث في احدى الزيارات اني خرجت مسرعا دون أن أسجل اسمي ، ولكنني لم أكد أجلس في مقعد السيارة حتى رأيت الخادم يلحقني بالسجل ويقول : « ياسيدي لقد نسيت تسجيل اسمك » فاعتذرت عن قصوري وسجلته • ثم سرت مسرعا •

قام الالمان بغارات شديدة على معسكراتنا في شهر شباط سنة ١٩٤٤ وفي أحد الايام زارني المستر تشرشل وطلب الي أن أنتقل الى ملجأ أعده لي خاصة ، يحتوي على جميع وسائل الراحة • فسألته اذا كان هو يقيم في ملجأ • فأجاب بالنفي • فقلت له : « ان حياتي ليست أعز من حياتك أيها الرئيس ولعلمي أنك تذهب في أثناء الغارة لتتفقد أحوال ابنتك التي تعمل في احدى البطاريات المقاومة للطائرات ، فانني لن اختبىء في ملجأ » •

اعتاد المستر تشرشل أن يبدي رأيه في الغزوة الكبرى • وظهر أنه أصبح أكثر تفاؤلا بشأنها من السابق • لكن يظهر أنه لم يعط مجالا لآماله أن تقوى على شكوكه ، وفي أكثر من مرة قال : « أيها الجنرال ، اذا استطعت أن تحتل بالستة والثلاثين فرقة التي تحت امرتك شبه جزيرتي بريتاني وكونتنتان بما في ذلك مرفأ شاربورغ قبل حلول فصل الشتاء الآتي فانك تكون قد قمت بعمل عظيم • واذا استطعت احتلال مرفأ الهافر وتحرير باريس الجميلة من أيدي العدو، أؤكد لك أنك تكون قد أحرزت أعظم نصر عرفه التاريخ الحديث» واعتدت أن أجيبه • « ياحضرة الرئيس ، أؤكد لك اننا سنكون واقفين على حدود المانيا الغربية قبل بدء فصل الشتاء • واعلم أنه ليس فقط لدينا هذه الستة والثلاثون فرقة ، بل لدينا أيضا عشر فرق أخرى ستغزو فرنسا من الجنوب • هذا بالاضافة الى الاربعين فرقة التي ستأتي مباشرة من أميركا وتنزل في مرافيء فرنسا » فيجيب : « انها لمزية حسنة أن يكون القائد متفائلا ولكني لا أتصور أنك تستطيع احتلال مساحة من فرنسا تتسع لمثل هذا العدد من الفرق قبل حلول الشتاء • احتل باريس والهافر فقط ولن تجد من يجرؤ على مطالبتك بأكثر » •

استطاع الجنرال مونتغومري بالتعاون مع قادة الجو والبحر ان يقدم في السابع من شهر نيسان صورة كاملة مفصلة عن خطة هجوم قوات البر على شواطيء فرنسا • فعقد مؤتمر ضخم في مدرسة القديس بولس في لندن ، وأمضينا يوما كاملا في عرض الخطة وفحصها ، والبحث في طرق تنفيذها •

اقتضت الخطة أن تبحر الجنود جنوبا نحو شواطيء فرنسا ، على أن يكون الاميركيون في الميمنة ، والبريطانيون والكنديون في الميسرة •. فتنزل الميسرة على شواطيء بريتاني قرب مصب نهر اورن ، بينما تنزل الميمنة في شاطيء يوته على قاعدة شبه جزيرة شاربورغ • وبذلك يبلغ اتساع الجبهة ستين ميلا • وبما أن رغبتنا هي احتلال قواعد لمقاتلاتنا في فرنسا ، ومساحات تستطيع دباباتنا أن تعمل فيها بكثرة ، جعلنا خطتنا أن يحتل الجيش البريطاني الثاني السهول الواقعة وراء مدينة كان • بينما يقوم الاميركيون الى اليمين بالتقدم جنوبا على موازاة الزحف البريطاني • وتقوم قوات أخرى

بالزحف شمالا لاحتلال مدينة شاربورغ • وقدرنا أن الالمان الذين لهمقوات كبيرة في منطقة كاليه سيقومون بهجوم قوي على منطقتنا ، وانهم سيتشبثون على الاخص بشاربورغ ويمنعون مرفأها علينا•ولكن اتكالنا علىعنصر المفاجأة وعلى ضخامة قواتنا الجوية جعلتنا أن نتفاءل خـــيرا بالنتائج مهما كانت العقبات صعبة • فجعلنا نضع التقديرات لتقدمنا في ظرف الايام والاسابيع التي تلي عملية النزول في اليوم الاول • وحينما بدأت العمليات تبين أن تقديراتنا كانت أكثر تفاؤلا مما استطعنا تحقيقه في المرحلة الاولى والثانية ، ولكن بعد تسعين يوما من بدء الهجوم ظهر أن ما حققناه من تقدم زاد عـــلى ما قدرناه •

في الخامس عشر من شهر أيار دعت رئاسة قيادة حملة الحلفاء لعقد المؤتمر الاخير في مدرسة القديس بولس ، ولم يبق ضابط من رؤساء أركان الجيش البريطاني في البلاد الا وحضره•كما حضره ملك بريطانيا والوزراء والجنرال سطمس رئيس حكومة جنوبي افريقيا وغيره من قادة الحلفاء • ولم أحضر مؤتمرا كل مدة الحرب اجتمع فيه اصحاب جلالة وسمو وفخامة وغيرها من الالقاب الشريفة كهذا المؤتمر • وكانت الغاية من عقده اعادة النظر في بعض القرارات التي اتخذت في المؤتمر السابق وافهام كل قائد الدور الذي يجب أن يلعبه ، والتعليمات التي يجب أن يوجهها الى الوحدة او الوحدات التابعة لقيادته ، على أن يجري كل شيء بسرية تامة •

وتسنى لنا في هذا المؤتمر أن نسمع كلمة من صاحب الجلالة ملك بريطانيا ومن رئيس وزرائه • فأدلى هذا الاخير بخطاب حماسي من خطبه المعروفة في حث الحلفاء على الحرب • وأدهش الكثيرين لاسيما الاميركيين منا بنوع خاص عندما قال أنه يعلق آمالا كبارا على الغزوة الكبرى التي ستؤدي الى تحطيم المانيا • فاستنتجنا ان ما خامره من شك في نجاح الحملة في السابق حتى انه بذل الجهد الكبير ليؤخرها ، قد تلاشى • واصبح يعتقد كما نعتقد نحن بأن في هذه الغزوة الطريق القويم الى النصر • وقد نجح المؤتمر كل النجاح لانه أنعش ثقة كل قائد من قادة السياسة والحرب • ولا شك في أن ثقـــة القادة بالمشروع تتوزع على سائر الجنود والشعب •

في الوقت الذي انتقلت قيادة العمليات الحربية الى مدينة بورتسموث شعرت انه لم يبق أمامنا الا تعيين اليوم لبدء الغزو • وبينما كنت أفكر في ذلك زارني الجنرال ديغول ليباحثني في عدة قضايا • فنشأ خلاف بيني وبينه على تعيين اليوم والساعة ، وعلى طبيعة ما يجب أن يعلن على الشعب الفرنسي عندما نضع أرجلنا في بلاده • لانه أراد أن نعلن بكل وضوح أنه هو سيصبح حاكم فرنسا الفعلي ، ومن حقه وحده أن يصدر الاوامر الى الفرنسيين عن كيفية تعاونهم مع جيش الحلفاء • فلم استطع مجاراته في رأيه •

أبى الرئيس روزفلت أن يعترف بالجنرال ديغول كحاكم لفرنسا ، لاعتبار أن الشعب الفرنسي هو مصدر السلطة في بلاده ، ولا حق للحلفاء أن يفرضوا عليها حاكما معينا • وأوصى بأن نعلن بأننا متعدون لان نتعاون مع أية هيئة فرنسية تساهم معنا في القضاء على القوات الالمانية • ولا مانع عندنا من أن تنتخب تلك الهيئة الجنرال ديغول رئيسا لها • لكنه يعارض بشدة أن نفرضه فرضا على الشعب الفرنسي •

وقعت رئاسة قيادة الحلفاء في حيرة ، بين ما أصدرته حكومتا الحلفاء من تعليمات وبين ما طالب الجنرال ديغول به ، لاننا كنا في أمس الحاجة الى معاونة الانصار في فرنسا والذين يكثر عددهم في بريتاني ونورماندي خاصة • ولا ندري أية نسبة منهم تناصر ديغول • فخشينا أن يؤدي اغضابنا اياه الى حرماننا من مؤازرة أنصاره • وفي الآخر صممنا أن نعترف بالجنرال ديغول كقائد عام للفرنسيين الذين يشتركون معنا في عملية الغزو ، ونترك أمر حكومة فرنسا الى مابعد تحرير البلاد • فنبيح الحرية للفرنسيين أن يختاروا الحكومة التي يريدون • فاحتج ديغول على ذلك ، ولكنه صمم على مؤازرتنا بكل ما أعطي من جهد • فارتحنا لذلك •

تمت الاستعدادات ، ووضعنا لكل شيء حسابه ، ولم يبق أمامنا سوى عقبة واحدة وهي الطقس ، هل يصفو الجو ويهدأ البحر في مدة الايام الثلاثة أي الخامس والسادس والسابع من شهر حزيران ، ويسهل أمامنا أمر الشروع بالغزو ، أم يكفهر الجو وتعصف العواصف ويثور البحر ويتحالف بذلك مع العدو ! نعم ان الطقس ككائن لا يعقل من طبيعته الحياد ، ولكن

اذا اضطرب البحر وعلت الامواج تصبح المانيا في مأمن من شرنا ولا تحسب حسابا لغزونا المناطق التي تحتلها • والذي يحز في النفس ان لاسلطة لنا عليه • وبعد أن تمت استعداداتنا واصبحت جيوشنا على أتم الاهبة للانطلاق في أعظم حملة برمائية عرفها التاريخ ، هل يسمح لنا الطقس ذلك الكائن غير الواعي أن ننطلق ! هنا علامة سؤال كبرى • واذا تأخرنا عن السابع من حزيران يتحتم علينا أن ننتظر مدة خمسة عشر يوما بعد ذلك التاريخ حتى تعود الشمس والقمر وحالة المد الى الوضع الذي يناسب عملية الغزو • ولكن ألا يؤدي التأخير الى انحطاط معنويات نحو مليوني جندي ، وشعوب الحلفاء عامة ؟•

اعتدنا أن نجتمع في اليوم مرتين باللجنة المؤلفة من علماء الظواهر الجوية مرة في الساعة التاسعة والنصف مساء ، والاخرى في الرابعة صباحا • وتتألف اللجنة من خبراء بريطانيين واميركيين برئاسة ربان سكوتلندي ماهر وجرى درس وتحليل كل ظاهرة جوية باعتناء • وعندما اقتربت الساعة الحرجة أخذ التوتر يزداد ، لان التنبؤات أخذت تنذر بحلول العواصف •

صممنا في مؤتمرنا الاخير أن يبدأ الهجوم في الخامس من الشهر • وفي الرابعة من صباح ٤ حزيران بدأت الوحدات تصعد الى السفن • وعندما اجتمع القواد في فجر ذلك اليوم ، بدأت التقارير المخيبة للآمال تصل ، لانها أنبأت عن وجود غيوم منخفضة ، ورياح عالية ، وامواج صاخبة تجعل الوصول الى البر محفوفا بالاخطار الجسيمة • فأشار الخبراء بأن مساندة قوى الجو مستحيلة • ومدفعية الاسطول ضعيفة ، والتحكم بادارة القوارب الصغيرة والمواعين صعب للغاية • ولكن الاميرال رمزي قال ان امتلاك زمام المواعين البحرية ممكن ، ولكن اصابة الهدف بالمدفعية مستحيلة ، وبذلك اتخذ لنفسه موقفا حياديا • ولكن الجنرال مونتغمري الذي تقع على كتفيه أكثر منغيره مسؤولية ،مايحدث من اضرار بسبب التأخر قال بمباشرةالهجوم فعارضه تدر ، فبقي الفصل بين الرأيين في يدي •

عندما درست المسألة ووازنت بين العوامل المشجعة والمضادة اصدرت اوامري بتأخير الهجوم • وابرقت الى السفن أن ترجعالى مرافئها•فاصطدمت

عندئذ بمشكلة أخرى وهي اذا هدأ الجو في اليوم التالي ، فهل تستطيع هذه السفن أن تعبيء وقودها وتكون على أهبة الاستعداد للملاحة ثانية في مدى ساعات قليلة ؟ وقد وصلتني الاخبار أن البحر قد اشتد هيجانه في الناحية الغربية حتى صعب على الربابنة أمر امتلاك زمام السفن ·

في صباح اليوم التالي كان المعسكر يصطك ويرتجف من أساساته أمام الرياح الشديدة · وأخذ المطر ينهمر بغزارة كأنه أعمدة رفيعة أسفلها على الارض ورؤوسها في الغيوم ، مما جعلنا أن نصرف النظر عن البحث في أية عملية · وحينما اجتمعنا عند الرابعة بلجنة الخبراء كان تقرير ستاك بأن حالة الجو على شواطيء فرنسا جاءت كما تنبأ من الصخب والهيجان ، حتى لو أننا واصلنا عملية الهجوم لابتلينا بأكبر نكبة · وأردف أن الدلائل تشير الى أن الهيجان سيهدأ في اليوم المقبل مدة ست وثلاثين ساعة تفصل بين عاصفة متلاشية وأخرى مقبلة ·

لم يكن التقرير مشجعا فقد نرسل الموجات الاولى ثم تحول العواصف دون الحاقها بموجات أخرى ، فينقض عليها العدو ويبيدها · ولكني رأيت أن الضرر الذي سينتج عن تأخير الغزوة مدة اسبوعين على أقل تقدير يبرر مجازفتنا بالهجوم المباشر · ولما كانت الساعة لا تزال الرابعة والنصف من صباح الخامس من شهر حزيران ، أصدرت أوامري بسرعة بأن يبدأ الهجوم في السادس من حزيران · ولم يعارضني أحد من الحضور ، بل رأيت أنه قد سري عن الجميع · وبدون أية كلمة انصرف كل واحد الى مركز قيادته ليصدر أوامره الى الجيوش بأن تتحرك ·

رفعت الي عدة طلبات يتمنى أصحابها أن أسمح لهم بالصعود الى بعض سفن الحراسة ليتمكنوا من مشاهدة عملية الغزو عن كثب · فلم أمانع في استجابة طلب أكثرهم · وبين الذين رفض طلبهم كان رئيس الوزراء الذي صعب عليه أن يبقى منزويا في بيته يتسقط الاخبار بكل ضجر وتوتر ، بينما يمكنه أن يرافق الحملة ويشاهد هو بنفسه كل حركة · قلت له أن سلامته ضرورية جدا من أجل المجهود الحربي · واذا تعرض صدفة لاصابة

طائشة ، تكون النتائج وخيمة جدا • ولذلك أرفض طلبه بكل تصميم • فأثار عندئذ القضية على الصعيد الحقوقي وقال اني لم أصبح القائد الاعلى للحملة الا بفضل السلطة التي وهبتني اياها الحكومتان ، انما ذلك لا يعني أنه أصبح من صلاحيتي التدخل بشئون المنظمات البريطانية ، ولما وافقت على ذلك قال « بما أنه لا يحق لك ياجنرالي العزيز أن تقرر ممن يتألف رجال سفينة من سفن صاحب الجلالة فاني سأصعد احدى السفن كواحد من بحارتها وأذهب دون أن يكون لك سلطة على منعي »•

عندئذ أجبته بقوة مشيرا الى أنه يعمل على زيادة متاعبي في محاولته اللف والدوران ضد أوامري • وبينما اعترفت بقصوري عن منعه قانونيا ، أتتني النجدة من ناحية لم أكن أتوقعها ، وذلك أن جلالة الملك حينما اطلع على ما ينوي رئيس الوزراء فعله ، وبما أنه لا يريد أن يتدخل بشؤونه ، أرسل كلمة الى المستر تشرشل يقول فيها : « اذا كنت ياحضرة الرئيس تشعر بأنه من الضروري أن ترافق الحملة فأنا ملك بريطانيا أشعر أيضا بأنه من واجبي أن أذهب على رأس الحملة مع جنودي» • وهكذا انحلت القضية وانطوى خبرها •

مع ذلك شعرت مع رئيس الوزراء لاني كذلك تحملت صعوبة الانتظار الذي له بداية وليس له نهاية ، وخصوصا عند قائد أصدر أوامره بالهجوم وجلس يضرب أخماسا بأسداس الى أن ترده التقارير الاولى عما حدث • فأشغلت نفسي بزيارة الجنود الذين سيشتركون في الهجوم • وعند المساء قمت برحلة الى معسكر فرقة الطيران الاميركية المئة والواحدة التي حمي النقاش بشأن مساهمتها في الحملة من قبل قائد الطيران العام • ووجدت رجالها في حالة جيدة • وعندما رأوني قالوا مرحين بأنه لا يحق لي أن أنزعج طالما الفرقة المئة والواحدة قد أخذت على نفسها أن لا ترجع حتى تصيب من العدو مقتلا • وبقيت في صحبتهم حتى حملت الطائرات آخر رجل منهم ، حوالي منتصف الليل • وبعد أن مكثت في الرحلة نحوا من ساعتين رجعت الى مركزي ولم يطل بي الوقت حتى بدأت التقارير تصلني •

# الفصل الثالث عشر

# النزول في فرنسا

## نداء ايزنهاور الى قواتـه عشية الغزو لشواطيء فرنسا

« أيها الجنود ، يا رجال البر والبحر والجو :

انكم على وشك أن تقوموا بحملة مقدسة ، صرفنا الكثير من الجهـد والوقت في سبيل الاستعداد لها • ان انظار العالم متجهة اليكم ، وآمـال الشعوب المحبة للحرية في كل مكان ترافقكم • ان مهمتكم عظيمة بقدرماهي شاقة ، غايتها سحق آلة الحرب الالمانية والقضاء عـلى جبروت النازيين وانقاذ العالم من قسوتهم وطغيانهم •

انكم ستواجهون حسن التدريب متمرسا بالحرب ، كامل العدد والعدد، يعرف كيف يقاوم بعناد ويقاتل بشراسة •

لا خوف ولا وجل ، فاليوم غير البارحة ، وسنة ١٩٤٤ غير سنة ١٩٤٠ بالامس سيطرت المانيا لانها تهيأت للحرب ، بينما كان غيرها يتهيأللسلم• أما اليوم فقد أصاب الحلفاء جيشها بجراحات اليمة وهزائم كبرى ، وأنزل سلاح جونا من الخسائر بجهاز صناعتها ومواصلاتها ما قلل من مقدرتهـا الانتاجية واضعف تحركاتها الحربية ، بينما زودتنـا جبهاتنا الداخليـة بأسلحة أقوى من أسلحتها ، ومعدات أفتك وأوفر بما لا يقاس ، ووضعت

بين أيدينا من الرجال المدربين على القتال ما لا يحصى ، مما جعل المد أن ينقلب لصالحنا • لقد بدأ الاحرار زحفهم •

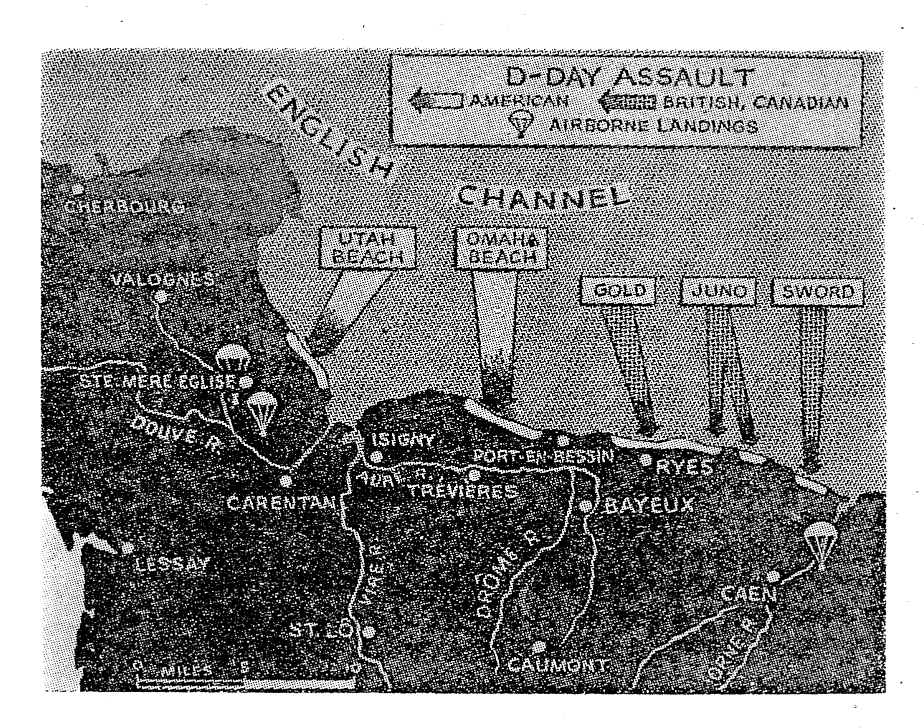
أما أنا فلي ملء الثقة بشجاعتكم واقدامكم واخلاصكم لواجباتكم ومهارتكم في الحرب ، ولذلك لا أقبل منكم أقل من النصر كاملا •

سيروا محروسين وليسدد الله خطاكم ويبارك عملكم لتؤدوا المهمة التي اختاركم القدر لتأديتها » •

كان اول تقرير وصلني من الوحدات التي نقلها سلاح الجو مشجعا • وعندما تقدم الصباح ظهر ان عملية النزول الى البر تجري بنجاح • وقد ذهب مونتغمري في مدمرة ليزور الشواطيء وليجد مكانا ينشيء فيه مركز قيادته • فوعدته بأن أزوره في اليوم التالي • أما الهجوم الذي اشتركت فيه القوات التي نزلت من الجو والقوات التي صعدت من البحر عند قاعدة شبه جزيرة شاربورغ فقد كان مطمئنا ، على أن القتال كان يدور بشدة متناهية •

قمت برحلتي الى الشاطيء الفرنسي على مدمرة ، وعندما وصلت وجدت ان الفرقة الاولى والفرقة التاسعة والعشرين التي تهاجم بقعة اوماها قد استطاعت طرد العدو وأخذت تتقدم بسرعة ، على انه بقيت بعض الجيوب المنعزلة والتي أخذت تبدي مقاومة شديدة ، وتوجه نيران مدفعيتها الى شواطئنا وسفننا ، واجتمعت بالجنرال برادلي ووجدته كعادته كبير القلق واثقا بالنتائج • وبالفعل كانت المقاومة التي صادفناها على شاطيء اوماها قد بلغت المستوى الذي توقعناه • وتبين ان الالمان لم يتوقعوا أن نقوم بهجومنا في مثل هذا الطقس السيء ، ولذلك كان الهجوم مفاجأة لهم ، فلم يبدوا مقاومة شديدة في البدء • وفي قطاع أوماها كانت فرقة العدو الثلاثمئة والثانية والخمسين تقوم بمناورة وتمارين دفاعية • ولذلك استطاعت أن تقاوم بشدة •

قمت بجولة على الشواطيء أثناء النهار ، واغتنمت فرصة لاجتمع بكبار القادة ، ومنهم مونتغمري • وعند المساء لما كنا نتقدم مسرعين بقرب




يــوم الهجوم

الشاطيء أصيبت الطرادة بعطب شديد ، وتوقفت عن العمل فاضطررت الى أن أتخذ سفينة أخرى وأرجع الى بور تسموث ببريطانيا ٠

ان المدة الواقعة بـين بدء الهجوم في ٦ حزيران و ٢٥ تموز دعوناها معركة الشواطيء ٠ وكانت مرحلةمن الزمن لم يتوقف فيها القتال الشديد برهة واحدة ٠ مع اننا لـم نحرز تقدما محسوسا سوى احتلال مدينة شاربورغ ٠ ولكنها قررت مصير المراحل التي أعقبتها في احتلالنا لفرنسا وبلجيكا ٠ والنزاع الذي حمي هنالك توقف عليه الكثير من النتائج المادية والمعنوية التي حسنت مركزنا الى نهاية الحرب ٠

لما عرف مونتغمري بأن رومل خصمه في الصحراء يتولى عملية الدفـاع تنبأ بأن عمليات العدو ستتصف بالهجوم العنيف المتواصل ، وبأنه سيرمي بكل فرقة أو فوج أو سرية في متناول يده ٠ وشطب من دفتر حساباته ان العدو تحت قيادة رومل يمكن أن يختار موقعا طبيعيا حصينا ويقيم فيـه

خط دفاعه ليقاوم بهدوء وصبر حتى يعبيء جميع قواته ويقوم علينا بهجوم عام محاولا أن يقذف بنا في البحر • فصح كل حرف من نبوءة مونتغمري •

منذ يوم نزولنا لم تهدأ المعركة الا في بقع منعزلة • ولذلك لم تشبه بشيء حرب الخنادق التي جرت في الحرب العالمية الاولى • أما مونتغمري فتنبأ بأن احتلال شاربورغ سيكون أمرا متعبا ، ولكنه اعتمد على عنصري السرعة والجرأة ليحرز نصرا حاسما في مدة عشرة أيام • وعلى الجبهة الشرقية لم تسقط مدينة كان في أيدينا كما كنا نرجو • ولذلك لم نتمكن من احتلال السهول الواقعة وراءها لنتمكن من استعمال دباباتنا بأعدادها الضخمة ، لان رومل قام بدفاع مستميت •

اضطر العدو منذ البدء أن يسحب كل جنوده المعسكرة في شبه جزيرة بريتاني ليدعم بها فرقه التي تقاتل على الشواطيء • ثم جلب فرقا أخرى من جنوبي فرنسا ومن الاراضي المنخفضة • فلم يبق عنده قوات احتياطية كبيرة في شمالي غرب اوروبا الا في منطقة كاليه • وحتى يتمكن من حفظ المواصلات بين قواته هنالك وبين المنطقة التي نقاتله فيها ، اضطر ان يدافع عن كان بشدة • واذا احتللنا تلك المدينة نشطر قواته الى شطرين ، ولايتمكن من الاتصال بعدئذ الا اذا انسحب مسافة طويلة الى الوراء•ولهذا السبب فقط ركز اقوى فرقه في المدينة ؛ وبذل المستحيل ليبقيها في يده •

انفجرت أول قنبلة المانية مجنحة ( ف ١ V-1 ) في لندن في الثاني عشر من شهر حزيران سنة ١٩٤٤ • وهذه القنبلة أشبه بطائرة صغيرة بدون سائق تطير بسرعة عظيمة في اتجاه معين • وتحتوي على كمية كبيرة من المتفجرات ، وتنفجر عندما تصطدم بهدفها ، وتحدث دويا هائلا • أما القذيفة المجنحة ( ف رقم ٢ V-2 ) فلم تستعمل الافي أوائل آب • وهي أشبه بصاروخ يقذف في الهواء ثم يسقط بسرعة ، ولا يعرف عنها شيء الا بعد أن تنفجر ، ولا يصدر عنها صوت عندما تطير •

لاشك في ان الغارات التي قمنا بها على منشآت العدو أخرت كثيرا انتاج الاسلحة الالمانية السرية ، لاننا كلما وردنا خبر من جواسيسنا عن مكان

يقوم فيه الالمان ببحوث عملية ، أرسلنا مجموعات كبيرة من قاذفاتنا لدكه . بلغنا مرة أنهم منصرفون لانتاج سلاح ذري في تروندهايم في النرويج . فقصفناه بشدة ، كما قصفنا الامكنة التي أظهرت الصور التي التقطتها طائراتنا ان الالمان يقيمون فيها منشآت غريبة الشكل في الاجزاء الواقعة في الشمال الغربي من اوروبا . ولو استطاع الالمان انجازواستعمال اسلحتهم السرية قبل غزونا لاوروبا لجعلوا مهمتنا صعبة ، وعلى الاخص لو وجهوا القنابل المجنحة والصواريخ الى منطقة بورتسموث في انكلترا من قبل ستة أشهر لافسدوا كل خططنا . لكن لا شك في أن غاراتنا على مراكزهم قللت كثيرا من مفعولها ، ووفرت على البريطانيين الهلع والاضطراب .

حدث أن الهيجان اشتد والعواصف اندفعت كالبراكين في التاسع عشر من شهر حزيران ، وبقيت مدة أربعة أيام ، فأوقفت ارسال كل مدد ، وعطبت وأغرقت نحوا من ثلاثمئة قطعة بحرية ، وحطمت ميناء كبش الاميركي فوقعنا في أثنائها بمصيبة كبرى ، ولو قام العدو بهجوم شديد على مراكزنا لاستطاع أن يرمينا ثانية في البحر . ولذلك بقيت قواتنا محصورة في أمكنة ضيقة على الشواطيء ولم تحرز أي تقدم ، الى أن سقطت مدينة شاربورغ في ٢٦ حزيران . على اننا لم نستطع أن نحتل مكانا يتسع لايواء المؤن والمعدات في شمالي فرنسا الا في أواخر الشهر .

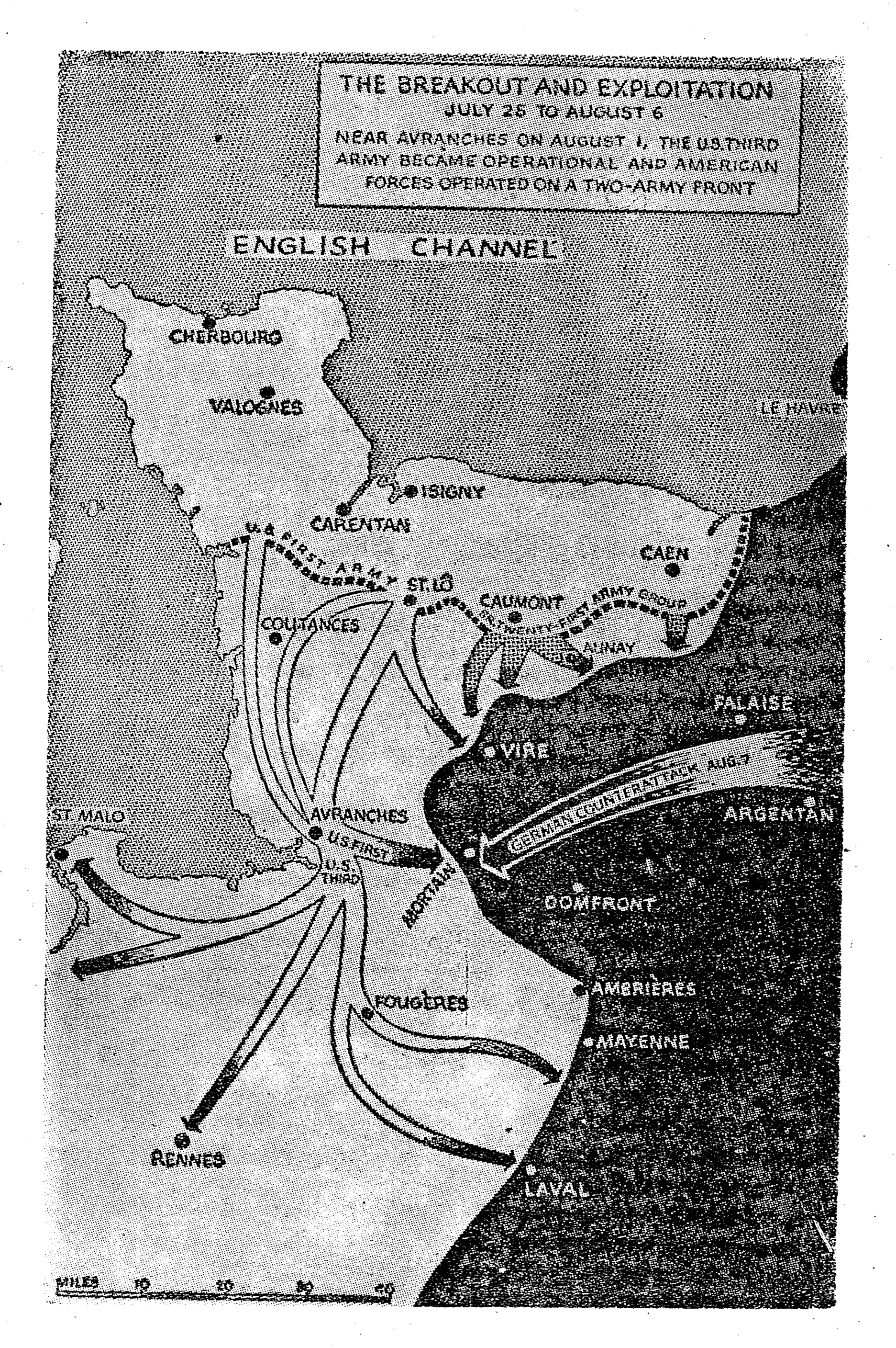
ان الصراع الذي حدث طيلة شهر تموز على طول الجبهة كان من أشد وأدمى صراع جرى في هذه الحرب . وقد اظهر كل ضابط وجندي من الشجاعة والاقدام ما هو حري بأن يسجل بماء الذهب . وبعد اواسط الشهر استطاع الجيش الاميركي الاول أن يخترق جبهة العدو غربا . وفي الخامس والعشرين منه وصل البحر من جهة الغرب ، وهكذا تم تطهير شبه جزيرة كونتنتان . أما مونتغمري الذي كان لا يزال يواجه مقاومة شديدة في مدينة كان ، فقد نقل معظم قواته الى الميمنة وقام بحركة التفافية على

المدينة • وفي نفس الوقت أمر الجنرال برادلي كل القوات الاميركية التي استطاع الحصول عليها بأن تتجه من افرانش الواقعة على الطرف الغربي الجنوبي من قاعدة كونتنتان شرقا وتفاجيء القوات الالمانيـــة التي تقاوم الجيش البريطاني في منطقة كان من الخلف •

عندما رأى العدو أن هجوم الجيش الاميركي بدأ يتعاظم في زحفه نحـــو الجنوب صمم أن يتخذ اجراءات سريعة • فجمع ما تمكن من فرقه المصفحة وقام بهجوم معاكس غربا ليقطع الطريق التي تدفق منها الجيش الاميركي ، ولو نجح في خطته لجعل مركزنا في غاية من الخطورة • ولان ممر قواتنا كان لا يزال ضيقا قام الالمان بمحاولتهم وان كان في ذلك مجازفة كبرى ، فأصبحت القضية مغامرة كبرى ، اذا نجحوا كان كسبهم عظيما ، وان فشلوا اصيبوا بالخسائر الفادحة • وعلى ذلك بدأ هجومهم في السابع من شهر آب متجهين غربا نحو أفرانش •

اكتشف طيراننا محاولة العدو وجعل يمطره بالقنابل من كل نوع •• فاستطاعت القوة الاميركية الجوية التاسعة وسلاح الجو البريطاني أن يدمرا المئات من الدبابات والعربات • ولاول مرة استعملت طائرات طيفون البريطانية الصواريخ • فكانت تطير على علو منخفض وتنزل بمصفحات الالمان خسائـــر فادحة • وبذلك أنقذت مشاتنا من خطر محتوم •

عندما شعرت أنا وبرادلي بأن الالمان يحصرون هجومهم قمنا بدرس الحالة من جميع وجوهها ، ووجدنا أن القوات التي لدينا في المنطقة تستطيع ، لــو اخترنا ، أن تصد العدو وتمنعه من التقدم قيراطا واحدا ، ورأينا اننا اذا صممنا على ايقافه عند مورتان نؤخر ارسال الفرق التي قررنا سابقا ارسالها الى مؤخرته وبذلك نضيع الفرصة السانحة لتحطيمه • وزيادة على ذلك كان الطقس قد تحسن جدا وأصبح من السهل علينا أن نرسل ألفي طن من المؤن جوا الى القوات التي قد يتمكن الالمان من قطع مواصلاتها معنا ، وعندما أكدت




الاندفـــاع واستثمار الوضع الجديد
من ٢٥ تموز الى ٦ آب

لبرادلي أني مستعد لأن أمده بما يحتاج اليه جوا ، صمم ، فورا على أن يبقي في مورتان أقل ما يمكن من قواته ، ويوجه بسرعة كل ما تبقى جنوبا وشرقا ليطوق رأس الحربة الالماني • وكنت في مركز قيادته عندما اتصل تلفونيا بمونتغومري وشرح له الامر • ومع أن هذا قال بالاحتفاظ بمورتان وافق اجمالا على الخطة التي رأى من ورائها كسبا كبيرا ، وترك لبرادلي أن يفعل ما بدا له • ثم أصدر أوامره الى جميع القوات بأن تركز كل ثقلها على انجاح هذه الخطة •

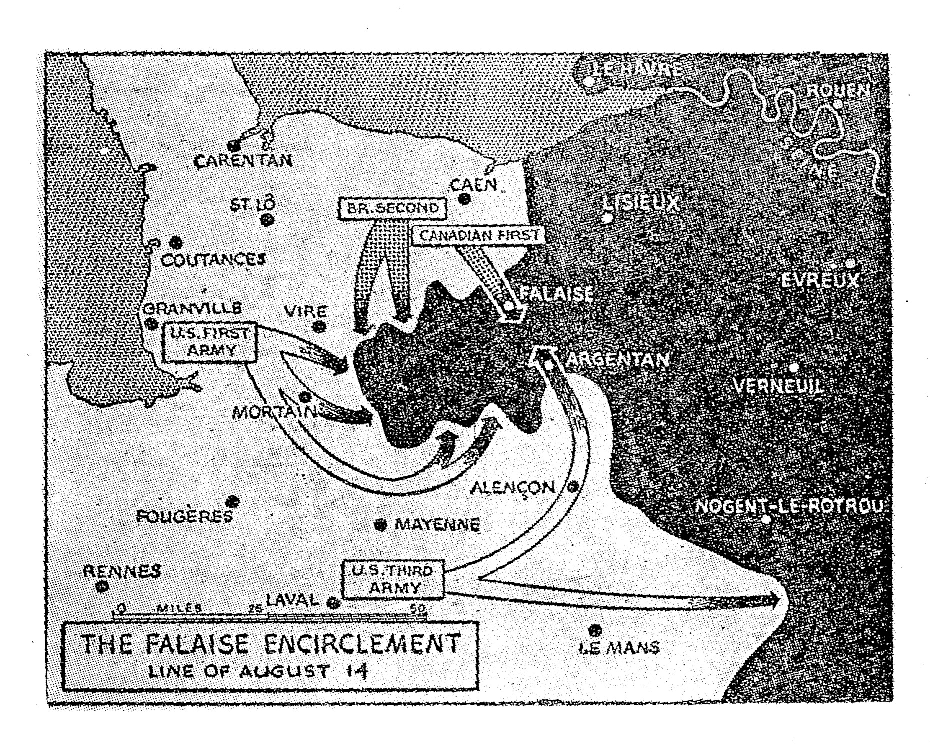
هنالك عامل آخر جعلنا نقوم بهذه الخطة الجريئة ، وهو ثقتي أنا وبرادلي بكفاءة قوادنا • ففي باتون ، الذي سلمناه قيادة الجيش الثالث بعد فتحنا للثغرة في جبهة العدو ، وجدنا قائدا ماهرا يعرف كيف يستغل تفوق وحداته المتحركة الى أبعد مدى ، فوجهناه الى الميمنة ، بينما سلمنا قيادة ميسرتنا الى الجنرال الصلب العود هودجيز ليشدد ضغطه على الالمان • وكلا القائدين حاد البصيرة سديد الرأي يجد علاجا لكل مشكلة دون أن يرجع الينا في الرأي •

جاءت الحوادث لتبرهن أن ثقة برادلي بمقدرته على الاحتفاظ بمورتان كانت في محلها بعد أن أرسل معظم قواته الى مؤخرة العدو • والقضية ليست هنا بل في اصابة الحكم في حالة دقيقة يتوقف عليها النصر أو الفشل • فلو استطاعت دبابات العدو ومشاته أن تخترق جبهتنا في مورتان لاصبح موقفنا خطيرا للغاية ، مع العلم أنا كنا نستطيع أن نمون قواتنا المقطوعة بواسطة الطائرات ، حتى نقوم فيما بعد بهجوم معاكس وتعود المياه الى مجاريها — أعني أنه لو تمكن العدو من قطع مواصلاتنا في مورتان لكان لنجاحه رنة كبرى في الاوساط العالمية ، ولما كنا أحرزنا النصر الذي أحرزناه •

أوعز الجنرال برادلي الى الجنرال باتون بأن يرسل الفيلق الخامس عشر نحو بلدة لافال ثم يتجه شمالا الى أرجانتان ، وأن يزحف الفيلق الثاني عشر شرقا الى أورلينز ، وفيالق أخرى الى الامكنة المعينة لها • بينما أمر مونتغمري

الجيش الكندي بأن يشدد ضغطه جنوبا على فليز ويجعل همه الاتصال بالفيلق الاميركي المتقدم من أرجانتان ليقفل الطوق على قوات العدو المحصورة غربا ، على أن يتقدم الجيش الاميركي الاول من الغرب شرقا ، والجيش البريطاني الثاني جنوبا حتى يتساوى الضغط العظيم من جميع الجهات على جيش العدو ويسحقه سحقا . وأمرت قوات الجو بأن تضرب المواصلات على نهر السين من باريس جنوبا حتى الهافر شمالا لكي لا يصل العدو أي مدد ولا يتمكن من التقهقر قبل أن يطبق الطوق عليه جيدا .

قاربت فرقة المصفحات الاميركية الخامسة مشارف أرجنتان في ليل الثالث عشر من شهر آب . ثم تبعتها الفرقة المصفحة الفرنسية الثانية بقيادة الجنرال لكلير ، ولحقت بهما الفرقتان الاميركيتان التاسعة والسبعون والتسعون لتشدا أزرهما . بينما كان الالمان لا يزالون يقاتلون جنوبي كان في أمنع خطوط دفاع واجهناها في هذه الحملة . فلم يستطع الكنديون أن يحتلوا فاليز الا في السادس عشر من آب .




تطويق فاليـز



مشاة الفوج الثالث الامريكي يتقدمون بحذر في مدينة زوابروخن الالمانية المشتعلة للتفتيش عن القناصة الالمان

وجهت في الثالث عشر من شهر آب رسالــة شخصية الى جميــع ضباط الجيش ، ومما ذكرت فيها :

« لا يمكننا أن نغتنم هذه الفرصة التي بين أيدينا الا ببذل أقصى ما يمكن من الحماس والتصميم والعمل السريع ، واني أتوجه شخصيا الى كل منكم أن يكون عند حسن ظني • وأرجو من كل طيار أن يجعل همه الوحيد قصف العدو ليلا ونهارا حتى لا يعطيه فرصة للقتال ولا للهرب •• وأرجو من كل بحار أن لا يدع مجالا للعدو أن يهرب أو أن يستلم المدد من أي نوع بحرا • كما اني أتوجه الى كل جندي أن يتقدم الى الامام نحو هدفــه وأن لا يعطي فرصة لأحد من رجال العدو أن يحيا الا اذا استسلم ، لا ترجع خطوةواحدة عن الارض التي غنمتها ولا تسمح لعدو أن يجد مفرا من خطوطك » •

لما كانت معظم قواتنا تقوم بهجومها على العدو من خط يشبه نصف دائرة عظيمة ، وتتجه نحو مركز واحد ، أصبح من الصعب علينا أن نعين المكان الذي يجب أن تقف عنده كل وحدة من وحداتنا خوفا من أن تصْلي بنيرانها قوات حليفة تقترب نحوها من الجهة المقابلة •

كان على قوات برادلي الزاحفة من أقصى الغرب أن تقطع مسافة أعظم من المسافة التي يقطعهــا الجيش البريطاني والجيش الكنــدي ، ولكن هذين الاخيرين واجها مراكز دفاعية قوية أعدها العدو من قبل • فلم يستطيعا أن يشقا طريقهما الا على حطام معاقل الالمان وجثثهمومع أن الجنرال مونتغومري حاول أن يبقى على اتصال بجميع قوات الجبهة ، فان سرعة تقدم القـــوات الاميركية ضيقت عليه ذلك • فاختلط الحابل بالنابل • وكثيرا ما توقفت وحدات الحلفاء عن العمل خوفا من أن تضرب بعضها • وتمكنت بعض القوات الالمانية المتحركة من أن تتسلل هاربة وتنجو بنفسها • ولولا ذلك لتحولت المعركة الى عملية افناء أو أسر تامين ، لا مجال لعدو أن ينجو من أحدهما •

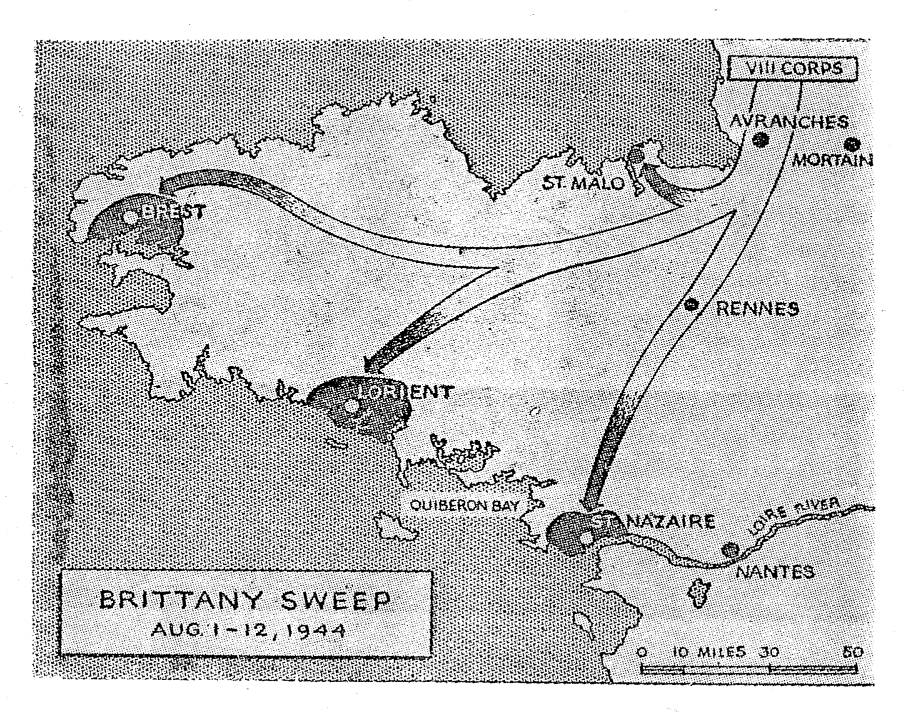
كنت في مركز قيادة الجنرال برادلي حينما بدأت الرسائل ترد من بعض قواد الوحدات الاميركية المتقدمة محتجة على ماصدر من أوامر بوقوفها ، لأن ذلك أتاح للالمان فرصة النجاة • فوافقت على رأي برادلي معتقدا أن توقف

العمليات الحربية من قبل بعض وحداتنا واتاحة الفرصة أمام بعض الالمان أن يهربوا أفضل من أن تتحول المعركة الى كارثة فيقتل الاصدقاء أصدقاءهم خطأ ٠

قاوم العدو بشراسة تجاه الكارثة التي تواجهه ، وبذل المستحيل ليبقي فوهة الجيب مفتوحة ليتمكن من النجاة ٠ وقد ركز القواد الالمان همهم على تخليص وحداتهم المصفحة وتوقفت بعض فرقهم أن تفر الى ما وراء نهر السين ولكن على حساب كل معداتهم التي خلفوها وراءهم ٠ وكانت حصيلة المعركة أنا أسرنا ثماني فرق مشاة من الالمان ، وفرقتين من المصفحات كاملتين ٠ لا شك في أن أعظم مقتلة حدثت في فاليز وما جاورها ٠ فالازقة والطرق والحقول والساحات كانت تغص بالمعدات المحطمة وبجثث الرجال والحيوانات ، مما جعل المرور من أصعب الامور حتى على الراجل ، وقد زرت تلك الساحة بعد انتهاء المعركة بثمان وأربعين ساعة ماشيا ، ووقع بصري على مناظر لايستطيع وصفها الا دانتي ٠ ولكي يدرك القاريء بعض ما شاهدت ليتصور أن رجلا صمم أن يسير مسافة مئات الامتار دون أن تلامس قدماه الارض ، فجال يخطو من جثة الى أخرى مدة من الزمن ٠

ما فتئت قواتنا تطارد فلول العدو شرقا حتى قطع نهر السين ٠ وبينما كانت جنود برادلي تتجه نحو باريس،ارتد الفيلق الثامن الذي يقوده الجنرال مدلتون الى الغرب ليحتل شبه جزيرة بريتني ، ولما كنا نعتقد بالاستفادة من مرفأي كيبورن وبرست أوصيناه بأن يطهرهما من العدو ، لكن المقاومة التي صادفها هنالك جعلتنا أن نأمره بعدم التفريط بأرواح الجنود بل يكتفي بضرب نطاق من الحصار حتى يستسلم المعسكر صاغرا وذلك لانه بعد منتصف آب ظهر لنا أننا سنتمكن عما قريب من احتلال مرافيء أفضل من برست ٠

قمت بزيارة للجنرال مدلتون ، وهو يحاصر الالمان ، لاتفقد الجهاز الدفاعي الذي يجب أن ندكه ، فوجدت انه يقوم بهجمات متتابعة بكل




اكتساح بريتني
من ١ ــ ١٢ آب ١٩٤٤

مهارة ، الغاية منها تقليل عـــدد الاصابات بيننا وحشر العدو في مساحة أصغر فأصغر ، ثم تقوم الطائرات بين الهجوم والآخر بقصف مواقع الالمان ، وهكذا دواليك آنا هجوم من البر وآنا هجوم من الجو حتى ينهك قــوات العدو المؤلفة من جنود الصاعقة شديدة التعصف لنازيتها بقيادة الجنرال رماكي • فلم تسقط برست في أيدينا الا في التاسع عشر من شهر ايلول ، لتعصب النازيين الذين استماتوا في دفاعهم ، ولعدم رغبتنا في موقع كتب مصيره ان عاجلا أو آجلا • فوجدنا المرفأ مدمراً تدميراً هائلا جعلنا نضرب صفحا عن استعماله كل مدة الحرب •

بعد تطويقنا واسرنا لمعظم قوات الالمـــان غربي نهر السين ، أصبـــح انكسار الالمـــان في غربي أوروبا أمرا مفروغا منه ، وباتت القضية قضية وقت ليس الا • ولكن الخطر الذي ذر قرنه فجأة هو ان شعبينا وحكومتينا اغرقا في التفاؤل حتى خشيت أن يؤدي ذلك الى تراخيهما في الاستعداد •

ولذلك دعوت في الخامس عشر من شهر آب مؤتمر صحفي صرحت فيه بأن الصعوبة الكبرى لا تزال أمامنا على خطي سيغفريد والرين . وقد حذرت رؤسائي من أنه لا يزال لدى الالمان قوات هائلة ولذلك يجب أن يبقى الانتاج الحربي في بلدينا بالغا أقصى مداه خوفا من أن نصاب بنكسة لا يعرف وخامة عاقبتها ، لان الجيش الالماني سيخوضها حربا يائسة لا هوادة فيها ولن يستسلم الا تحت ضربات صاعقة متكررة تدمر قواه وتشل حركاته .

# الفصل الرابع عشر

# المطاردة ومعركة التموين

أبقى العدو جيشه الخامس عشر متمركزا في منطقة كاليه في ابان معركة الشواطيء ، لاعتقاده بأننا سنقوم بغزوها ولذلك رفض أن يستعمل أي قسم منه في مساعدة جيشه في نورماندي • ونحن بدورنا لم نبق وسيلة الا واستعملناها لنخدعه ، ونزيده يقينا بأن ما ذهب اليه هو الحقيقة بعينها • ومن الطرق التي التجأنا اليها تسمية قواد وهميين لجيوش وهمية ، أعلنا بأنها لا تزال في بريطانيا • فجعل عملاؤه يرسلون التقارير بذلك • فاستنتجت القيادة الالمانية ان تلك الجيوش تنتظر دورها لتقوم بغزو جبهة كاليه •

بعد اللتيا واللتي بدأت الحقائق تظهر واضحة أمام العدو ، واطلعنا نحن بدورنا على ما ادرك ، وذلك لان قلم الاستخبارات في كل جيش محارب يحصر همه في اكتشاف الوحدات التي يتألف منها جيش خصمه • ومنذ أواخر تموز بدأت التقارير تصلنا بأن بعض فرق الجيش الخامس عشر الالماني جعلت تجتاز نهر السين لتشترك في معركة نورماندي • ولكنها لم تصل الا بعد فوات الاوان • لانه لم يدخل جندي منها الى هذه الجبهة الا واصبح طعمة للنيران دون أن يحدث أي تأثير في مصير المعركة • ففي ذلك الانكسار الساحق الذي عاناه الالمان في جبهة نورماندي ، أسرت عدة فرق جيء بها من جنوبي فرنسا ، ومن بريتاني ومن جبهة كاليه ،

ومن المانيا نفسها • ولما فشلت كل تلك القوى في المعركة ، ووقعت في الاسر ، بات العدو أضعف من أن يقيم جبهة صامدة في وجهنا • فجعل يقاوم مقاومة متقطعة ثم يركن الى الفرار •

عندما اتسعت جبهةالقتال في اوائل آب أجرينا تقسيم قواتنا الى اربع وحدات • الوحدة الاولىوتتألف من الجيش الاميركي الثالث بقيادة الجنرال باتون • واتخذت مركزها في الميمنة • والوحدة الثانية تتألف من جيش الولايات المتحدة الاول بقيادة الجنرال هدجز • وكان مركزها جنبا الى جنب مع يسار الجيش الثالث • وقد عينا الجنرال عمر برادلي قائدا عاما عليها • والوحدتان الثالثة والرابعة تتألفان من الجيش البريطاني الحادي والعشرين بقيادة الجنرال دمبسي • وقد اتخذت الوسط مركزا لها • بينما الجيش الكندي الاول كان بقيادة الجنرال كريرار ، وكان مركزه في أقصى اليسار • وعين الجنرال مونتغمري قائدا أعلى لهذين الجيشين • والقوة الجوية البريطانية التي تساند مجموعة جيوش مونتغمري البرية وضعت تحت قيادة مارشال الجو كوننغهام • بينما ساندت قوة الجو التاسعة الاميركية بقيادة الجنرال فاندنبرغ مجموعة جيوش برادلي • وكان الجنرال وايلاند ، والجنرال كيزادا يعاونان الجنرال فاندنبرغ في الجو •

وكانت مهمة قوات الطيران أن تقوم بالهجوم الذي يأمر به قواد البر ، على ان مجموعة كل القوات الجوية البريطانية والاميركية كانت تابعة لامر مارشال الجو مالوري • ولذلك أصبح في مقدور القيادة العليا لحملةالحلفاء أن تطلب من مالوري أن يوجه تلك المجموعة الجوية بكاملها الى أية نقطة ترغب • واليك مثلا عن تعاون تلك القوات • عندما قام الالمان بهجومهم على مورتان في قطاع برادلي خف سلاح الجو البريطاني الى نجدته ، وبلغ من حسن ترتيب قوات الجو أن القاذفات كانت تساند قوات البر بدقة ، بينما كانت المقاتلات تعمل على حماية القاذفات كما تعمل على حماية جنود البر •

بلغت قوات الحلفاء في فرنسا في أواخر آب عشرين فرقة أميركيـــة واثنتي عشرة فرقة انكليزية ، وثلاث فرق كندية • وفرقة فرنسيةوأخرى بولونية • على انه لم يبق لبريطانيا أي فرقة في بلادها • ولكنه بقي لاميركا ست فرق فيها ، ثلاث من الفرق التي تنقلها الطائرات • وبلغت قـــوة سلاحنا الجوي ٤٠٣٥ قاذفة و ١٧٢٠ قاذفة خفيفة ومتوسطة ، وحاملة طوربيد وخمسة آلاف مقاتلة • أضف اليها ألفي طائرة لنقل الجنود •

لاشك في انه مهما كانت المجازفة التي يقوم بها جيش ضد عدو مضعضع منكسر خطيرة فان لها مايبررها ، فنحن قد قمنا بحركات بعيدة في الجرأة ، وكان الغرض منها اشغال العـدو وضربه بسرعة ، ومطاردته ومفاجأته ، والانقضاض عليه من الجو ، وتطويقه من البر والهائه من ناحيـة لنباغته من ناحية أخرى • وقد تعرضنا لاكثر من خطر في سبيل نصر حاسم •ولكن بعد أن نلنا من العدو المبتغى وأجبرناه على الفرار ورحنا نطارده ، واجهتنا قضية التموين وكان لابد من حلها •

ان الفرقة الواحدة ، كمـا اسلفت ، تستهلك اذا اشتركت في المعارك نحوا من سبعمائة طن من المؤن ، يكون اكثرها ذخيرة اذا كانت الجبهة ثابتة ، وزيوت وشحوم اذا كانت متحركة•وبعد ان بلغت قواتناستاوثلاثين فرقة في اوروبا ، اصبح معدل استهلاكها اليومي اكثر من عشرين الف طن من المؤن ، علينا ان نحملها من الشواطيء الى الداخل على مسافات بعيدة ، الجسور فيها معطلة والطرق مدمرة ، والمرافيء خربة لا تساند على انجاز عمليات التفريغ بسرعة • أضف الى ذلك ارسال المعدات لاصلاح المطارات والطرق وبناء الجسور • وكلما ابتعدت وحداتنا من الشاطيء افتقرنا الى عدد اكبر من الشاحنات ، لان الوقت الذي تستغرقه الشاحنة ذهابا وايابا الى جوار باريس هو اضعاف ما تستغرقه في جبهة نورماندي • وبالاختصار ان كل ميل نزحفه الى الامام يضاعف صعوبة تموينا •

بعد أن ابدى العـدو مقاومة شديدة في الشواطيء وخذل ، توقعنا ان يصمد على ضفاف السين لان ذلـك النهر يمنحه خطا دفاعيا قويا • فلم

نعر قضية التموين الاهمية الكافية لان السين قريب من الشواطيء • ولكن بعد أن رأيناه يسرع بفراره الى ماهو ابعد من السين ، واضطرت قواتنا ان تطارده مجتازة بعض الاحيان مئة كيلو متر في اليوم الواحد ، ظهر ان مشكلة التموين تكاد تكون معركة في ذاتها لابد من الانتصار فيها •

بعد التفكير وجدت انه لابـد من اعادة النظر بما رسمناه من خطط • ولاح لي ان العمل على تحرير مينائي مرسيليا وانتورب قد اصبح ضروريا اذا كان لابد لنا من الفوز في معركة التموين هـذه • لان انتورب ليست أعظم مرفأ في اوروبا فحسب ، بـل انها ايضا الاقرب الى حدود المانيا الغربية • وسقوطها في ايدينا يوفر علينا كثـيرا من المصاعب والمتاعب ويسهل أمر حملتنا في القطاع الشمالي عـلى الاقل • والذي جعلني أفكر باحتلال مرسيليا هو ان الالمان قد اضعفوا قواتهم هنالك في سبيل الدفاع عن نورمندي ، فبات سقوطها مؤكدا عند اول هجوم نشنه عليها • واذا اسرعنا في غزوها منعنا عن العدو فرصة تخريب مرفئها • فنضمن لميمنتنا خط تموين ممتاز وامين • وتبدأ السفن الآتية مـن اميركا تفريغ حمولتها فيها وبما ان جهاز الخط الحديدي الذي يبتديء في مرسيليا ويتجه شمالا في وادي نهر الرون هو من اكفأ الخطوط الحديدية في فرنسا ، فان احتلالها يؤمن تموين كل قوات الحلفاء من الجنوب حتى دوقية لوكسمبورغ شمالا•

لكي نحقق هذين الهدفين اصبـح من الضروري ان تتجه ميمنتنا نحو الجنوب الشرقي لتتمكن من الاتصال بمجموعة الجيوش المتقدمة من الجنوب تحت قيادة الجنرال دفرز بعد أن تحتل مرسيليا ،كما اصبح من الضروري في نفس الوقت ان نخترق جبهة العدو الشمالية لنحتل المساحات القائمة عليها منشآت القنابل الموجهة والصواريخ الموجهة وننفذ جنوبي انكلترا من شرها • والاهم من ذلك هـو احتلال انتورب ومابعدها من مساحات لنؤمن استعمال مرفئها • ولكن المشكلة ليست في مـا يبديه العدو من

مقاومة بل في ضعف جهاز المواصلات الذي قد لايمكنا من ارسال المؤن والمعدات اللازمة لانجاح الزحفين وبلوغ المأربين ·

عندما تتحول العمليات الحربية الى مطاردة سريعة كما حدث معنا في سهول فرنسا في اواخر شهر آب واوائل ايلول ، يبدأ كل قائد فرقة فمافوق يلح في طلب المؤن ليتمكن من مواصلة زحفه وكسر العدو · ولاشك في أن بمثل هذه النفسية تربح الحروب · لانه اذا ما تحلى القائد بعقلية المبادرة والثقة بالنفس والشجاعة والاقدام ربح نصف الجولة · وعندما اندفعنا في مجالات فرنسا وبلجيكا أخذ كل قائد يطالب بأن يعطى الاولية في توزيع المدد ليستغل ، على أكمل وجه ، ما فتح أمامه من فرص لقهر العدو ·

في اواخر صيف ١٩٤٤ عرفنا من مصادر لا يتطرق اليها الشك انه لا يزال لدى الالمان قوات احتياطية مهمة في بلادهم · فاذا حاولنا التغلغل في داخلها على جبهة ضيقة وبقوات قليلة حتى ولو بلغت الاثني عشر فرقة ، فاننا لا نستفيد كثيرا · هذا اذا لم نعرض تلك الفرق للتطويق والابادة ·فصممت على أن نعمل فقط على الاتصال بقوات الجنرال دفرز في منطقة ديجون ، بينما يقوم الجنرال مونتغومري في الميسرة بهجوم سريع ليحتل انتورب · على أن يزحف الجيش الاميركي الاول بقيادة هودجز الى الامام على ميمنة الجيش البريطاني نحو أخن ليحمي ميمنة مونتغومري · وكنا نرجو أن يؤدي هذا الاندفاع نحو الشمال الشرقي الى ضعضعة قوات الالمان واحتلال رأس جسر عبر نهر الرين ، فنهدد بذلك حوض الرور الذي يمون الجيوش الالمانية بصناعة الحرب ·

في المؤتمر الذي عقده الحلفاء مع الجنرال ستالين في طهران سنة ١٩٤٣ اخبر الرئيس روزفلت قادة الروس بأن مهاجمة فرنسا من الجنوب هي جزء متمم لعملية غزو اوروبا من بريطانيا · وكنت أنا من المحبذين والداعين لهذه الحركة · وكان مبدئي أبدا مقاومة الغائها · وقد ساندني في ذلك الجنرال مارشال · ولاشك في أن البدء بها كان يتوقف على استعداداتنا في تلك الناحية · ففي الخامس عشر من شهر آب نزلت عشر فرق من قوات الحلفاء الى الشرق من مرسيليا في جنوبي فرنسا واخذت تزحف شمالا في وادي نهر

الرون دون أن تلاقي مقاومة تذكر • فاحتلت مدينة ليون في الثالث من ايلول وفي الحادي عشر منه اتصلت قوات الجنوب بقيادة الجنرال بانش بقوات الجنرال باتون الزاحفة من الغرب عند مدينة ديجون • فأصبحت قواتنا في فرنسا جبهة واحدة تابعة جميعها لقيادتي منذ الخامس عشر من ايلول •

في اواخر آب واجهتنا قضية تحرير باريس من الالمان • منذ بدأت قاذفاتنا غاراتها على مواصلات العدو قبل أن تبدأ غزوتنا لاوروبا أعطيت تعليمات لطائراتنا بأن لا تمس باريس العظيمة بسوء • بل تكتفي بدك المواصلات الواقعة خارجها • وبعد ان احتللنا حوض السين فضلنا ان لا نهاجم باريس ونعرضها للضرب • واكتفينا بمحاصرتها الى أن تستسلم القوات الالمانية المعسكرة فيها • وفي الخامس والعشرين من شهر آب سنة ١٩٤٤ وصلتنا الاخبار بأن قوات الالمان فيها قليلة وليست مستعدة لان تقاوم فرأى الجنرال برادلي أن يكون شرف دخول العاصمة الفرنسية للفرقة الفرنسية بقيادة الجنرال ليكلير • ولهذه الفرقة قصة ممتعة تشبه ملحمة الاوديسي •

بدأ الجنرال ليكلير بايعاز من الجنرال ديغول في انشاء هذه الفرقة في غربي افريقيا الفرنسية منذ ثلاث سنوات • واتجهت شمالا من غينيا تشق طريقها في الصحراء الكبرى • وانضمت الى الجيش الثامن في آخر مرحلة هناك والآن ٢٥ آب سنة ١٩٤٤ تسلم قائدها خضوع حامية باريس الالمانية • وبعد ذلك واصلت زحفها شرقا حتى برتشسغادن مقر هتلر نفسه في الجبال •

على أنه قبل أن يستسلم الالمان جميعا جرى بعض القتال مما دعا الى اشتراك الفرقة الرابعة الاميركية في العمل • ولحسن الحظ لم يسبب القتال القليل الذي حدث ضررا يذكر في المدينة • والذي يهمنا في الموضوع أن كل جسور المدينة بقيت صالحة • وبعد احتلالها اوعزت الى الجنرال ديغول أن يدخلها دخول الظافر كرمز لانتصار الفرنسيين الاحرار قبل أن أدخلها أنا • ثم طلبت من الجنرال مونتغومري أن يرافقني في زيارتي لباريس وتهنئتي الجنرال ديغول الذي اتخذ مقره في احدى دور الحكومة هنالك • فاعتذر مونتغومري لانشغاله بتطور الاحوال في جبهته • وفي السابع والعشرين من

آب قمت والجنرال برادلي بزيارة الجنرال ديغول الذي أحاط نفسه بالحرس الجمهوري ، كما زرت الجنرال جيرو والجنرال كونغ قائد قوات فرنسا الحرة الداخلية . وبينما كنا نتجول في المدينة وعندما وصلنا قوس النصر ميزنا الباريسيون وفي سرعة جرى لنا احتفال جماهيري لم نكن نتوقعه ، مما جعلنا أن ننسحب بسرعة الى مركز قيادة الجنرال برادلي .

عندما كنت في المدينة كشف لي الجنرال ديغول عن بعض المشاكل التي تسبب له القلق ، وأهمها يدور جول النقص في الاغذية وسائر المؤن كاللباس لجنوده . وابدى رغبته في زيادة المعدات العسكرية ليتمكن من زيادة الفرق الفرنسية في جيش الحلفاء . وطلب فرقتين اميركيتين لتساعده في اقرار الامن في المدينة ووضع حد للفوضى . فتعجبت كيف أن من يدعي زعامة فرنسا يحتاج الى فرق أميركية ليتمكن من ارجاع الامن الى نصابه في عاصمته . ولما لم يكن في استطاعتي الاستغناء عن فرقتين ليمكثا في باريس مدة طويلة ، وعدته بارسال فرقتين لتتظاهرا في المدينة وهما سائرتان الى الجبهة ولا مانع من أن يجري هو نفسه استعراضهما ، لعل ذلك يرفع من هيبته ، كما وعدته بأن يقف الجنرال برادلي الى جانبه كرمز لوحدة الحلفاء . وهكذا جرى .

انتقدت بعض الصحف البريطانية ذلك العمل واتهمت الاميركيين بأنهم مغرمون بحب العرض والظهور وتساءلت لماذا لم يشترك أحد من الجنود البريطانيين الذين يقاتلون في سبيل تحرير فرنسا في هذا العرض.وأنحت باللوم على الحليف الذي يحاول اكتساب المجد على حساب حلفائه . على أن المقامات الرسمية البريطانية كانت على علم بما جرى . لكن بعد أن انكشفت الحقائق اعتذرت تلك الصحف وابدت أسفها عما حدث . ولم يكن للحادثة أهمية في نظري سوى الحذر وزيادة الاعتقاد بأنه يتوجب على القائد أن يصارح الرأي العام بما يجري ، لانذلك يوفر عليه الانتقاد وسوء الفهم .

كان لتحرير باريس من الالمان صدى بعيد في انحاء العالم ، أنه جاء دليلا

قاطعا على أن نهاية هتلر قد قربت ، لان خسائر العدو كانت باهظة جدا • ومنذ وطأنا شاطيء فرنسا عزل هتلر ثلاث مارشالات من قياداتهم • أمارومل فقد اصيب بجروح خطيرة عندما فاجأته احدى مقاتلاتنا في التاسع عشر من شهر تموز • وبعد بضعة أشهر أجبر على تناول السم ليتخلص من محاكمة النازيين الذين اتهموه بأنه اشترك في المؤامرة التي حيكت لاغتيال هتلر في العشرين من تموز • وقد قتلنا واسرنا قائد جيش واحد ، وثلاث قواد فيالق وخمسة عشر قائد فرقة • وخسر العدو ٤٠٠ر٠٠٠ قتيل او جريح او أسير كما خسر ١٣٠٠ دبابة و ٢٠ر٠٠٠ عربة و ٥٠٠ مدفع كبير و ١٥٠٠ مدفع ميدان و ٣٥٠٠ طائرة ، حتى أن سلاح الجو الالماني اختفى من سماء المعارك تماما • فضعفت معنويات الالمان وعلى الاخص الضباط منهم • على أن الجيش ككل لم يصل الى الدرجة التي تجعله أن ينحل ويستسلم بكثرة ، بل بقيت أكثر الفرق صامدة في ايمانها بالقضية الالمانية ان لم يكن بالنازية مما جعلها تبدي مقاومة ضارية •

في احتلالنا لباريس سبقنا ما كان مقدرا قبل البدء بالغزوة بعدة اسابيع• ولكن في مشكلة التموين كنا لا نزال متأخرين عن المقدر ، لان سرعة التقدم بالزحف لم يترك مجالا لاصلاح الطرق فبقيت المنشآت والعنابر والمخازن بعيدة في المؤخرة •

عندما نجح عدد لا بأس به من الالمان في الافلات من الفخ الذي نصبناه لهم اعتقدنا أنهم سينضمون الى القوات التي لا تزال معسكرة في كاليه ويشكلون جبهة جديدة يثبتون فيها • ولهذا رحنا نفكر بنصب فخ آخر لهم حتى من نجا في المرة الاولى يعثر في المرة الثانية • والفخ هذه المرة هو عبارة عن انزال عدة فرق وراء العدو بالطائرات ، بينما تطبق قوات المصفحات والمشاة عليه من الغرب • ورأينا أن تحدث عملية الانزال في منطقة بروكسل • فأمرنا في العاشر من شهر ايلول طائرات النقل بأن توقف نشاطها بنقل المؤن وتستعد لعملية نقل أخرى أكبر وأهم • ولكن سرعان ما أدركنا أن العدو قام بحركة انسحاب عام وسريع وفرت علينا فرصة تطويقه •

تحرير فرنسا

وفي أثناء ذلك قمنا بضغط شديد على العدو على طول عرض الجبهة ، واستطاعت رؤوس الحربة البريطانية ان تقطع مسافة ١٩٥ ميلا في مدةأربعة أيام ، وهكذا فعلت طلائع الجيش الاميركي على يمينهم • وفي الخامس من ايلول ، قطع الجيش الثالث الاميركي نهر الموزيل ووصل نانسي بينما جعلت طلائع الجيش الاميركي الاول بقيادة هودجز تضرب خط سيغفريد قرب أخن وفي الرابع منه دخل جيش مونتغومري مدينة انتورب قبل أن يدمرها الالمان ولما كانت مرسيليا قد سقطت في أيدينا في ٢٨ آب فقد أصبح أملنا كبيرا في حل مسألة التموين •

ان انتورب مرفأ داخلي يتصل بالبحر بواسطة مصب نهر الشلد الذي يخترق هولندا من الجنوب الى الشمال • وقد بقيت خطوط دفاع العـدو القائمة على مشارف مصبه سليمه • وكان علينا أن نطهر تلك الناحية حتى نتمكن من استعمال المرفأ • وليس في أيدينا الا الجبهة الغربية،أما في الجنوب الشرقي والشمال الشرقي فمداخل النهر في يد العدو • وهنالك جزر واشباه جزر ليس من السهل الاستيلاء عليها • فتركت للجنرال مونتغومري أن يتدبر الامر بالتي هي أحسن لتصبح الطريق أمام سفننا أمينة في دخولهـا الميناء وتكفينا مؤونة مشكلة التموين • ان المسألة لا تتحمل التأخير • طرد العدو أولا وتأمين الطريق البحري الى المدينة • وبعد هذا ننظر في أمر استئناف الزحف الى ما وراء الرين والى قلب المانيا لاننا اذا أمنا وصول المدد الكافي وبالسرعة المتوخاة فزنا بكل شيء واصبح تحطيم العدو من الهنات الهينات•

بينما كانت جهودنا منصبة على هذا الموضوع اذ بالجنرال مونتغومري يقترح علينا بغتة أن نمده بما يلزم من المؤن حتى ينطلق بقوة نحو برلين فيحتلها وينهي الحرب بسرعة • واني أعتقد أن حضرته اقتنع ببطلان ما ذهب اليه على ضوء ما تكشف أمامه من حقائق ووقائع فيما بعد • ولاشك في أن الذي أوحى للجنرال بهذه الفكرة هو ما بدا من تضعضع الجيوش الالمانية

التي كنا نطاردها · وقياسا على ذلك ظن أن التضعضع شمل القوات الالمانية بأجمعها ، فلا بأس اذن من مده بالمؤن ليندفع الى برلين ويضع حدا للحرب·

في اوائل ايلول بينما كنت اتفقد خطوط الجبهة مـن الجو فاجأتنا عاصفة اضطرتنا ان نهبط على الشاطيء ، واذ بدا ان الماء يكاد يطغي عـلى الطائرة جعلت انا والطيار نشد بها جانبا ، فأصابني صدع في ركبتي آلمني كثيرا حتى صعب علي السير · فأتكأت على طياري لأبتعد عن الماء بينما كنت اراقب الرمال بدقة خوفا من انفجار لغم تحت اقدامنا · لان الالمان قد زرعوا الغامهم في كل تلك الناحية قبـل ان يولوا الادبار ، وبعد لأي وصلنا الى طريق منعزل وجعلنا ندب يائسين من اية مساعدة · بينما كان المطر الشديد ينهمر علينا ، ومن حيث لا ندري يسر لنا الله مرور دورية من ثمانية جنود مكتظين في جيب واحـد ، ولما اقتربوا عرفوني ، فقفزوا جميعا الى الارض وحملوني الى جانب السائق ، والله اعلم كيف حشـروا انفسهم جميعا في المقعد الخلفي مع الطيار ·

بقيت طريح الفراش مدة يومين أثر الصدع ، فنشر احد الصحفيين خبر تغيبي عن العمل وأول ذلك بأنه ناتج عن مرض ألـم بي · فخوفا من أن يؤدي ذلـك الى قلق عائلتي اضطررت ان انشر بدوري السبب الحقيقي الـذي منعني من الذهاب الى مكتبي · هـذا وقد ارسلت تحريرا الى امرأتي اطمئنها ·

مع ان الحركة كانت لا تـزال صعبة علي قمت برحلة الى بروكسل لاجتمع بالجنرال مونتغمري لأبين له حقيقة وضع التموين عندنا · وكـان في رفقتي كل من مارشال الجو تدر والجنرال جيل · واظهرت له حاجتنا الى استعمال مرفأ انتورب ، واشرت الى انه ان لـم نقم جسور السكة الحديد على نهر الرين وندخر كميات كبرى من المؤن فلا نستطيع ايصال المـدد الى جيش كبير يتغلغل في قلب المانيا ويحتل عاصمتها · وبالآخر صرحت له بأني لا اوافق على ما اقترح لان في ذلك هلاكا للجيش الذي يندفع الى قلب بلاد العدو دون ان يكون جهاز تموينه مضمونا ·

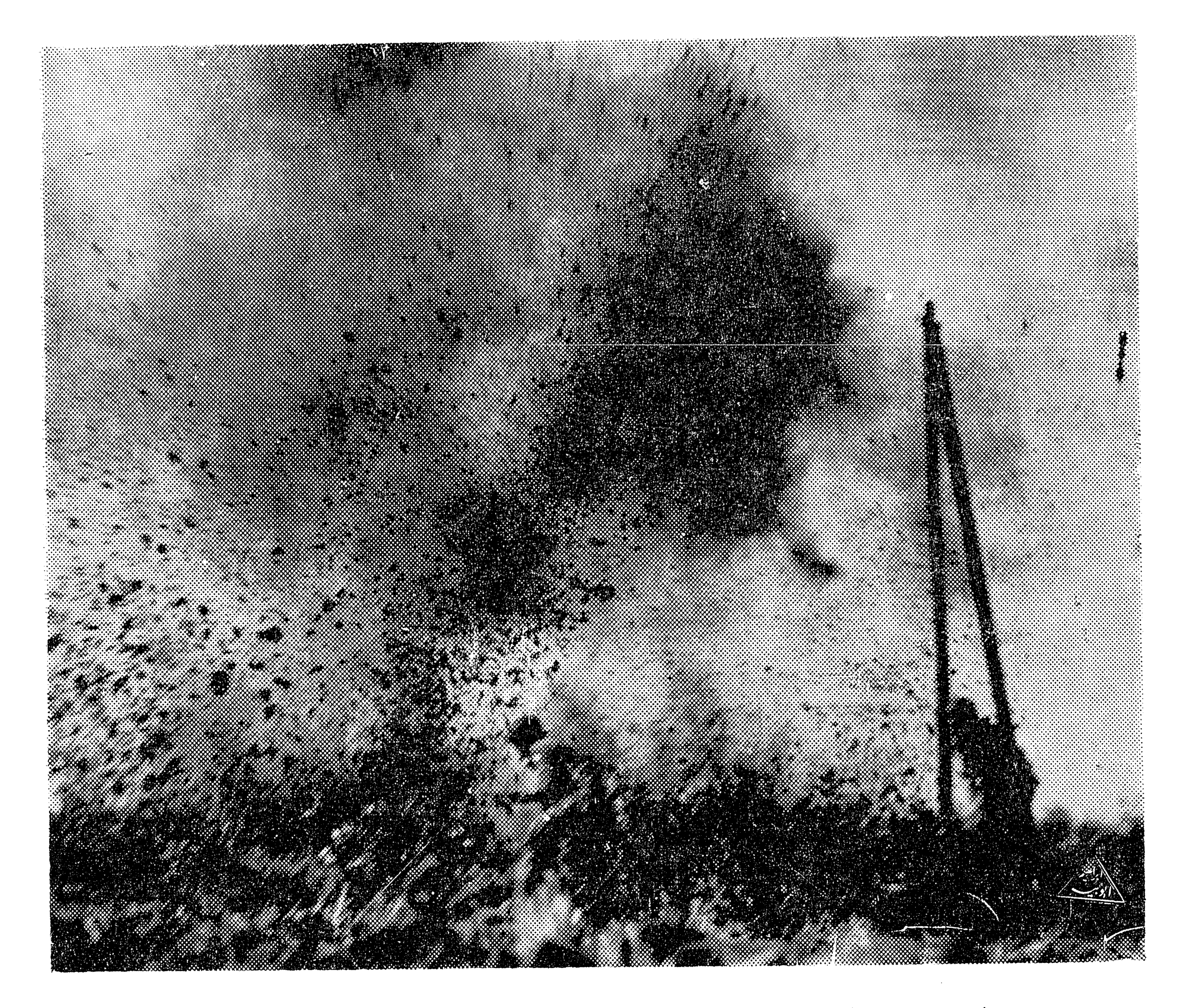
انا لا انكر انه لو اوقفنا جميع العمليات على كـل الجبهة في اواخر آب وعملنا على تموين قطاع واحد من قطاعاتنا ، أي قطاع ، لاستطعنا اجتياز الرين باكرا واقمنا لانفسنا جسورا عليه ولكن لو فعلنا ذلك لهدد الجوع بقية القطاعات ٠

كان الجنرال على علم بجبهته فقط ٠ فرأى تجميد سائر الجبهات حتى يقوم هو بهجومه الخاطف ولكن لو جمدت سائر الجبهات لاستطاع الالمان ان يعبئوا كل قواتهم ضده حتى يجبروه على التوقف أو عـــلى التقهقر والخذلان ٠ ولذلك أوضحت له ان امرين فقط يهماني وأود تحقيقهما ، الاول تطهير مداخل انتورب من العدو لنتمكن من استعمالها ، والثاني اقامة رأس جسر لنا على نهر الرين في منطقة أرنهيم لنقوم فيما بعد بحركـــة التفاف وراء خط سيغفريد ، فتحمس مونتغمري لهذه النقطة ٠

كـــان من نتيجة مؤتمر بروكسل في العاشر من شهر ايلول اننا فوضنا مونتغمري بأن يؤخر مؤقتا تطهير منطقـــة انتورب ويتفرغ لاحتـــلال رأس الجسر الذي نوهت عنه ٠ وليتمكن من ذلـــك وضعت تحت تصرفه جيش الحلفاء الاول الذي تنقله الطائرات بقيادة الجنرال بريتون على أن يبـــدأ الهجوم في ١٧ ايلول ٠ ووعدته بأن ابـــذل جهدي في سبيل تموينه ابان العملية ٠ ومن بعد ذلـــك يعيد الكرة ويطرد العدو من منطقة انتورب ٠ فبدأ يستعد بنشاط ٠

حينما بدا ان كل شيء ، عدا التموين ، يجري على غاية ما يرام ٠ عقد رئيسا اركان حرب الدولتين مؤتمرا في كويبك قررا فيه أن لا حاجـــة بعد الآن لابقاء قوتي القاذفات المتمركزة في بريطانيا تحت قيادتي مباشرة بل وضعاهما تحت قيادة لجنة خاصة تكون مسؤولة مباشرة لدى القيادة العليا المشتركة ، فرأيت شخصيا ان هذا التريث اخرق من اساسه ولكني لم اعترض عليه لانهم ادخلوا فيه فقرة خاصة تنص على وجوب تلبية اوامر القيادة الاوروبية قبل كل شيء آخر ٠

احتج الجنرال سباتز بشدة على هذا الاجراء ولكني افهمته انه لايغير



الجنود الامريكيون يخترقون الحقول في وجه انفجارات الطائرات الالمانية

شيئا بالنسبة لنا ، لان سلاح القاذفات سيبقى رهن اشارة منا ، حتى أن هارس الذي كان من رأيه ربح الحرب بالطائرات فقط ، انحاز الى جانبنا وكتب يقول :

٢١ ايلول سنة ١٩٤٤

عزيزي أيك :

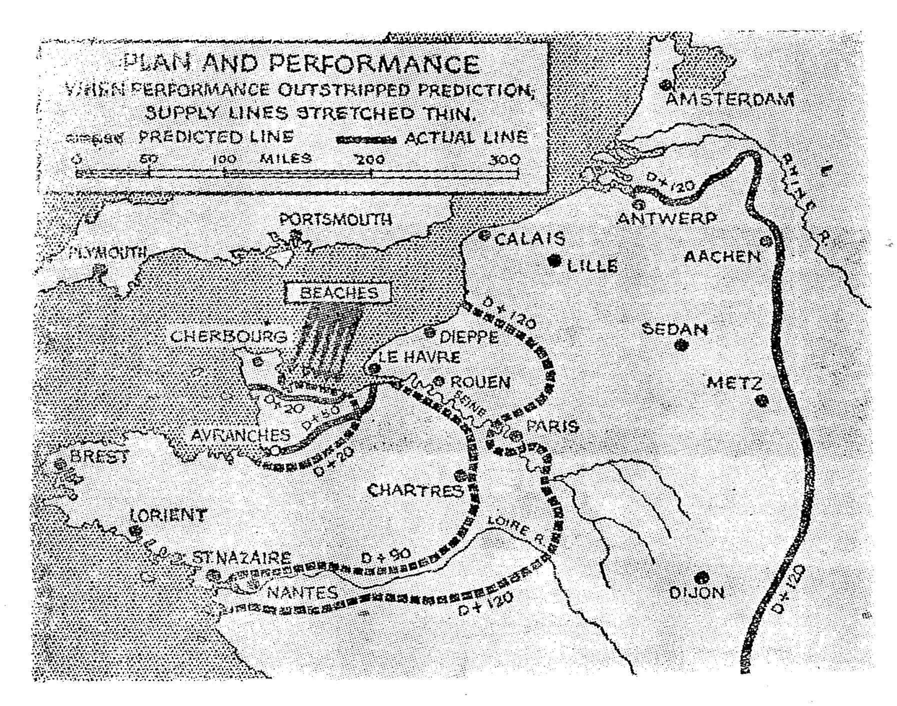
لم نعد بموجب الترتيبات الاخيرة تابعين لقيادتك مباشرة • ولكني أغتنم هذه الفرصة لأؤكد لك ، وان كنت لا تحتاج الى تأكيد ، اننا سنبقى على عهدنا مستعدين أن نلبي أوامرك كالسابق • وثق بأننا نضع أقصى مهارتنا وآخر درهم من مجهودنا طوع أمرك • وأقبل شكري شخصيا وشكر معاوني لما أظهرته نحونا من حسن معاملة وتشجيع في الاقبال والادبار • ونرجو أن يبقى التعاون الذي بدأ بيننا حتى النصر الاخير •

المخلص

بيرت هارس

كلنا شعر بأن طرق المواصلات تغص بالحشد العظيم من عرباتنا • لكن ادارة المؤن قامت بأعمال جبارة لتساعدنا على مواصلة عملياتنا • فعينت طرقا خاصة للشاحنات ذهابا وطرقا أخرى للاياب • فجعلت العربات تسير بسرعة وانسجام تامين مدة عشرين ساعة في اليوم لكل شاحنة • وقد انتقيناسواقين جددا من الجنود ليعملوا مكان السواقين الاصليين عندما يأخذون راحتهم • هذا وقد عمل مهندسو سكك الحديد ليلا ونهارا في اصلاح ما تهدم من الجسور والخطوط • وقد مددنا خط أنابيب للزيت من انكلترا عبر القنال الى القارة ، ثم مددنا خطوطا برية على سطح الارض الى مراكز التوزيع قرب الجبهات المختلفة • وفي كل ناحية بدا النشاط والشعور بالواجب على أكمل وجه •

بعد أن انتهت الحرب وأخذت اجتمع ببعض زملاء من الروس ، كان أول ما سألني أكثرهم كيف دبرنا أنفسنا في مسألة التموين مدة الاشهر الاولى من الغزو ، حين لم يكن لدينا سوى موانيء نورمانـدي ، ومع ذلك استطعنا احتلال فرنسا وبلجيكا ولكسمبرغ ، وبدأنا نضرب أبواب المانيا • فشرحت




الخطة والتنفيذ

لهم جهاز التموين الذين اتبعناه جوا وبرا وبحرا ، فأبدوا اعجابهم . ومما قالوه أن بين كل أعمال البطولة التي ظهرت من جميع الفرقاء سيخلد التاريخ نجاح الحلفاء في تموين جيوشهم التي طهرت أرض فرنسا . ولربما كان قولهم هذا من قبيل المجاملة ولكني كنت أتمنى أن يسمع قولهم كل الذين ساهموا في جهاز التموين العظيم ، واوصلوا الذخائر والزيوت والاطعمة والكساء وغيرها من معدات الى الجبهات المختلفة .

بقطع النظر عما أبدته دائرة تموينا من أعمال مدهشة ، فقد بقي الصراخ قائما من أجل الزيت والذخيرة . ولو استطعنا مد رؤوس حرابنا بما تحتاج اليه كاملا لكان احتلالنا لالمانيا أسرع بكثير مما كان . واعتقدت ولا أزال أعتقد أننا لو خصصنا باتون بزيادة من المؤن ولو ضئيلة لاحتل متس ، ولكن رأينا أن نوزع ما كان بين أيدينا على جميع الجبهات بقسطاس عادل .

تمكنت ميمنتنا أن تلتقي بجيش الجنرال باتش الصاعد من الجنوب في

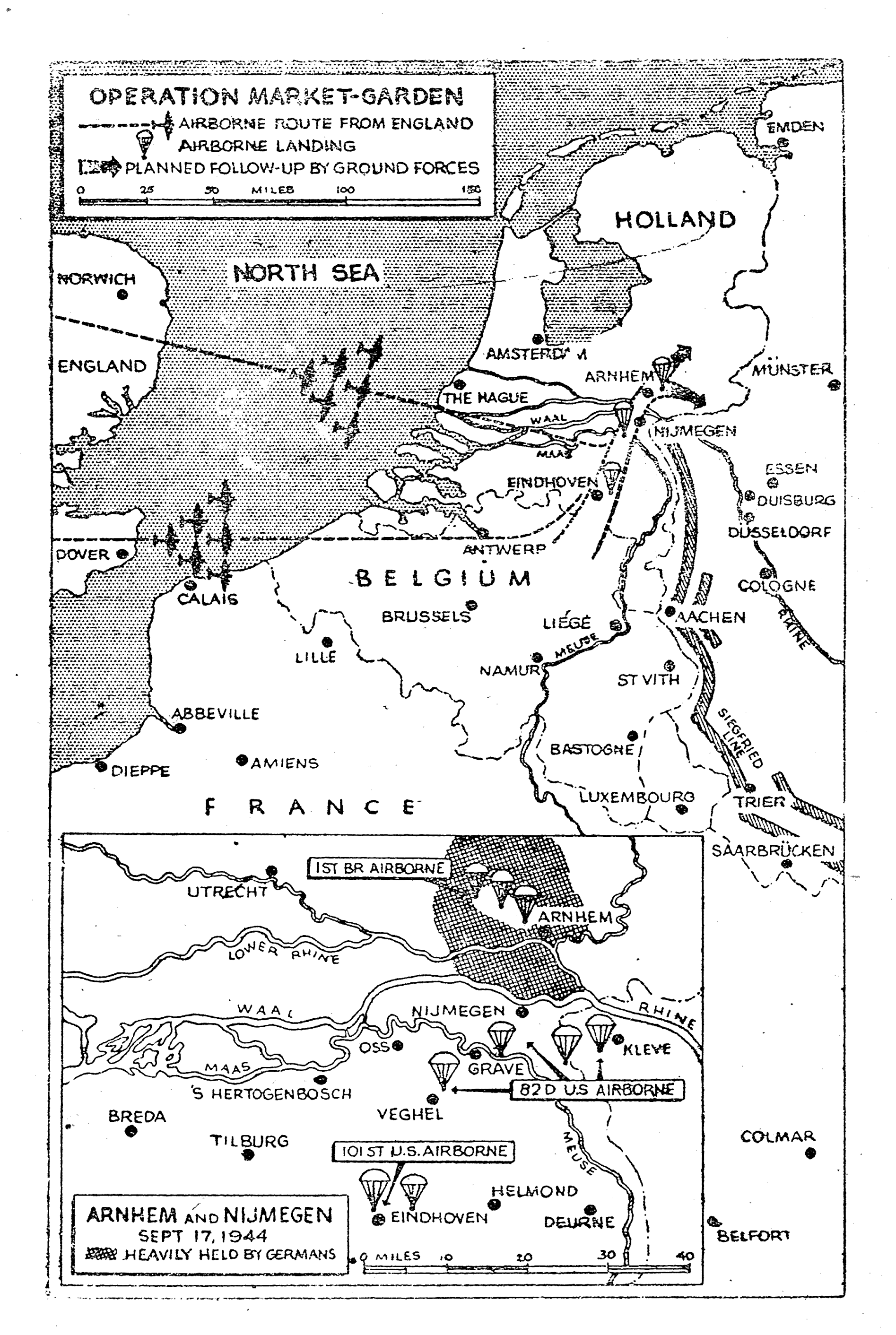
الحادي عشر من شهر ايلول ، أي بعد سبعة وعشرين يوما من نزول جيش الحلفاء في جنوبي فرنسا • فجعلنا همنا عندئذ اصلاح خطوط سكك الحديد في وادي نهر الرون • ثم تمكنا بفضل الاتصال مع جيش باتش من ايقاع كل القوات الالمانية المعسكرة غربي وادي الرون في المصيدة • فبدأوا يستسلمون زرافات زرافات • وفي يوم واحد استسلم عشرون ألف الماني دون أن يطلقوا رصاصة واحدة •

نجح هجوم ميسرتنا على ارنهايم كما رسمنا لها الخطة في السابع عشرمن شهر ايلول وانزلنا ثلاث فرق بالطائرات من الشمال الى الجنوب • وكانت الفرقة التي حلت في القطاع الشمالي هي الفرقة البريطانية الاولى ، والى ميمنتها الفرقة الاميركية الثانية والثمانين ، فالفرقة الواحدة بعد المئة وبدأت العملية بنجاح • الا أن الطقس السيء تدخل ومنعنا من ارسال المدد الى الفرقة الانكليزية ، فنقص عليها التموين وهلك عدد كبير منها • ففشلنا في اقامة رأس الجسر عبر الرين • ولكننا نجحنا في تعديل خطوطنا البرية في منطقة أنتورب •

كان لمعركة ارنهايم صدى بعيد في كل مسرح من مسارح الحرب ، لاننا قد أفرطنا تفاخرا بامكانيات فرقنا التي تحملها الطائرات • فجاءت هذه المعركة لتبرهن عما اذا كان لا يزال في مقدور الالمان القيام بعمليات حربية شديدة ، أم أن الضعف دب في صفوفهم واصبحوا عاجزين عن درء الخطر اذا فرض عليهم هجوم مفاجيء •

قامت فرقنا الجوية التي نزلت وراء خطوط الالمان بمجهود جبار ، ولكنها تعرضت لهجوم من الالمان شديد • فأيقنا أنه لا يزال أمامنا عراك شديد • فقاتلت الفرقة البريطانية الجوية الاولى قتال الجبابرة • وصمدت صمودا هائلا في وجه هجمات العدو • وبذلك انقذت الفرقتين الاميركيتين ، ومكنت الجيوش الزاحفة على الارض من التقدم مسافات شاسعة واحتلال مواقع مهمة ولكنها عانت كثيرا ولم يرجع الا ٢،٤٠٠ من جنودها سالمين •

أصبحت بعد ذلك عملية احتلال مداخل انتورب حيوية لا تقبل أي تأجيل




عملية ماركت ـ كاردن

ولما رأينا أن قوات مونتغمري قد انتشرت كثيرا بوصولها الى الرين الاسفل أمرنا الفرقة المصفحة السابعة الاميركية بقيادة الجنرال سلفستر وفرقة المشاة المئة والرابعة بقيادة الجنرل تري ألن الذي اشترك في معارك تونس وصقلية بأن تنضم الى جيشه ، ليتمكن من انجاز مهمته ٠

تمكن الجيش الاميركي الاول بعد زحفه الموفق من السين الى حدود المانيا من احتلال مدينة آخن وهي احدى بوابات المانيا ، بعد أن أبدى العدو مقاومة شديدة ٠ أما في الجنوب فبعد أن اتصل جيشانا اصبحت جميع القوات الموجودة في فرنسا ، من البحر المتوسط جنوبا الى مصب الرين تحت قيادتي وقد تألفت قوات الجنوب من جيش الولايات المتحدة السابع بقيادة الجنرال بانش ، ومن الجيش الفرنسي الاول بقيادة الجنرال ديلاتردي تسيني ، كما تألفت قيادة الجنرال برادلي من الجيشين الاميركيين الاول والثالث مع التاسع الذي تشكل حديثا بقيادة الجنرال سمبسون ، وبقيت قيادة الجنرال مونتغمري مؤلفة من الجيش البريطاني الثاني بقيادة الجنرال دمبسي،ومن الجيش الكندي الاول بقيادة الجنرال كريرار ، على أن تبقى الفرق التيتنقلها الطائرات تابعة مباشرة للقيادة العليا ٠

عرفت في تشرين الاول أن مارشال الجو مالوري الذي كان قائدا عاما لجميع سلاح الحلفاء الجوي قد عين في مركز آخر من مسارح الحرب ٠ ومع أني ترددت في قبول نقله ، لكنني وافقت أخيرا لعلمي أن الانسجام قد تبلور وبلغ درجة الكمال بين جميع الاسلحة ٠ وقد أسفت لانه قتل بحادثة طائرة وختم حياته كضابط من أجرأ الضباط الذين عرفتهم الحرب العالمية الثانية٠

عندما كانت قواتنا تجتاح بلاد فرنسا وبلجيكا وهولندا ولكسمبورغ جعل السكان يستقبلون جنودنا بحماس منقطع النظير ٠ وقد وجدنا بأنهم في حالة فقر شديد يفتقرون الى الغذاء والكساء والحرية ٠ وعندما وجدوا أن احتلالنا لبلادهم قد رد اليهم حرية القول والعمل ، نسوا جوعهم واخذوا يهزجون ويقيمون الاحتفالات شأن من كان محكوما عليه بالاشغال الشاقة مدى الحياة ثم اطلق سراحه ٠ وذلك لان تجارتهم مع أمم العالم قد توقفت ،

ومصانعهم حولت لصالح النازيين • ولم يشعروا بأن حياتهم اليومية متحررة من خوف السجن وما هو أوخم • فكانوا يطلعون على أخبار العالم الخارجي من صحف واذاعة النازيين • واذا تجرأ احدهم على أن يصغي خفية الى اذاعات بريطانيا وامیرکا ، ويطلع على حقيقة ما يحدث فلا يجرؤ على نشر الاخبار بين السكان خوفا من العقاب الشديد • فلا عجب اذن اذا شعروا بالجذل والسرور العظيمين •

ان الحكومات التي انشئت في البلاد الاوروبيةالتي حررناها كانت مستعدة لان تتعاون معنا بكل فرح • وقد قدموا ما نحتاج اليه من عمال واصحاب حرف • لكن المسلحين من الانصار الذين نشطوا في الخفاء في مقاومتهم للالمان عندما رأوا بلادهم تتحرر غلبت عليهم العادة اذ رغبوا في أن يبقوا على سلاحهم ويعملوا على زيادة نفوذهم • وبناء على ذلك لم يرضخوا الى الاوامر التي أصدرتها حكوماتهم • فسبب لنا مسلكهم هذا بعض القلق ، ولكن سرعان ما تخلى رجالهم عنهم في سبيل طلب العيش • فهدأت الاحوال وسيطر الانسجام والسلام •

لما كانت فرنسا قد انقسمت الى شطرين حسب معاهدتها مع الالمان سنة ١٩٤٠ ،فقد نشأفيها مقاومة سريةقويةجعلت تهاجم الالمان بشدة ،وتسبب لهم الخسائر الفادحة • وانقسمت هذه المقاومة الى فئتين رئيسيتين ، الفئة الاولى المؤلفة من عصابات من الفلاحين ، وقد اكتفت بأن تقاوم الالمان في الريف لتبقى على مقربة من أراضيها • والفئة الثانية هي العصابات التي نشأت في المدن ، واكثرها من العمال الشيوعيين المتحمسين لمبدئهم ، فهؤلاء لم يقبلوا ان ينضموا الى قوات الحلفاء الا اذا جعلت لهم قيادة خاصة بهم •• فاحتارت الحكومة الفرنسية الحديثة في أمرها معهم ، لانها اذا تجاهلتهم فقد يشكلون وحدات مسلحة في داخل فرنسا ويجعلون همهم الاخلال بالامن والنظام • واذا قبلت طلبهم فقد يؤدي ذلك اذا ما انتصروا الى زيادة نفوذهم وشعبيتهم • وفي الآخر اختارت أهون الشرين فسلحتهم في وحدات خاصة لمقاتلة الالمان •

كثيرا ما تباحثت مع الفرنسيين في اسباب انهيارهم السريع أمام الهجوم

الالماني • وقد ساد الاعتقاد في الخارج بأن ذلــك يرجع الى خط ماجينو ، لانهــم اعتمدوا عليه ، فأهملوا استعداداتهم العسكرية • ولكن القــواد العسكريين منهم قالوا بأن خط ماجينو كان ضرورة قصوى ، لانه يمكن الفرنسيين من الدفاع عنه بقوات ضئيلة • فيتنسى لهم تعبئة جيوشهم في الشمال لصد العدو • وقد قال لي احد مفكري فرنسا ان الفرنسيين قد غلبوا انفسهم بنفسهم لتفسخهم السياسي ، ولرفضهم العمل اكثر من اربعة أيام في الاسبوع ، بينما كان الالمان يشتغلون كل ايام الاسبوع •

وجدنا على العموم ان سكان البلاد التي حررناها يجهلون تماما أهميـــة الدور الذي تلعبه اميركا في الحرب ، وذلــك لان دعاية النازي ارادت أن تقلل من شأننا وتهزأ بنا • ولكن لما انكشفت لهم تلك القوة الهائلة التـــي تتحلى بها الجيوش الاميركية ، وقفوا مشدوهين حيارى • وقــد حاولنا ان نوضح لهم حقيقة الامر عندنا قبل ان نشترك في الحرب ، لكننا لم نستطع ، لان ما وضعه الالمان في رؤوسهم في مدة سنتين لم نتمكن من ازالته في يــوم واحد • واكتفينا بالقول « ومن يعش ير » • وتبين ان الدعايـة الشيوعية في فرنسا وغيرها من البلاد قــد اتخذت شكلا خطيرا مما عمل على اضعاف جبهة الديمقراطية وعلى الاخص في فرنسا •

لم يضعف التفسخ السياسي في البلاد المحتلة موقف الحلفاء العسكري ، لان الاكثرية الساحقة بين السكان كانت موالية لنا • لكن الخطر كان كامنا في بعض مواصلاتنا وبعض خطوط تموييننا ، لانه لم يمكننا من القيام بهجوم سريع على قلب المانيا •

# الفصل الخامس عشر

## معركة الخريف على تخوم المانيـا

كانت جنودنا في اوائل ايلول تحتشد عـلى الحدود الالمانية التي زادها العدو تحصينها الطبيعي ، فأصبحت منيعة جـدا • فبدأت قوات الجنرال دفرز المؤلفة من الجيش السابـع الاميركي والجيش الفرنسي الاول تهاجم جبال الفوج الحصينة • والى شمالي ذلك يقع خط سيغفريد ومن ورائـه الرين ، فأصبح لا يجرؤ على مهاجمتها الا قوة كاملة المعدات مصممة عـلى الفتح مهما كان الثمن غاليا •

وكنا لا نزال نعتمد على المرفأين البعيدين في نورمندي ، ولهذا بقي مـن المستحيل علينا حشد كميـــة كبرى من المؤن في الجبهة • ومن المحتم ان لايتحسن الحال معنا حتى نتمكن من استعمال انتورب ومرسليا ، وقد كتب الجنرال برادلي في الحادي والعشرين من شهر ايلول يقول : « كلما صممنا على وضع خطة لعملية كبرى في المستقبل نجد نفسنا عاجزين • فلابد لنا من طرد العدو من كل منطقة انتورب لانه عندئذ وعندئذ فقط نؤمن عـلى ما يصلنا من المؤن » •

عندما اقبل فصل الشتاء ازدادت مشكلة التموين شـدة لرداءة الطرق فراحت الشاحنات تغوص في الاوحال ، وتتعطل عن العمل • ولنقلل مـن اعتمادنا على الطرق اصلحنا خطوط السكك الحديدية التي خربتها الحرب ومددناها الى البحر رأسا • وركزنا الرافعات الكبرى فجعلت تنقل الاحمال من السفينة الى القطارات •

بينما كنا نخوض معركة التموين كانت قواتنا البرية تتزايد باستمرار • فكان لنا مثلا خمس وثلاثون فرقة في اوائل شهر آب في فرنسا ، وفي اوائل تشرين اصبحت اربعًا وخمسين فرقة ، وبالاضافة الى ذلك ست فرق معسكرة في بريطانيا • وعلى كل لو قابلناها بما كان لا يزال لدى المانيا لوجدناها انها تتفوق علينا عددا في البر وقد انتشرت هذه القوات على جبهة طولها خمسمئة ميل تمتد من مصب الرين الى حدود سويسرا • اما الى جنوب ذلك فقد أبقينا بعض المعسكرات المتفرقة على حدود ايطاليا خوفا من ان تتسرب بعض القوات الالمانية خلسة وتحدث الاضرار • وبموجب هذا الترتيب اصبح على كل فرقة ان تحمي مسافة عشرة اميال •

اقترح علي البعض ان نتراخى في الهجوم على الالمان حتى نجمع كمية وافية من المؤن فأبيت ذلك وامرت بمواصلة عملية انهاك العدو ما امكن • وذلك لعلمنا ان الالمان بدأوا بتعبئة فرق جديدة ليعوضوا عما فقدوه في الاشهر السالفة • واضطروا الى ان يرموا بها في ساحات المعارك بعد تمرين صوري • فأصبح القيام بمهاجمتهم يكلفنا اقل مما لو اعطيناهم المجال ليتموا تدريبها• ومن الامور التي اعرناها اهتماما هو الطلب من دوائر مخابراتنا معرفة ما يمنى به العدو من اصابات بعد كل هجوم قمنا به عليه وذلك لنتحاشى مهاجمة القطاعات التي تكلفنا خسائر اكثر مما تكلف العدو ، ونهاجم القطاعات التي تكلف العدو ضعفي ما تكلفنا ، هذا الا اذا كان لنا مأرب خاص في هدف معين كسدود الرور •

نشبت معارك ضارية محلية على طول الجبهة في فصل الخريف كان من نتيجتها العامة تقصير أمد الحرب • وقد اشتهرت معارك جزيرة ويلتشرين قرب مصب نهر الشلد ، وآخن وسدود الرور وحوض السار وجبال الفوج• وأكثرها حدث في طقس سيء للغاية وفي أرض وعرة تكثر فيها المزالق • وقد أبدى فيها جنودنا من ضروب الشجاعة ورباطة الجأش ما يحير الالباب • ومما ساعدنا على التفوق على العدو وجود قوة جوية فعالة تساند القوى البرية •

تشكل القوات الجوية من الناحية الفنية سلاحا متنقلا وسريع الحركة تستطيع القيادة العامة ان تضرب به اهدافا مهمة وراء خطوط الجبهة بمئات الكيلومترات مدة طويلة من الزمن كما تستطيع ان تستعمله بصورة مركزة في ضرب خطوط دفاع العدو ودك تحصيناته بشكل لاتستطيع فعله المدفعية. على ان سلاح الطيران لا يضارع سلاح المدفعية باصابة الهدف وسلاح الجو يصيب بالضرر ولا يدمر تماما ، وكم من مرة أغارت قاذفاتنا على مصانع العدو ثم استطاع العدو أن يصلح ما تضرر وينشيء ما تخرب في بضعة أيام أو أسابيع . ولم نتمكن قط من تخريب طرق مواصلات العدو ونمنع عليه استعمالها لمدة طويلة . على كل اذا استعمل سلاح الجو بصورة مركزة وواتته الظروف فانه يشل صناعة العدو ومواصلاته ويسرع في اجباره على الركوع والتسليم .

لابد من القول ان نتائج الغارات الجوية التي حدثت كل مدة الحرب من الجانبين لم تبلغ من الصحة ما ادعاه الخصم المغير . على ان اللوم في ذلك لايقع على الطيارين الذين قاموا بالغارة بل على الصور لان كل قاذفة مجهزة بآلة تصوير ، تسجل نتائج الغارة بصورة اوتوماتيكية . ثم يجري فحص الافلام وتكبيرها . ومع ذلك فانها لم تعط التقدير الصحيح للدمار . وقد تأكدنا من ذلك عندما كنا نحتل المكان الذي أغارت عليه القاذفات فنجد الخراب دائما أقل من الادعاء .

اذا كان قصد القيادة اصابة هدف بأكبر كمية من المتفجرات فليس لها الا القاذفات . وهنالك نقطة أخرى أود أن أوضحها ، وهي ان قذائف المدافع تأخذ وقتا أطول قبل أن تنفجر في هدفها . فبعد أن تخرج من المعمل تحمل الى الميناء ثم الى السفينة ثم الى مرفأ آخر فالى القاطرة أو الشاحنة فالى الجبهة فالى المدفع فالى الهدف بينما قنبلة الطائرة تنقل من المعمل الى المطار فالى القاذفة فالهدف رأسا . ومن كان في مثل وضعنا يتجرع الامرين في جهاز تموينه يصبح الطيران أكبر ركيزة له في ضرب العدو .

من مهمات سلاح الطيران ابعاد خطر طيران العدو عن منشآتنا وجنودنا ، ومعاونة الجيش البري في دك تحصينات العدو ولتسهيل احتلال الاماكن

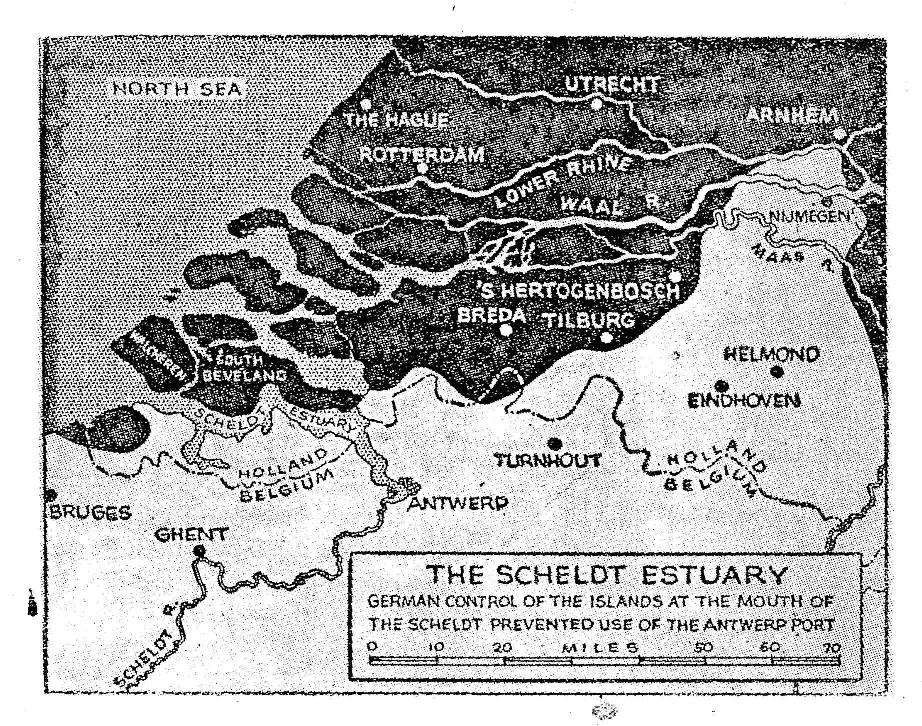
القوية التحصينات ، وأكبر خصم لسلاح الطيران هو الطقس بما يجلبه من عواصف ويسببه من غيوم وضباب • ففي شهر كانون الأول سنة ١٩٤٤ لم يسمح الطقس لطيراننا أن يكتشف قوات الالمان المتمركزة في جبهة الاردن في جنوب البلجيك ، ولاضربهم في أثناء تلـــك المعركة التي دارت هنالك • وفي الطيران نقص آخر وهو عدم بقاء الطائرات في الجو الا جزءا من الوقت • وكثيرا ما حدث بعد أن رجعت طائراتنا المسيطرة على الجو لتعبيء الوقود أو القنابل ان اغتنمت طائرات العدو غيابها وأتت تضربنا •

كل قائد في العصر الحديث يحاول أن يقلد هانيبال في معركة كاني حـين طوق جيش الرومان وأفناه • وسلاح الجو هــو الاداة التي تدك الجسور وتدمر المواصلات وتضرب المؤن وتمنع وصول المدد ، وتساعد على قطع خط الرجعة • وبذلك يساعد سلاح الطيران جيش البر على تطويق العدو وافنائه• وقد بلغت قوة سلاحنا الجوي في الخريف ــ ٤٧٠٠ طائرة مقاتلة و ــ ٦٠٠٠ قاذفة قنابل و ــ ٤٠٠٠ طائرة ناقلة جنود واستكشاف •

عندما بدأنا غزونا لشاطيء أوروبا خاصمنا الطقس بعواصفه اذ سجل أسوأ ما عرف من هيجان في مدة نصف قرن • وعندما بدأنا نضرب أبواب المانيا سجل المطر أعلى مستوى ففاضت الانهار وكثرت الاوحال وعامت الطرق والمعسكرات مما حد من النشاط العسكري •

كانت عملية تطهير مداخل مرفأ أنتورب من أعوص ما صادفنا في كل مدة الحرب وذلك لان الالمان قد أعدوا من قبل مراكز دفاعية قوية ولم يتخلوا عن شبر من خطوطهم الا بعد أن تصيبه قنبلة أو أكثر ، ولأنهم زرعوه بالالغام الكثيرة • تحتم علينا أن نقوم بعملية هجـوم جوي بحري وبري معا لنـدك الحصون • وقد اوكل الجنرال مونتغمري الجنرال كريرار قائد الجيش الكندي بتنفيذ الخطة • وبدأت لاستعدادات لذلك في الرابع من ايلول بعـد سقوط المدينة في أيدينا مباشرة •

تمركز العدو في جزيرة ولتشرين وفي شبه جزيرة بيفلاند شرقي مصب نهر الشلد كما يظهر على الخارطة • ولا يمكن الوصول الى بيفلند من الجنوب




معركة مصب نهر الشلد

الا عن طريق الرقبة . فقمنا بعملية انزال من البحر على الرقبة بينما زحفت قوات برية من الجنوب . فدخلت الفرقة الكندية الثانية الى الرقبة من الجنوب وجعلت تهاجم الالمان . وكان الجنود يغوصون في الاوحال أحيانا الى أوساطهم وهم يقاتلون ضد دفاع الماني قوي جدا ، وقد هاجمت الفرقة البريطانية الثانية والخمسون بيفلاند من البحر في الجنوب في ٢٥ تشرين الاول . فاتصلت الفرقتان الكندية والبريطانية في ٢٧ وفي النهاية تطهرت شبه الجزيرة كلها من الالمان .

بدأ الهجوم على جزيرة ولتشرين في أول تشرين الثاني ضد تحصينات من أقوى ما واجهنا في الحرب الاوروبية ، فجعلت مواعيننا الصغيرة تقترب من شواطيء الجزيرة وتشتبك مع بطاريات العدو لتشغلها عن الجنود المهاجمة فأصيبت المواعين بخسائر كبرى . ولكن ما أبداه البحارة من جرأة ومهارة خفف كثيرا من الاصابات بين الجنود التي نزلت الى الجزيرة . ومما التجأنا اليه من وسائل لمضايقة جنود العدو المتمركزة في المنخفضات أننا أرسلنا

قاذفاتنا لتنسف السدود التي أقامها الهولنديون لصد مياه البحر عن أراضيهم ، فكان اذا ثغرت السدود تتدفق المياه وتطمر جنود الاعداء وتحصيناتهم فساعدنا ذلك على احتلال الجزيرة ٠

في التاسع من الشهر انتهت مقاومة العدو باستلام ١٠ر٠٠٠ جندي الماني مع قائد الفرقة ،هذا بعد أن دفعنا ثمنا باهظا ، اذ بلغت خسائرنا ٢٧ر٠٠٠ قتيل وجريح من الانكليز والكنديين ٠ بينما تمكنا من احتلال جزيرة صقلية بعد خسارة ٢٥ر٠٠٠ جندي وبعد أن هزمنا جيوش الاعداء المؤلفة من ثلاثمئة وخمسين ألف جندي ٠ وبعد مدة اسبوعين أنجزنا كنس الالغام وبدأنا باستعمال الميناء ٠

بدأت سفننا بانزال حمولتها في انتورب في السادس والعشرين من تشرين الثاني ٠ ثم جعل العدو يضايقنا بسلاحين في المدينة ، الاول بمهاجمة غواصاته الصغرى للسفن عند مداخل النهر ، وقد استطاعت بحريتنا وطائراتنا طردها بعد بضعة أيام ، والثاني أنه جعل يوجه قنابله وصواريخه الموجهة الى المدينة فسبب كثيرا من الخسائر بالنفوس والمساكن ٠ ولكن السكان عرفوا كيف يواجهون المصيبة برباطة جأش ٠

لم تكن سائر الجبهات هادئة بينما كنا نطهر مداخل انتورب ، بل على العكس من ذلك ٠ فان كل قطاع كان يقوم بما يتطلب منه الواجب ٠ فقد استطاع مونتغمري أن يقوم بزحف نحو الشرق في ١٥ تشرين الثاني وفي ٤ كانون الاول قضى على آخر قوة للعدو غربي نهر الماس ٠

والى الجنوب من جيش مونتغمري أمر الجنرال برادلي جيشه بأن يهاجم العدو غربي نهر الرين وقد اشترك بالهجوم الجيش الاميركي التاسع والجيش الاول ٠ وقد مهد لهجومه بقصف شديد من الجو اذ اشترك فيه ١٢٠٠ قاذفة أميركية و ١١٨٨ قاذفة انكليزية جعلت تدك مواقع العدو ٠ ولكن التقدم كان بطيئا وذلك لمنعة خطوط العدو الطبيعية والاصطناعية ، وتورط الجيش الاول الاميركي في معركة حرش هورتنجن ، ولم يتمكن من استعمال سوى قوة المشاة لكثافة الاشجار المختبيء العدو وراءها وأخذ يصليها بنيرانه ، وقد

جعل جنود الفرق الرابعة والتاسعة والثامنة والعشرين يضربون المثل بشدتها وصعوبة الخوض فيها لما حاق بها من عراقيل طبيعية عرف العدو أن يستغلها ولكن على الاجمال بعد خوض كل معركة كنا نجد أنفسنا قد قطعنا مرحلة أخرى الى الامام ٠

عندما وصلنا ضفاف نهر الرور واجهتنا مشكلة فنية وهي أن السكان كانوا قد أقاموا سلسلة من السدود على النهر لري مزروعاتهم فتحصن العدو وراءها وجعل يفتح بوابات السدود كيف شاء وبذلك يمنع علينا أي تقدم ٠ فحاولنا دك السدود بقنابل الطائرات ولكن هذه لم تفعل شيئا يذكر في الخرسانة المسلحة ٠ فاضطررنا أن نقوم بهجوم بري عليهم في منطقة جبلية صعبة كثيرة المزالق ٠ فأخفق زحف الفرقة الثامنة والعشرين ٠ وفي ١٣ كانون الاول أخذ الجيش الاميركي الاول على عاتقه مهمة الاستيلاء على هذه السدود وفي نفس الوقت قام الجيش الثالث ، في الثامن من تشرين الثاني ، بهجوم على منطقة السار عن طريق متز وتمكن من اقامة جسور له عبر نهر الموزيل وفي أواسط الشهر اجتازت طلائعنا الحدود الالمانية،وفي ٢٢ منه سقطت متز ٠

اصطدمت ميمنة الجيش الثالث بعد زحف سريع بأمنع قطاع من خط سيغفريد ، وذلك في المثلث الواقع بين الموزيل ونهر الرين ، وظهر أن الخط هنا يتألف من شعبتين ، الاولى مجهزة بسلسلة من المصائد والاعشاش والحواجز ، لكنها ليست عميقة المدى ٠ والثانية مؤلفة من جهاز دفاعي قوي جدا يبلغ عمقه نحوا من ميلين تكثر فيه القلاع الصغيرة والحصون الخفية والخنادق والحواجز ، مما جعل الجيش الثالث يتباطأ بزحفه ثم يتوقف ، لانه لم يكن عندنا من قذائف المدفعية ما يكفي لدك الحصون ٠ وحاول جيش الجنرال دفرز الذي نزل من الجنوب أن يهاجم الالزاس ويضغط على منطقة السار من الجنوب ويشغل العدو هنا في جبهتين ٠ واستطاع الجيش الفرنسي أن يخترق ممر بلفورت في مدة اسبوع ويصل الى الرين ، ويهدد بالتطويق ميسرة الالمان الذين يدافعون عن جبال الفوج ٠ فانسحبوا من أمام الجيش السابع الاميركي الذي يقوده الجنرال باتش فتقدم هذا بسرعة الى سهل نهر الرين.

في هذه الاثناء قمت بزيارة لمقر قيادة الجنرال دفرز لأطلع على مايجري عن كثب ، فأوعزت اليه بأن يأمر ميسرة الجنرال باتش بأن تزحف شمالا لتلتقي بميمنة جيش الجنرال باتون التي تهاجم جبال الفوج من الشمال الغربي بعد أن تطهر جبهته من جميع الجيوب الالمانية ٠

من المستحسن أحيانا أن يتجاوز الجيش الزاحف جيوبا للعدو الذي يتمركز في معقل حصين ويعزله الى أن يستسلم ، على ان هذا لا يجوز الا اذا كانت الجيوب مطوقة من كل ناحية ، لا يصله أي مدد ٠ أما اذا كانت البقعة التي يتمركز فيها تهدد خط مواصلاتنا ، أو تلزمنا لمواصلة الهجوم ، فابادة الجيوب أمر حيوي ٠ ولهذا فاني شددت على الجنرال دفرزأن لا يقوم بأي نشاط حربي الا بعد ان يزيل كل أثر للعدو غربي الرين الاعلى ما بين مدينة ستراسبورغ شمالا وحدود سويسرا جنوبا ، حتى لايبقى هنالك ما يسبب لنا أي ازعاج في المستقبل ٠

اعتقد الجنرال دفرز ان الجيش الفرنسي الاول الذي اجتاز ممر بلفورت بكل نشاط وروح وثاب يستطيع بسهولة أن يصفي كل ما تبقى أمامه في منطقة كولمار من الجيش الالماني التاسع عشر ٠ وكتب في هذا الخصوص يقول لي : « ان الجيش الالماني التاسع عشر كقوة قد اصبح في خبر كان » ٠ وبناء على ذلك قدر انه يستطيع تنفيذ أوامري في منطقة كولمار بدون مساعدة الفيلق السادس الذي يقوده الجنرال بروك ٠ فأصدر أمره للفيلق بأن يزحف في سهل الرين شمالا ، شرقي جبال الفوج ، ليتعاون مع الفيلق الاميركي الخامس عشر الذي يهاجم جبال الفوج من الغرب ، ليتمكن من الاستيلاء على السار ٠

يظهر ان الجيش الفرنسي الاول قد اصابه الوهن بعد ان قام بهجومه الموفق ، فعجز عن تصفية الجيب الالماني الذي تمركز في مكان حصين في منطقة كولمار غربي الرين ٠ فجر علينا بقاؤه هنالك بعض المصاعب وسبب كثيرا من الازعاج ٠

تحول القتال الذي جرى في أواخر الخريف على طول الجبهة من حـــدود سويسرا جنوبا الى مصب الرين شمالا الى أوخم نوع من المعارك عرفه جيش المشاة • وأصبح التقدم بطيئا ومنهكا • وبات الكلام للمدفعية والذخيرة ، وتعرض المشاة لخسائر باهظة ، اذ فتك الرصاص بهم من ناحية والامراض من الناحية الاخرى ، فتباطأ زحفنا • وجعلت الحرب تدور بكثير من القرقعة ولا تتحرك كحجر الرحى •

تناقص عدد الرجال في كل فرقة من الفرق ، وبات كل جندي صحيح الجسم مسؤولا عن أن يقوم بقسطه وقسط من غيبه التراب او الفراش من رفقائه ، الى أن يخر هو بدوره اما صريعا او مريضا ، فوضعنا التقارير بهذا الخصوص ورفعناها الى وزارة الحربية لكي تتدبر الامر في الوطن ، وترسل ما يعوض عن كل ما فقدته كل فرقة من الرجال لتتجدد القوى وتنتعش الآمال • ولما أدرك الجنرال مارشال ما نعانيه من نقص في الرجال ، أرسل يقترح علي ارسال الفرق المدربة التي لا تزال في الولايات المتحدة رأسا دون أن تنتظر تسلم ما يلزمها من أسلحة ليحل رجالها محل من فقد في الوحدات التي تقاتل في الجبهة ، فتتكامل الصفوف وتسترد فعاليتها من جهة ، ويندمج الجندي الجديد بالقديم ويتدرب على يده من الجهة الثانية • فقوي الرجاء وانتعشت الآمال •

بيد أن الآمال التي علقناها على وصول الوحدات الجديدة لم تتحقق كلها وذلك لانه ما ان أقبل فصل الشتاء حتى باتت حاجتنا للجنود عظيمة لمـــا اعترى صفوفنا من نقص في الرجال ، فعندما أقبلت الوحدات من أميركا جعل القادة يخصصون اقطاعا في الجبهة لكل وحدة جديدة ويزودونها بما تيسر من السلاح • فجاء الترتيب على هذا النحو ناقصا لافتقارنا الى السلاح الثقيل ولتقصيرنا عن اعطاء بعض وحداتنا التي أنهكها التعب فرصة للراحة •

يحدث أحيانا في كل مسرح حربي أن تكون الاصابات خفيفة بين عدد كبير من الجنود ، وفي ظرف اسبوع يصبحون في حالـة تمكنهم من الرجـوع الى صفوفهم ، ولكن اذا كانت المعارك طاحنة فلا تستطيع القيادة ارجاعهم الى

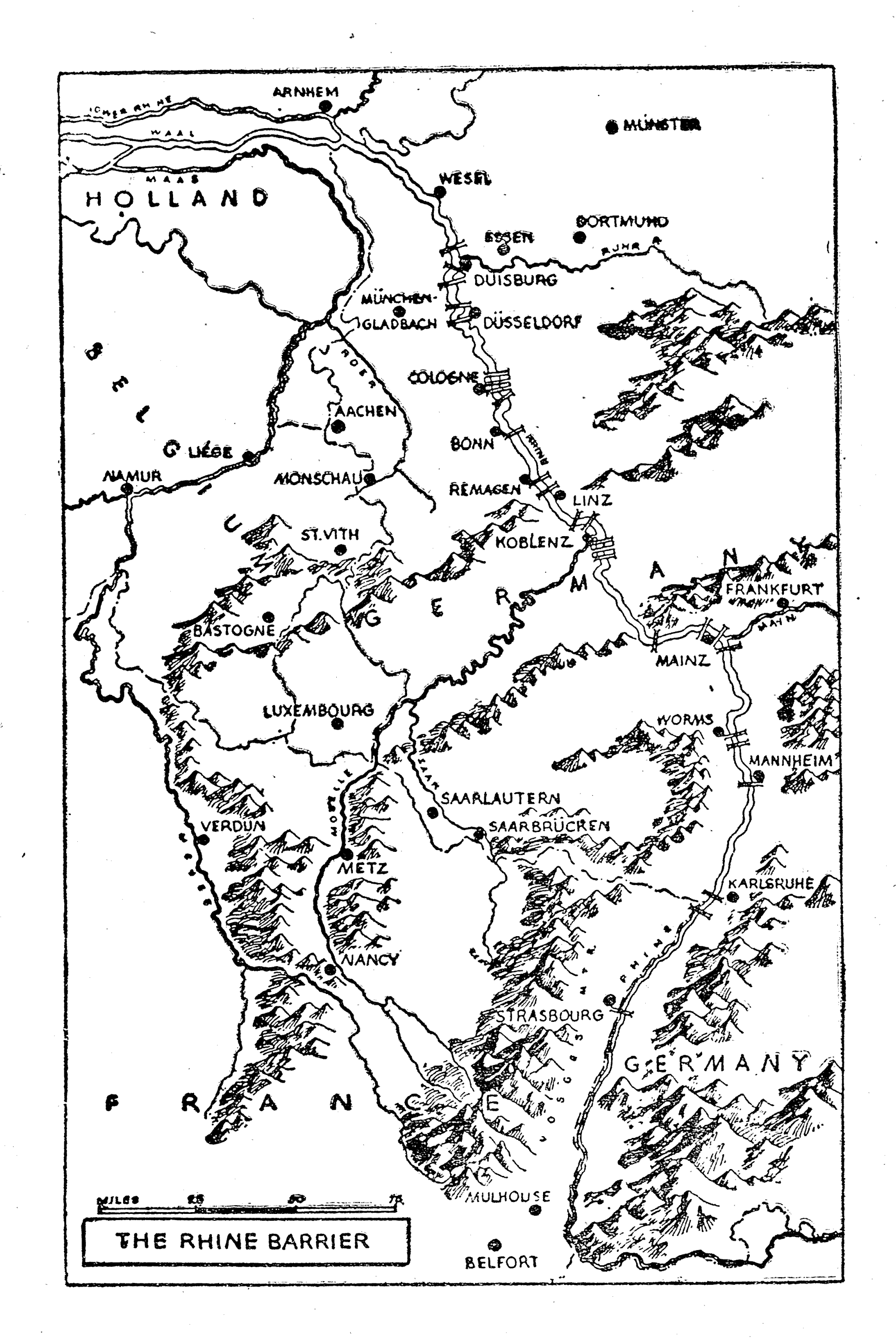


قسم من مدينة كولون الالمانية وقد تحول الى أنقاض
بفعل القوات الجوية والبرية الحليفة

الوحدات التي كانوا فيها بل ليسدوا الفراغ في وحدات غيرها ، فيؤثر ذلك على نفسياتهم ويخلق شيئا من تضعضع معنوياتهم • ومع ما بذلنا من جهد في معالجة هذه الناحية في شتاء سنة ١٩٤٤ لم نتمكن من ارجاع كل معافى الى وحدته الاصيلة • فبقي النقل والتبديل سنة ، لا علاج لها • فالحرب هي الحرب •

تبقى مشكلة القيادة الكبرى في الحروب وهي الحفاظ على معنويات الجنود ومن الامور التي توصلنا بها لذلك هي منح عدد من الجنود عطلة ينقطعون فيها عن واجباتهم الحربية ليذهبوا الى باريس او لندن أو أية مدينة آخرى يتمتعون فيها بقسط من الراحة والرفاهية تقوي فيهم الرجاء وتنعش الآمال كما أنشأنا مراكز خاصة في المناطق الامينة وراء الجبهة تؤمها وحدات صغيرة كاملة يتسنى فيها لكل جندي أخذ حمام وان يصرف ليلة او اثنتين في فراش وثير دافيء • وأنشأنا ناديا للحلفاء في نزل من أكبر نزل باريس لا يستقبل الا الجنود الذين يزورون المدينة من الجبهة • واعتمدنا على الصليب الاحمر وغيره من المؤسسات ليوفر وسائل الراحة والترفيه للجنود أثناء اقامتهم هنالك.

حدث في ابان الحرب العالمية الاولى أن الجيش الاميركي لقي العطف والمساعدة من منظمات أهلية مختلفة عملت على توفير الضيافة والترفيه له ، ولكنه نشأ عن تشابك الصلاحيات وحماس بعض المؤسسات والافراد من الجنسين نحو الجنود عدة مشاكل ادارية واجتماعية ، مما جعل وزارة الحربية أن تعهد الى مؤسستين فقط أمر الترفيه عن الجنود في الحرب العالمية الثانية ، وهما مؤسسة الصليب الاحمر ومكتب الاتحاد الاجتماعي ، فقاما بخدمات جليلة يعجز الوصف عن مدحها • فأسسا النوادي والمقاهي للجنود وأقاما لهم الحفلات المختلفة ، وقدما ما لزم من النصح والارشاد وطرق الوقاية من الانهيار الاخلاقي ، ولم يبخلا بشيء مما يجعل المحاربين يشعرون كأنهم في بيوتهم وان كانوا يبعدون عن أميركا ألوف الاميال ، فجاءت تلك الافعال بركة وسلاما في تلك المعارك التي تشيب لهولها الاطفال •




السدود على نهر الرين

عندما اقتربنا من أبواب المانيا درسنا مسألة اصدار أوامرنا لسلاح الجو بأن يدمر جميع الجسور القائمة على نهر الرين لنقطع المدد عن جميع القوات الالمانية التي تقاتل الى الغرب منه ، ولم نفكر بابقاء جسر واحد لاعتقادنا أنه بعد أن يضطر العدو الى الانسحاب سيدمر هو بدورة جميع الجسور ليجعل أمر اجتيازنا النهر صعبا • ومن المعلوم أن هنالك ستة وعشرين جسرا كبيرا فتدمير بضعة جسور منها لا يفيد وعلى أقل تقدير يجب تدمير عشرين أو أكثر منها لنجعل مهمة التموين صعبة على العدو الذي يقاتل الى الغرب •• فوجدنا أن تدمير مثل هذا العدد يتطلب من سلاح القاذفات جهدا عظيما ، وذلك لان اصابة الهدف من علو شاهق ليس من الهنات الهينات • والتحليق على مستوى منخفض محفوف بالخطر اذ لا يزال لدى العدو سلاح قوي من المدفعية المضادة للطائرات • وبما ان جو الرين يكاد لا يخلو في فصل الشتاء من الغيوم والضباب ، وبما أن اصابة الجسور من ورائها يكاد يكون مستحيلا مهما أسرفنا في القصف فقد رأت قيادة سلاح الطيران أن تضرب صفحا عن هذه المحاولة كثيرة التكاليف قليلة الجدوى ، وتوفر القاذفات لغايات أهم من ذلـــك •

عندما كانت قاذفاتنا غير منشغلة في قصف الجبهة لم نجد لها من مهمـــة أجدى من التغلغل في أواسط المانيا ودك مواصلاتها ، وتدمير خزانات وقودها وصهاريجها لنزيد فوق ما تعانيه من نقص في الزيوت مشكلة أخرى آلم وأشد فالوقود هو مصدر القوة عند كل امة عصرية فلما أصدرنا أوامرنا للقاذفات بأن تدمر صهاريج الزيت والمصافي كنا نهدف الى ايقاف الانتاج الحربي وشل حركة العدو في الداخل وعلى الجبهة • وبالفعل تأكدنا أن القيادة الالمانيـــة كثيرا ما رأت نفسها عاجزة عن تنفيذ خططها لا لشيء سوى حاجتها للزيوت وما ذلك الا نتيجة قصف طيراننا لمنشآت وقودها •

الحرب الحديثة هي حرب ميكانيكية في الدرجة الاولى ، والجيش الـــذي يتفوق في الميكانيك وسرعة الحركة يفوز في المعركة • ومن القديم اعتمدت القيادة الاميركية على سرعة الحركة في خططها العسكرية • ومن أجل ذلك قوت فرق الخيالة عندها وأصبح لدى جيشها أكبر عدد من الخيول عرفته

جيوش البلاد الاخرى • ولما أقبل عصر الآلة استعاضت الولايات المتحدة عن الفرس بالمحرك الآلي وأكثرت من اعتمادها على العربات من كل نوع، فضاعف ذلك من سرعة حركتها ، ووضع المبادرة الى جانبها لتفوقها في الطيران جوا وفي الدبابات والسيارات برا وفي الاساطيل بحرا • وانه لغني عن البيان انه لولا ذلك الجهاز الانتاجي الضخم الذي تمتاز به صناعة الولايات المتحدة لما استطعنا التفوق على جيوش العالم بسرعة الحركة ، هـذا فوق ما أسديناه لحلفائنا من مساعدات في السفن والطائرات والعربات •

كنتيجة لتركيز قواتنا في منطقتي السار جنوبا ونهر الرور وسدوده شمالا انكشفت منطقة الاردن في خطوطنا للعدو مما سبب لي بعض القلق لانه لم يبق لنا هنالك سوى ثلاث فرق لتحمي المسافة الواقعة بين مدينة مانشكو شمالا وتريار جنوبا والبالغ طولها خمس وسبعون ميلا • وبناء على ذلك اجتمعت بالجنرال برادلي لان القطاع واقع في جبهته، وابديت له مخاوفي وبعد البحث وجدنا أنه ليس لدينا قوات احتياطية نستطيع تقوية ذلك القطاع ، واذا أردنا اعادة النظر في توزيع القوى اضطررنا الى ايقاف عملياتنا الهجومية في القطاعات الاخرى • ولكن بما أن تلك العمليات تعود علينا بالمغانم فمن الخطأ أن نوقفها الى أن يأتي المدد من الولايات المتحدة •

أوجز الجنرال برادلي الوضع في جبهته كما يلي : اولا من رأيه مواصلة العمليات الهجومية لانها تصيب العدو بضعفي ما تصيبنا من خسائر • ثانيا ان المكان الوحيد الذي يستطيع الالمان أن يقوموا فيه بهجوم معاكس هو الاردن ، ولكن بما أننا عبأنا مجموعتين كبيرتين من قواتنا على جانبي ذلك القطاع من الشمال ومن الجنوب ، فاننا نستطيع أن نوجه الى العدو ضربة شديدة من الجانبين اذا ما تجرأ على الهجوم • ثالثا وبالفرض أن العدو قام بهجوم مفاجيء واندفع الى الامام حتى وصل نهر الموز ، في مثل هذه الحال تواجهه مشكلة التموين الا اذا استطاع الاستيلاء على مستودعاتنا وتمون منها




مغامرة الاردن

وعند ذلك أخذ برادلي خارطة القطاع الذي يتوقع أن يحدث فيه الهجوم ، وأشار بقلم الى البقعة التي يستطيع العدو وصولها ، ومن الغريب أن تقديره جاء مطابقا للواقع عندما وقع الهجوم • ثم شفع حديثه بأنه لم ينشيء مستودعات في تلك الناحية خوفا من ذلك • بل انشأها في منطقة لياج وفردان حيث يستحيل الوصول على العدو • وختم قائلا « لقد بذلنا المجهود لنقبض على هؤلاء الالمان قبل أن يتحصنوا في خط سيغفريد ففشلنا فاذا تجزأوا على أن يخرجوا منه ثانية ويقاتلونا في العراء كان ذلك من حسن حظنا » •

أقولها بصراحة أن مسؤولية الاحتفاظ بأربع فرق فقط في جبهة الاردن تقع علي شخصيا ، لانني فضلت الاحتفاظ بهذه الوضعية على اجراء أي تعديل في توزيع القوى مما يؤدي الى تجميد الجبهة ، لانني أقول بمواصلة الهجوم الى أقصى حد في طاقتنا • وبناء على هذا القرار استطاع الالمان احراز ذلك النجاح في أول اسبوع من شهر كانون الاول •

كان الجيش الثالث يستعد ليقوم بهجوم كبير ساحق على منطقة السار في ١٩ كانون الاول بقيادة الجنرال باتون • وكان هذا يعلق آمالا كبارا على هجومه • فقدرت أنا والجنرال برادلي أنه اذا نجح هجوم باتون اضطر العدو الى سحب عدة فرق من القطاعات الاخرى لصده عن تلك المنطقة الحساسة ، فينقذنا ذلك من الخطر الذي يهدد الاردن • هذا بينما كان الجيش الاميركي الاول يتهيأ ليقوم بدوره بزحف على سدود نهر الرور في ١٣ كانون الاول أيضا.

عندما شددنا ضغطنا على العدو في منطقة الرور أثناء شهر تشرين شاهدنا أن الالمان قد استقدموا جيشهم المدرع السادس ووضعوه مقابل الفيلق الثاني عشر من قواتنا ، حتى اذا اجتازت وحداتنا النهر انقض عليها • ولكن عندما تراخى هجومنا هنالك في اوائل كانون الاول اختفى ذلك الجيش رغم ما بذلنا من جهد للوقوف على أثره •

لا غرو في أن الجيش المدرع السادس هو أقوى وحدة حربية ظلت في داخل

المانيا . فاصبح أمر اختفائه من الجبهة مصدر قلق لنا ، لا سيما وان قلم استخباراتنا جعل يتسلم بعض الاخباريات عن وجود تجمعات وراء خطوط العدو في جبهة الاردن ، بينما في السابق كان العدو يرسل الى هذا القطاع الفرق التي يرغب في أن يعطيها قسطا من الراحة ، غير أن تلك الاخباريات عن تجمعات العدو لم تقعدنا ، بل واصلنا هجماتنا حثيثا في القطاعات الاخرى وافسحنا المجال له لان يهاجمنا في أضعف نقطة في خطوطنا . وان قام مؤرخ ليدين من سهل على الالمان أمر هجومهم في الاردن فالدينونة تقع علي وحدي .

# الفصل السادس عشر

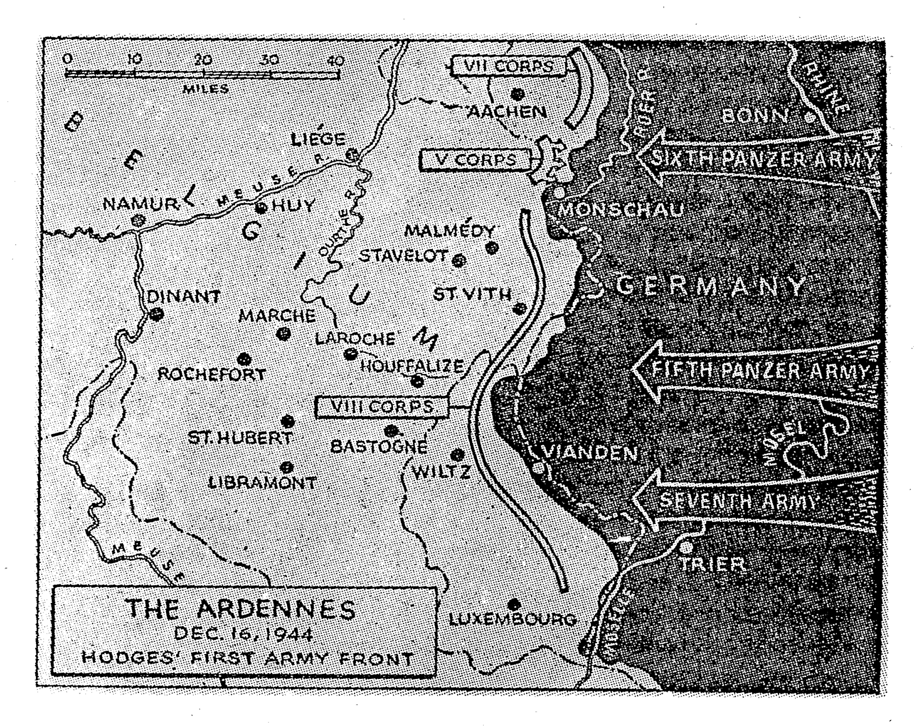
# محاولة هتلر الاخيرة

قام الجنرال برادلي بزيارتي في مركز القيادة ليشكو الي ما تعانيه الصفوف في الجبهة من افتقارها للجنود ، ولم يكد يجلس حتى دخل أحد الضباط المساعدين في مكتبي يحمل تقريرا مؤداه أن العدو أحدث بعض فجوات في جبهة فيلقنا الثامن بقيادة الجنرال مدلتون في منطقة الاردن . وبينما كان الضابط يشير باصبعه على الخارطة ، دار الحديث بيني وبين برادلي عما يقصد العدو من وراء غزوته لخطوطنا .

تأكدت من البدء أن حركة العدو هذه ليست محلية ، ان وراءها ماوراءها من النوايا والدواهي ، وان كانت محلية هنا ، فالقصد منها جذب أنظارنا اليها ليقوم بهجوم أكبر في ناحية أخرى . ولكن ليس للعدو من مطمع في غايات كبرى في قطاعات أخرى . هذا أولا أما ثانيا فانه لنا في كل موضع ، عدا الاردن من القوة ما يكفي لصد العدو ، والذي جعلني أن أتأكد بأنه هجوم الماني واسع النطاق ما وردنا من تقارير عن تجمعات يجريها العدو وراء خطوطه في الاردن . ومن هذه المنطقة بالذات وبقيادة الماريشال فون رونشتات الذي يقود هذا الهجوم بنفسه قام الالمان بهجومهم سنة ١٩٤٠ وطردوا الجيش الانكليزي من اوروبا وأجبروا فرنسا على الركوع والتسليم . ومن المرجح أن يكون الطموح قد لعب برأسه ودفعه ليمثل نفس الدور معنا في سنة ١٩٤٤ ولكن هيهات .

كان الجيش الاول الاميركي بقيادة الجنرال هودجز في أول اشتباكه مع

العدو في جبهة سدود الرور الواقعة شمالي منطقة الهجوم الالماني ، والجيش الاميركي الثالث لا يزال يتهيأ للقيام بهجومه على السار جنوبي الاردن عندما بدأ العدو باختراق صفوفنا • ولما كان هجومه يستهدف قلب فيلقنا الثاني عشر ، ارتأيت والجنرال برادلي أن نبدأ بنقل جزء من قواتنا على الجانبين الى جبهة الاردن ، حتى اذا تطور الهجوم استطعنا صده •




جبهة الاردن

١٦ كانون الاول ١٩٤٤

دعوت الى مؤتمر يحضره كبار مساعدي • فجاء ماريشال الجو تدر ، والجنرالات سمث وبول وسترونغ • وعندما نظرنا الى الخارطة تبين أنه توجد فرقة أميركية مدرعة لا تشترك بأي قتال على كل من جانبي الاردن نستطيع نقلها بسرعة الى المنطقة المهددة ، على أن يعين الجنرال برادلي المكان الذي يجب أن تستقر فيه • ان اقتطاعنا فرقة من جيش الجنرال باتون في الجنوب يعني تأجيل الهجوم على السار ، ولكن كيف السبيل لاقناع باتون بأن يؤجل زحفه الذي يتوقع احراز نجاح باهر من ورائه ؟ فقال برادلي إننا

قوينا باتون على حساب الاردن • ومن البدء كانت خطتنا اذا قام العدو بهجوم على هذا القطاع المكشوف أن نوجه اليه الضربة من الجانبين حيث تحتشد قواتنا ، وبما أن المحذور وقع فقد وجدنا أنفسنا مضطرين لايقاف هجماتنا موقتا لنوجه ضربة قاضية الى الجيش الالماني الذي تجرأ على أن يخرج من قوقعتـــه • ١

جلنا بأبصارنا يمنة ويسرة شمالا وجنوبا مفتشين عما يوجد بين أيدينا من قوات احتياطية ، فوقع نظرنا على الفيلق الثامن عشر الذي تحمله الطائرات معسكرا في فرنسا قرب ريمز ، بقيادة الجنرال ردجوي ، وقد وضع هنالك بعد فشل حملة ارنيم الآنفة الذكر ، كما وقع على فرقة أميركية مدرعة وصلت حديثا الى انكلترا ، وفرقة مظليين وفرقة مشاة في بريطانيا أيضا • ولمـــا وصلنا بجولتنا الى جبهة مونتغمري وجدنا أنه يهيء هجوما أعد له فيلقا كاملا في حالة التحفز • فاطمأننا الى أن ما لدينا من قوى الاحتياط كفيل بأن يصد أي هجوم يستطيع الالمان شنه •

علمتنا التجارب أنه اذا قام جيش ما بهجوم كاسح فمن الخطأ محاولـــة صده بارسال الوحدات على دفعات ، كما اعتاد رومل أن يفعل ، ولذلك اتفقنا ونحن في الاجتماع أنه اذا تطور تقدم الالمان الى هجوم ساحق فلا نحاول صده باشراك وحدة بعـد أخرى بالمعركة • لان ذلك يمكنــه من سحقها بالتتابع ومواصلة زحفه ، حتى ولو تمكنا من ايقافه بهذه الطريقة ، فاننا نصبح أعجز من أن نقوم بهجوم معاكس يرد كيده الى نحره • فالاوفق اذن أن ندعه يتقدم الى أن تتجمع قواتنا وتواجهه بقوة وحزم • وبعد البحث رأينا أن ندعم الفيلق الثاني عشر بقوة تكفي لان تساعده على التقهقر بانتظام • والنقطة الثانيـــة التي أثرناها هي المدى الذي يستطيع أن يندفع فيه دون أن يصيبنا بخسائر باهظة • فاستقر الرأي على أنه لا مانع من احتلاله لوكسمبرغ وسيدان في الجنوب ، ووصوله الى الموز في الغرب ، شريطة أن لا يعبر النهر • هذا أقصى مدى يجوز أن يبلغه •

هنالك أمر واحد جعل قلقنا يتزايد يوما فيوما ، وهو الطقس الذي اضطر طائراتنا أن تلزم الارض عدة أيام قبل بدء الهجوم الالماني من جراء الغيوم

الكثيفة والضباب المتراكم ومن المعلوم أن سلاح الطيران هو العمود الفقري لقوتنا في المعركة،وان لم يتحسن الجو وتنجل الغيوم بقيت طائراتنا في أرضها بينما تسرح دبابات العدو وعرباته وتمرح في الاردن كما يطيب لها ٠

بعد ارفضاض المؤتمر رجع برادلي الى مركز قيادته في مدينة لوكسمبرغ ، وجعل يتصل بي تلفونيا من ساعة الى أخرى كل مدة الايام الحرجة التي تلت ذلك ٠ واول عمل قام به هنالك هو دعـم الفيلق الثاني عشر ليتمكن من الانسحاب بانتظام ٠ وفي نفس الوقت بدأ كما بدأت أنـا بجمـع القوات الاحتياطية لنقذف بها الى ساحة المعركة عندما تتكشف لنا نوايا العدو على حقيقتهـــا ٠

اتضح في صباح السابع عشر من كانون الاول أن الهجوم الالماني قد بدأ يتعاظم ٠ واستطاع فتح ثغرتين في صفوفنا ٠ الاولى في الجبهة التي تعسكر فيها الفرقة ١٠٦ والثانية في جبهة الفرقة ٢٨ ٠ وكانت التقارير مشوشة مبهمة لا تحتوي على ما يستند اليه من معلومات ، وقد بدا فيها جميعها أمر واحد وهو أن العدو يزحف غربا بسرعة وهو يستعمل السيارت المدرعـة بكثرة ٠ وبعد مدة عرفت دوائر استخباراتنا أهم مـا نرغب أن نعرفـه عن قوة الالمـان ٠

عبأ فون رونشتات ثلاثة جيوش هي الجيش الخامس والسادس والسابع للقيام بهجومه ، واستطاع احراز نصر مباغت في نقطتين مهمتين ٠ الاولى أننا بعدما أصاب جيوشه من خسائر في أثناء الصيف والخريف اعتقدنا أنه لن يتمكن من جمع جيش قوي يستطيع أن يقوم بفضله بهجوم كبير كالذي نرى الا بعد مدة طويلة ، والنقطة الثانيـة في عنف الهجوم تحت ظـلال الغيوم والضباب ، ولولا ذلك لاكتشفنا تحركاته من قبل وجعلنا من صفوفه أهدافا لقاذفاتنا ٠ ثم أن حصانة خط سيغفريد جعلت الالمان يتركون اعدادا قليلة فيه ويقذفون بكل ما تبقى لديهم في المانيا الغربية ، بالاضافة الى الجيش السادس المدرع الذي جيء به حديثا من الداخل ٠

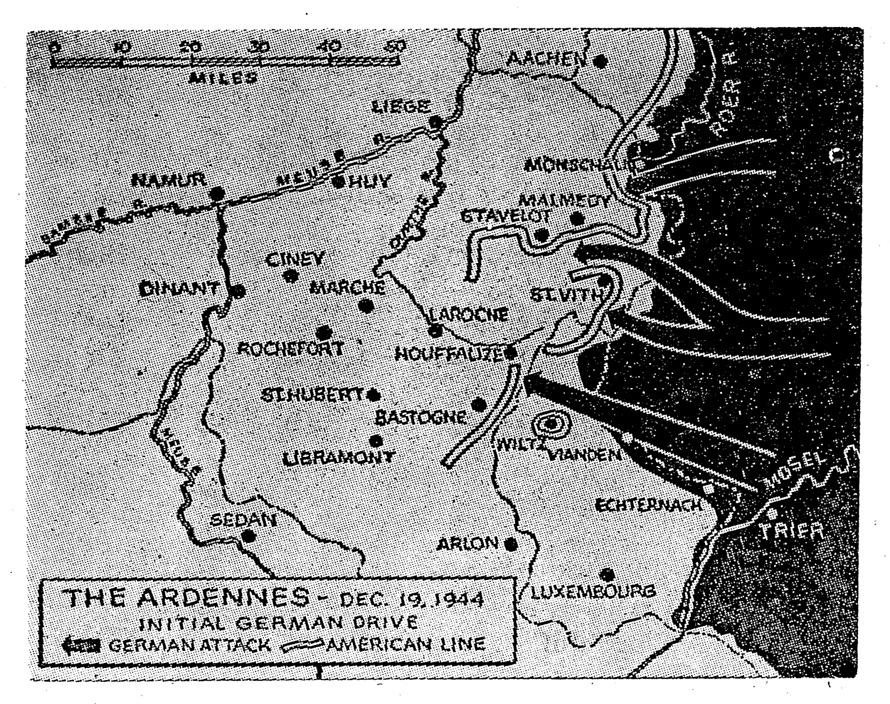
يشبه هجوم الاردن كثيرا هجوم كاسرين الذي سلف ذكره في الحديث عن

شمالي افريقيا ، مع الفارق العظيم بالعدد لصالح معركة الاردن ، أما أوجه الشبه فان العدو قام بهجومه يائسا هنا وهنالك ، كما أنه في الحالتين استغل وجود خط قوي اعتمد عليه ليرمي بمعظم قواته في المعركة ، ويحدث تشويشا في خطوط مواصلاتنا ، ويرد عن نفسه تلك الهجمات المتلاحقة التي نقوم بها عليه ٠

وان كان هجوم رونشتات قد فاجأنا من حيث التوقيت وعنف الاندفاع ، لكني وبرادلي قد توقعنا مكان حدوثه واعددنا للامر عدته من قبل ، ورأينا أن أول خطوة يجب اتخاذها لاتقاء شره هي تأمين مراكزنا على جانبي الهجوم في الشمال والجنوب ٠ وأشد المناطق حراجة هنالك كانت قرب مدينة مانشو حيث كان الفيلق الخامس الاميركي يهاجم سدود نهر الرور بقيادة الجنرال جيرو، ويتألف ذلك الفيلق من الفرقة الثانية المجربة بقيادة الجنرال روبرتسن والفرقة ٩٩ التي تخوض القتال لأول مرة بقيادة الجنرال لوير ٠ فبدأ ضغط العدو على الفرقتين يتعاظم واجبرهما على التراجع ٠ فتلقت ذلك الهجوم الفرقة الثانية بمؤازرة بعض وحدات من الفرقة ٩٩ بكل مهارة ، وقاتلت مدة ثلاثة أيام بشجاعة مجيدة قبل أن يصلها المدد ٠

لم يشعر الجنرال هودجز قائد عام المنطقة بخطورة الهجوم الالماني الذي يستهدف جبهته ، ولذلك أمر فرقه بمواصلة هجومها على منطقة سدود نهر الرور ٠ الا أن الجنرال روبرتسن قائد الحملة أدرك الموقف واستعد له ٠ وفي الحال أوقف هجومه على نهر الرور ، واختار لفرقته موقعا يصلح للدفاع في تلك الناحية وتمركز فيه ٠ وحينما بدأ تدفق الالمان عليه يشتد كالسيل العرم ، صمد الاميركيون له بثبات مدهش ، قد يكون من المشكوك فيه أن تستطيع الفرقة الثانية الثبات في وجه الهجوم الالماني الساحق مدة يومين قبل أن يصلها المدد ، لولا ما قامت به فرقتنا السابعة المدرعة من دور بطولي في تلك الناحية ٠

لما أمرت الفرقة السابعة بالتوجه من الشمال نحو الجنوب في ١٧ كانون الاول كان الهجوم الالماني لا يزال غامضا بالنسبة لنا ، وبينما كانت الفرقة في طريقها لدعم ميسرة الفيلق السابع ، وجدت نفسها بغتة نصف مطوقة




جبهة الاردن
١٩ كانون الاول ١٩٤٤

عند نقطة مواصلات مهمة تدعى سنت فيث، لابد لرأس الرمح الالماني أن يجتازها في اندفاعه غربا • فتشبثت هي بموقعها بعد أن انضمت اليها بقايا الفرقتين ١٠٦ و ٢٨ واجبرت الهجوم الالماني على أن ينشطر عن جانبيها وانقذت مدينة منشو من التطويق •

أخيرا بعد أن ثقل الهجوم الالماني عليها وهددها بالتطويق وقطع المواصلات أمرت أن تنسحب غربا بشمال ، لتلتحق بالقوات التي كنا نعدها لضرب ميمنة العدو • ولابد من القول أن صمود الفرقة السابعة في سنت‌فيث حال دون تنفيذ الالمان لخطتهم، كما انه ساعد الفرقة الثانية على الاحتفاظ بمركزها لحيوي على كتف منشو حتى وصلتها النجدة من الفرقة الاولى والفرقة التاسعة • فأمن وجود هذه الفرق الثلاث المتمرسة في المعارك خط جبهتنا الشمالية •

منـــذ السابع عشر من الشهر أمرت الفرقـــة ٨٢ و ١٠١ أن تتحول من الاحتياط وتلتحق بقيادة الجنرال برادلي، ثم ألحقت بقيادته أيضا الفرقة ١١ المدرعة التي وصلت حديثا من أميركا والفرقة ١٧ التي نقلت من بريطانيا ٠

صدر الامر للجنرال لي قائد ادارة التموين العام بأن يتولى أمر الدفاع عن نهر الموز وخول السلطة أن ينسف جميع الجسور اذا دعت الحاجة ٠ فبدأ باقامة خط دفـــاع قـــوي هنالك ٠ وقد اتخـــذ الجنرال مونتغمري جميـــع الاستعدادات لحماية المخازن والمستودعات في الجبهة البريطانية ٠

أخذ الهجوم الالماني يتطور ويتقدم بسرعة في الوسط ، رغم ما أصابه من فشل في منطقة مانشو ثم اندفع الى الشمال الغربي ، فأيقنا أنه يهدف الى احتلال لياج وانتورب طمعا في استيلائه على مستودعاتنا هنالك ٠ وقد عرفنا ذلك مما يعاني من افتقاره الى المؤن على طرق مواصلات مدمرة لا تفي بحاجة النقليات عنده ٠ ولاح لنا أن تقدمه سيتوقف من تلقاء ذاته حتى اذا لم نوجه اليه هجوما معاكسا ، هذا اذا لم يتمكن من الاستيلاء على مستودعاتنا ٠

صممنا أن ندافع عن لياج التي تحتوي على جميع أنواع المؤن بكميات وافرة ونمنعها عنه مهما كلف الامر ، لئلا يستولي فيها على كل ما هو حيوي لـــه ويواصل زحفه الى بروكسل وانتورب وماهـــو أبعد من ذلـــك ٠ فأصبحت المعركة بيننا وبينه معركة مؤن ٠

أمر الجنرال برادلي الفيلق الجوي الثامن عشر بأن يتوجه في ١٧ كانون الاول الى جبهة باستون لمساعدة فيلقنا الثامن المرابط هنالك بقيادة الجنرال مدلتون ، أدرك الجنرال مدلتون أهمية موقع باستون منذ البداية وصمم على الاحتفاظ به ٠ ولما اتصل به برادلي أخبره عن عزمه على الصمود هنالك حتى ولو طوقه العدو ٠ فأرسل هذا الاخير الفرقة ٨٢ والفرقـــة ١٠١ الجويتين لمساندته هنالك ، وعسكرت الفرقة ٨٢ في ستافيلو الى الشمال من باستون وتحمل هذان الفيلقان ثقل الزحف الالماني الذي طوقهما ، لكنه فشل في القضاء على مقاومتهما ٠

شعرت في ليل الثامن عشر من الشهر بأنه أصبح لدينا معلومات كافية عن قوة العو ونواياه واهدافه ، كما أحصينا مافي حوزتنا من امكانيات، فرأيت أنه أصبح من الضروري أن نرسم خطة لهجوم معاكس ، فذهبت وماريشال الجو تدر الى فردان بعد أن أمرت كلا من برادلي وباتون ودفرز بأن يوافوني هنالك ٠ وعندما التأم المؤتمر وجلس الجميع الى مائدة مستطيلة قلت :

« يجب أن ننظر الى الحالة الحاضرة ليس ككارثة بل كفرصة لنا ٠ وانني أطلب اليكم أن تبدوا بوجوه يعلوها البشر لا الكآبة » عند ذلك قاطعني الجنرال باتون وقال متحمسا : « يالجهنم ، لماذا لا يكون عندنا الشجاعة ونسمح لل ٠٠٠ ع ٠٠٠ أن يتقدموا الى باريس ومن ثم نقطعهم قطعا قطعا ونمضغهم » فابتسم الجميع ، فأجبت لن نسمح لهم بعبور نهر الموز ٠

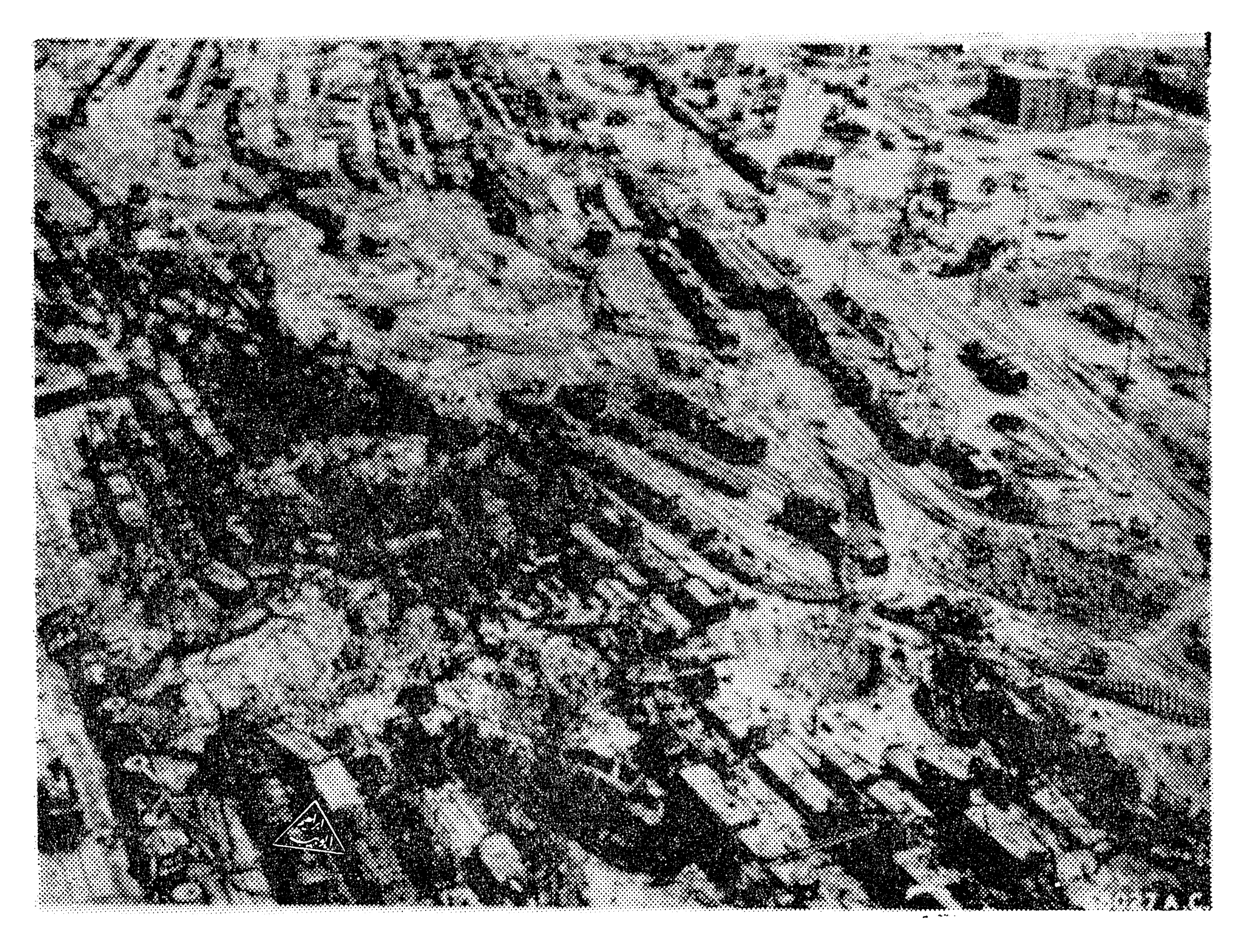
درسنا القضية من جميع وجوهها ، ومما سرني انني وجدت كل قائد ومستشار في المؤتمر مطمئنا الى الحالة واثقا بالنتائج ، لا ذعر ولا ذهول ٠

في مثل تلك الحالة التي نشأت في جبهة الاردن يكون أمام القوات المدافعة مجالان للعمل ، شريطة أن لا يتسرب الهلع الى قلب القيادة فتأمر بانسحاب عام ، الاولى أن تقيم خطوطا دفاعية قوية في المنطقة التي تتعرض للهجوم وراء نهر أو على مرتفع وتكتفي بايقاف الزحف ٠ والثانية أن تقاوم الوحدات التي يستهدفها الهجوم ما أمكن ثم تتراجع بانتظام ، لتفسح المجال أمام القيادة لان تستنفر جميع وحداتها وتعبيء كل ما لديها من قوات لتقوم بهجوم معاكس ، فاخترت أنا الثانية وذلك لاعتقادي بأن العدو بخروجه من خط سيغفريد الحصين ومهاجمته لنا أعطانا فرصة ثمينة للعمل على سحقه ، فأبرقت بهذا الخصوص الى الجنرال مونتغمري في ١٩ كانون الاول أقول : « ان أضعف نقطة في خطوطنا هي تلك التي تؤدي الى مدينة نامور ، فيجب العمل على تقويتها وسد كل ثغرة في الشمال ، لنقوم بهجوم عام في الجنوب »٠ وفي اليوم التالي كنت أكثر تحديدا حينما أبرقت اليه « أرجو أن تطلعني على جلية الموقف في الشمال ، واني لا أرى مانعا من تخلينا عن بعض المساحات للعدو لنتمكن من تقصير خطوطنا وجمع قوة احتياطية كافية للقضاء على العدو في بلجيكا » ٠

سبق وصممت على أن لا يكون هجومنا المعاكس من الجانبين معا ، بل نلتزم خطة الدفاع في الشمال حيث بدأ ضغط الالمان يتراخى ، ونقوم عندما تسنح الفرصة باندفاع من الجنوب شمالا • وكان غرضي من مؤتمر فردان تعيين الوقت الذي يبدأ فيه الهجوم من الجنوب ، وعدد الفرق التي تشترك فيه بقيادة الجنرال باتون ، وأخيرا قدرنا أن باتون يستطيع البدء بهجومه بثلاث فرق حوالي الثالث والعشرين من الشهر • فأصدرت عندئذ أمرا واضحا بأن لا يبدأ هجوم باتون قبل الثاني والعشرين وان لا يتأخر عن الثالث والعشرين ، على أن يواصل زحفه شمالا بعد أن يحتل باستون ، الى هوفاليز ، ووعدته بمؤازرة جوية فعالة حالما يسمح الطقس • وقبل انصرافي أخبرت المؤتمرين بأن هجومنا في الشمال يبدأ حالما نرى أن الزحف الالماني قد استهلك قواه •

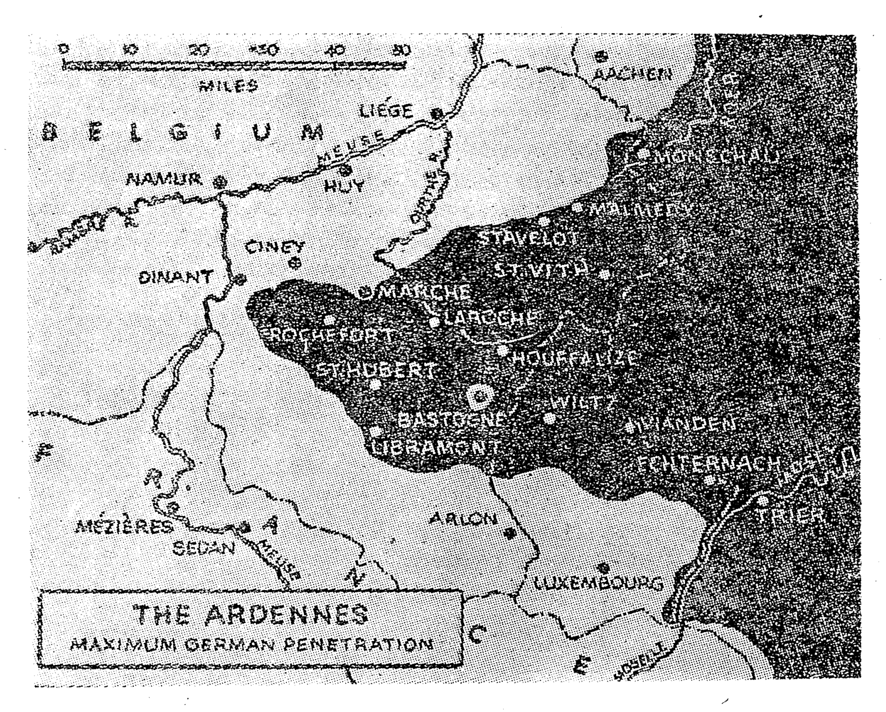
شددت على الجنرال باتون أن يبدأ هجومه من « ارلان » متجها الى باستون بقوة لا تقل عن الثلاث فرق ، وحذرته من مَغبة قذف قواته الى المعركة على دفعات ، بل يجب أن يقذفها كتلة واحدة مركزة تعمل على ضعضعة جيش العدو من البدء • ولما ظهر لي بأنه لم يدرك بعد قوة الهجوم الالماني ، حذرته من عاقبة الاستخفاف وصارحته بأن العدو يعلق على هجومه آمالا كبارا • ولهذا يجب أن نواجهه بقوة وحزم ودراية •

عندما تباحثنا في شؤون الجبهة الجنوبية عامة ظهر مدى الضرر الذي خلفه في صفوفنا الابقاء على الجيب الالماني غربي الرين في منطقة كولمار لانه لو قضينا على ذلك الجيب في حينه لاستطاعت القوات الفرنسية أن تحمي كل خط الرين الجنوبي من حدود سويسرا الى السار • أقول لو تم ذلك لنقلنا معظم وحدات الجيش الاميركي السابع الى الشمال لمؤازرة باتون في هجومه المعاكس على رأس الحربة الالمانية • واخيرا صممت على سحب قسم كبير من القوات الاميركية التابعة لقيادة الجنرال دفرز شمالا ، بعد أن أوصيته بأن يتراجع غربا اذا قام الالمان بهجوم عليه في تلك الناحية ، لان أمر القضاء على قوة الالمان في بلجيكا هو هدفي الرئيسي ، فلا بأس اذن من تراجع خطوطنا قليلا في الجبهة الجنوبية حتى ولو أدى ذلك الى اخلاء مدينة ستراسبورغ مؤقتا •



ساحات السكة الحديدية في مدينة اولم الالمانية التي تمون الجيش السابع
الالماني بالقرب من كارلسرو وقد دمرتها قنابل الفرقة الثامنة
الجوية الامريكية في مدينة توركان الالمانية

ثارت ثائرة الفرنسيين عندما اطلعوا على خطتي تلك ، فأرسلت باريس الجنرال جوان رئيس أركان القوات الفرنسية العامة ليقنعني بأن لا أسمح بسقوط مدينة ستراسبورغ مرة ثانية في أيدي الالمان ٠ فأفهمته بأن ضمان عدم سقوطها في أيدي العدو هو أمر فوق طاقتي في الوقت الحاضر ٠ على أني لن أخليها الا مضطرا ٠




جبهة الاردن
أقصى التغلغل الالماني

استنتجنا من آخر التقارير التي وردت في ليل ١٩ ـ ٢٠ الى مقر القيادة أن القائد العام الالماني يستهدف الزحف بسرعة شمالا بغرب ليقطع نهرالموز جنوبي لياج ، ويندفع من هنالك في خط مستقيم حتى يصل البحر ، ويقطع خط المواصلات على جميع قواتنا العاملة في الجبهة الشمالية ٠ ولاح أن هجومه ما زال يتطور ويتعاظم بصورة مدهشة ، وفي كل ناحية تبرز منه رؤوس كالافاعي هنا وهنالك غايتها التهام ما يقع في طريقها من وحدات ٠

انه لغني عن البيان انه اذا ما تطور أي هجوم في أي مكان على أي جيش من قبل جيش آخر فلابد أن يخلق حالة من القلق والذهول تشمل الجميع من أعلى قائد الى أدنى جندي في الجبهة ، وأكثر ما يتعرض لمثل تلك الحالة هم الجنود والوحدات التي تتعرض للهجوم العرم فيكتنفها من كل ناحيــة ويطغى عليها • فتنحط معنوياتهم وتتضعضع ثقتهم بقيادتهم التي يرونهــا لا تبدي أي نشاط في سبيل انقاذهم من المحنة التي يتعرضون لها ، والخطر المحدق بهم من كل ناحية • ولابد أن تنتقل عدوى القلق من الجنود في الجبهة الى القيادة العامة في مقرها البعيد عن الخطر ، مهما كانت واثقة من نفسها متيقنة بأن ما في حوزتها من قوات تستطيع فل العدو ورد كيده الى نحره • وما دامت المبادرة في يد العدو فلا يستطيع أحد أن يتكهن بما قد ينشأ من مفاجآت تقلب ما رسم من خطط رأسا على عقب • وفي كتب التاريخ أكثر من شاهد على أن نشوء حالة ذعر ، او حلول طقس مفاجيء وما أشبه من طواريء قد عمل على تحويل نصر الى فشل وعز الى ذل • فلا عجب اذا ساور القلق والانزعاج كل جندي وضابط مني شخصيا وما بعدي من ذوي الرتب الى آخر مقاتل في الجبهة في أول اسبوع من الاندفاع الالماني •

من الضروري أن لا يستسلم القادة الى الاقدار ويتركوا المجال لــلاهواء والاشاعات أن تلعب دورها في كل ناحية ، فتزداد الاقاويل وتكثر الاختلاقات ويختلط الحابل بالنابل مما يخلق روحا انهزامية وذعرا على ذعر ، بل يجب أن يضبطوا أعصابهم ويملكوا زمــام أنفسهم ويتظاهروا بالتفــاؤل في أشد الساعات حراجة ويوزعوا الدعايات المشجعة بكل واسطة شفهيا وكتابة •

أصدرت في الثاني والعشرين من الشهر أمرا يوميا جاء فيه :

« ان العدو في خروجه من مراكز دفاعه الحصينة أتاح لنا المجال لان نحول مقامرته الكبرى الى أكبر انكسار واشنعه• واني واثق بأن كل جندي وضابط سيرتفع الى أعلى مستوى من الشجاعة ورباطة الجأش ويؤدي من ضروب البطولة ما يتطلبه الواجب ، وليضع كل واحد منكم نصب عينيه هدفا واحدا لا يتجزأ وهو تحطيم العدو والقضاء عليه والله يوفقنا للفوز بأكبر نصر » •

كانت لنا ثلاثة جيوش وقسم من الرابع شمالي النتوء الذي أحدثه العدو في جبهتنا ، تحتل جبهة أشبه بنصف دائرة تمتد على مسافة ٢٥٠ ميلا ، يحتل طرفها الشمالي الفيلق الحادي والعشرون ويتجه نحو الشمال الشرقي على الضفة الغربية من مصبي نهري الرين والموز ويليه الى الجنوب الجيش الاميركي التاسع ، ثم الجيش الاميركي الاول الذي حول وجهه من الشرق الى الجنوب ، فعملنا على جمع كل ما قدرنا على اقتطاعه من الجيش التاسع والاول لنشكل جبهة عرضية من الشرق الى الغرب لنقابل الهجوم الالماني ، وكانت أيضا لدى الجنرال مونتغمري قوة احتياطية تشكل الفيلق الثلاثين من الجيش البريطاني غير مشتركة بأي نشاط ٠

كان من نتيجة الزحف الالماني انه قطع أي اتصال بين مركز قيادة الجنرال عمر برادلي والجيشين الاول والتاسع التابعين لقيادته ، فصعب عليه أن يوجه اهتمامه الى الجبهة الجنوبية ، وفي نفس الوقت يشرف على تحركات الجيشين المعسكرين في الشمال ٠ فرأيت أن الحل الوحيد للمعضلة هو تعيين الجنرال مونتغمري قائدا عاما لجميع القوات العامة شمالي النتوء الالماني بصورة موقتة ، ليتفرغ برادلي لقيادة القطاع الجنوبي ، فأخبرت الجنرال برادلي تليفونيا بما فعلت ، ثم اتصلت بمونتغمري وامرته أن يتسلم الصلاحيات الجديدة ، ولم أفعل ذلك الا بدافع الاعتقاد بأنا فريق واحد متعاون في سبيل قضية واحدة ٠

اتصل بي المستر تشرشل ليل ١٩ كانون أول يسألني عن سير المعركة ، فأخبرته عما اتخذنا من ترتيبات لمواجهة الحالة الطارئة ، فأبدى بأن الجيش البريطاني مستعد أن يعمل بأي قطاع أشاء بقطع النظر عما رسم من قبل بأن يعمل كل جيش في منطقة معينة ٠ وختم : « تأكد بأن الجنود البريطانيين يحسبونه شرفا أن يشتركوا في المعركة جنبا الى جنب مع رفقائهم الاميركيين».

سارت الترتيبات الجديدة في طريقها الطبيعي ولم يعترض عليها أحد ٠٠

لكن بعد أن انتهت المعركة عقد الجنرال مونتغمري مؤتمرا صحفيا ، استنتج منه المحررون أن الجنرال مونتغمري تدخل في المعركة لينجي الاميركيين مما أحاط بهم من خطر وجاء ما نشروه وعلقوا عليه ماسا بكرامة الاميركيين ، مع أني لا أعتقد بأن حضرة الجنرال كان يعني مما استنتجه الصحفيون ٠

سببت لي تلك الحادثة الكثير من الازعاج ، واني أشك في أن مونتغمري أدرك عمق ما تولد في قلوب بعض القادة الاميركيين من حقد عليه ، لاعتقادهم بأنه قصد عامدا متعمدا أن يستخف بهم ويحط من كرامتهم ، فقاموا بدورهم يردون عليه الكيل كيلين من التسفيه والازدراء ٠ وعلى كل ان تلك التهم المتبادلة التي أثيرت فترة من مدة الحرب لم توجه الى الخطة العامة التي وضعت بل هي شخصية أكثر مما هي جوهرية ٠

اثارت الصحف البريطانية عندئذ موضوع انشاء قيادة برية واحدة ،وكان الفيلد مارشال مونتغمري من مؤيدي هذه الدعوة ، ومما فعله في سبيل ذلك أنه عرض علي تعيين برادلي قائدا عاما ، وهو مستعد لان يخدم تحت امرته ولكنني رفضت ذلك من وجهة مبدئية لا أكثر ، وقد كتب لي الجنرال مارشال في ٣٠ كانون الاول بهذا الشأن يقول :

« اني لا أدري اذا كان أحد لفت انتباهك الى بعض المقالات التي تظهر في بعض صحف لندن داعية الى تعيين قائد عام بريطاني للقوات البرية يكون مساعدا لك ، متذرعة بأن كثرة الاشغال المتراكمة على كاهلك تصرف انتباهك عن المعركة البرية ٠ اليك رأيي صريحا بذلك ٠ اياك أن تتنازل لهم عن شيء مهما كان ضئيلا ، وثق بأني أدعمك في موقفك ٠ ان أعمالا كبيرة تتم على يدك فالى الامام ودعهم في غيهم يعمهون » ٠ فأجبته بتاريخ رأس سنة ١٩٤٥ :

« لا تدع أي شك يتسرب الى ذهنك بأني سأعين قائدا ينوب عني في العمليات البرية ٠ واني قد اطلعت بعد وصول برقيتك على معظم ما كتبته الصحف البريطانية ٠ وقد وجدت أن المسألة تتعلق بفئة لا يعبأ برأيها كانت

من البدء تطالب بتعيين قائد بريطاني مساعد لي يتسلم القيادة البرية فلم أعرها اهتماما ، أما الآن ولم يفرق الهجوم بين أميركي وبريطاني بل تغلغل في جبهتناوشطرها الى شطرين وحال دون اتصال برادلي بالجيشين الاميركيين المعسكرين الى الشمال من النتوء الالماني فقد استصوبت أن أعين قائدا عاما للشطر الشمالي الواقع على ميمنة العدو ، وقائدا آخر للشطر الجنوبي على ميسرة العدو ۰ وهذا الترتيب الموقت اقتضته حالة طارئة »۰

لم يكن الدفاع عن موقع باستون عملا عسكريا من الطراز الاول فحسب بل كان له أثر فعال على نتيجة المعركة ۰ جعل الجيش الالماني المدرع طريقه على باستون ۰ وقد اكتشفنا فيما بعد أنه كانت لديه أوامر باجتيازها غربا اذا قمنا بالدفاع عنها ، ثم يتجه شمالا ليلتحق بأكثرية القوات الزاحفة ۰ وعندما التحقت الفرقتان الجويتان بقيادة الجنرال برادلي ارسلهما ليعسكرا في باستون لاهمية موقعها لجهاز مواصلاتنا ۰ وبينما كانتا تتجهان شرقا في الثامن عشر من كانون الاول وهما لا تدريان ماذا يجري ، فاجأهما الهجوم الالماني فاضطرت الفرقة ٨٢ أن تتدارك الموقف وتنسحب الى الشمال ، بينما واصلت الفرقة ١٠١ سيرها واستقرت في باستون في ليل ١٨ واخذت تحصن نفسها ، بينما كان العدو منشغلا بقتال وحداتنا التي كانت في الاصل هنالك تحمي خط دفاعنا ۰ ومع أن الجيش الخامس الالماني تجاوزها مسرعا فانها صمدت للقوات الالمانية التي طوقتها فيما بعد وأخذت تشدد الضغط عليها ۰ وما زالت تقاتل حتى جرى انقاذها ۰

بقيت الحالة حرجة في الجبهة الشمالية ۰ وفي ٢١ أمرنا بسحب ما تبقى من الفرقة السابعة المدرعة التي تحملت عبء الهجوم الالماني في سنت فيث مدة ٣٦ ساعة ۰ وحالما تسلم مونتغمري زمام القيادة في تلك الناحية بدأيعد احتياطه ليقوم بهجوم معاكس ۰ على أن يبدأه الفيلق الاميركي السابع بقيادة الجنرال كولينز ۰ وبعد أن بقي القتال مستمرا الى ٢٦ في الشمال وصلتنا المعلومات بأن الالمان سيقومون بهجوم كاسح آخر في تلك المنطقة ۰

في الجنوب بدأ برادلي هجومه في ٢٢ ، ولكن التقدم كان بطيئا جداً لتراكم الثلوج وصعوبة المسالك ،وقد افتتح الزحف شمالا نحو باستون الفيلق الثالث المؤلف من الفرقة المدرعة الرابعة والفرقتين الاميركيتين ٨٠ و ٢٦ ٠ اتصل بي الجنرال باتون عدة مرات يشكو لي فيها ما يعانيه من العقبات الطبيعية التي تعرقل تقدمه ، فأجته بأن الحالة على غاية ما يرام طالما أنه يستطيع التقدم ٠٠

حدث في الثالث والعشرين من الشهر أن الغيوم انقشعت ، وصفا الجو ، فانطلقت قواتنا الجوية من عقالها ، وراحت تكيل الضرب للعدو من كل ناحية فقصفت النقط الحساسة في خطوط مواصلاته وقذفت صفوفه على الطرقات والجبهات ، وقامت بحركات استكشافية عن تحركات العدو واتجاهاته ، وقد حدثنا الاسرى الالمان الذين وقعوا في أيدينا أثناء تلك المدة عن الخراب والدمار والذعر الذي سببه سلاح طيراننا في صفوفهم ومنشآتهم ٠

استطاع الجنرال باتون في ٢٦ أن يتصل بقواتنا المحاصرةفيمنطقة باستون اذ شق طريقا ضيقا كعنق قنينة ٠ فشعر الالمان بما نعد لهم في تلك الناحية وقذفوا بقوات ضخمة أتوا بها من الشمال ومن المؤخرة أملا في أن يصفوا كل مالنا من قوات في باستون وحولها ٠ وتحولت المعركة الى ملاحم تشيب لهولها الاطفال ٠

رغبت أن اجتمع بالجنرال مونتغمري في تلك الاثناء ، ولما كان الطقس لا يسمح بالطيران رأيت أن أذهب الى بروكسل في القطار لان طرق السيارات غير مؤمنة من كثرة الثلوج ، ولكن الالمان قذفوا القطار الذي كنت أنوي السفر فيه في ٢٦ ، فسافرت بآخر في السابع والعشرين ٠ واعترى السفرة من المغالطات والاختلاطات ما كنا في غنى عنه ، وذلك بسببما انتشر من اشاعات بأنالالمان ارسلوا عددا من جواسيسهم وسفاكيهم ليغتالوا مونتغمري وبرادلي ويغتالوني أنا ٠ فاهتمت دائرة الامن العام عندنا بالخبر ووضعتني تحت

رقابة شديدة وحراسة أشد ، وخصوصا أثناء رحلتي الى بروكسل فكان القطار يعج بالبوليس العسكري وفي كل محطة فرقة منهم يتعرضون للبرد القارس لمجرد اشاعة لا أدري كيف ولدت وانتشرت ٠

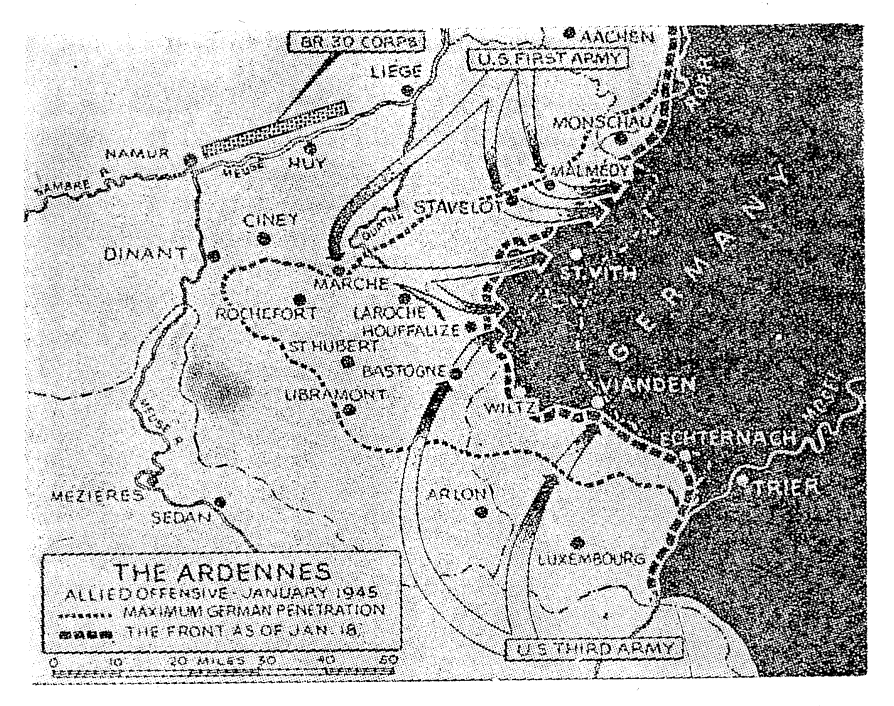
عبثا حاولت اقناع المسؤولين بأن من المحال أن تكون مثل هذه الاشاعة صحيحة لان الالمان ليسوا بغنى عن جنودهم في هذا الظرف الحرج ليرسلوهم في طلب رأسي أو رأس غيري من القادة ، لان ذلك وان نجح لن يفيدهم شيئا واستنكرت وجود الاعداد الكبيرة من البوليس الحربي في كل محطة وصلت اليها ٠ وذلك لان أمر رحلتي الى بروكسل بقي سرا ، فلا يحتمل أن يتوقع أي سفاك الماني أن يجدني في أي من المحطات في مثل هذا الطقس السيء ٠٠ فالافضل تقليل الحراسة وعدم حشد بوليسنا في المحطات لان ذلك يستلفت الانظار ، ويشير الى مرور شخصية مهمة ، فاذا صدق أن هنالك محاولة لاغتيالي والتخلص مني فهذه المظاهر تشجع متسللي العدو وجواسيسه على ملاحقة القطار لتنفيذ ما طلب منهم ، ولكن على من تقرأ مزاميرك ياداود ، فالحراسة حراسة وليكن ما يكون ٠

أخيرا اجتمعت بالجنرال مونتغمري حوالي ٢٨ ٠ فشرح لي مطولا عن آخر تطورات المعركة في جبهته ، وعما لديه من قوات احتياطية ٠ وأشار بأنه سيباشر هجومه المعاكس بقذف الفيلق الاميركي بقيادة الجنرال كولينز ويتخذ وجهته مدينة هوفاليز ٠

لم يكن لدينا أثناء الاجتماع ما يشير الى أن في نية الالمان التوقف عن هجماتهم في الشمال ٠ بل بالعكس فقد كان لدى مونتغمري كثير من المعلومات والدلائل التي تشير بأنهم سيحاولون القيام بهجوم ساحق آخر ٠ وقال أنه مستعد لان يحبطه بشدة ومن ثم يقوم بهجومه المعاكس لمطاردة العدو ٠ على أن البدء بهجومنا لا يتعين الا بحسب ما سيبديه العدو من نشاط وتحركات وعندما أشرت الى أن العدو قد لا يهاجم ، أجاب بأن الدلائل وطبيعة الاحوال تفرض عليه مواصلة الهجوم ، وعلى كل اذا توقف نكون في هذه الفترة قد قمنا بتجهيز وتنظيم جنودنا واتحنا لهم فرصة من الراحة قبل الشروع بالدور العظيم الذي ينتظرهم ٠

كان العدو يومئذ لا يزال بعيدا عن أي نقطة حساسة يصيبنا منها بخطر والخوف كان من تمكنه انزال قوات جديدة في المعركة وشق ثغرة ثانية في جبهتنا الشمالية ينطلق منها نحو البحر ويقطع مواصلات قواتنا الشماليـة كما فعل سنة ١٩٤٠ فاتفقنا على أن نقوي جبهتنا لنمنع عليه أي تقدم ٠٠ ونستعد للقيام بزحف عليه معاكس ، واذا لم يقم الالمان بهجومهم ، نكر نحن بدورنا عليهم نهار الاثنين الواقع في ٣ كانون الثاني ٠ ورجعت الى مركز قيادتي في ٢٩ كانون الاول ٠

أسلفنا أن الجنرال باتون نجح في الاتصال بقواتنا المعسكرة في منطقة باستون في ٢٦ كانون الاول فشكلت قواتنا هناك حربة خطرة في خاصرة العدو ٠ فلم يبق له للاتصال بين مقدمته في الغرب وحدوده في الشرق الا ممر يقع بين باستون جنوبا وستافيلو شمالا ، ولذلك راح يعبيء قوات كبيرة أتى




جبهة الاردن

هجوم الحلفاء ــ كانون الثاني ١٩٤٥

بها من الشمال ومن بلاده وجعل يركز علينا هجوما ساحقا ليصفي معسكراتنا في باستون • ولما كنا قد أعدنا تنظيم وتجهيز الفيلق الثامن بقيادة الجنرال مدلتون فقد دفعناه أيضا في معركة باستون التي تدور في طقس شديد البرودة تغطي ثلوجه الحقول والطرقات بطبقة كثيفة جعلت التحركات العسكرية بطيئة وصعبة • على كل لم يستطع العدو زحزحتنا من مراكزنا بعد مجهود شاق بدأه في ٢٦ كانون الاول وما انفك عنه حتى ٣ كانون الثاني •

بينما كانت معركة الاردن تبلغ الذروة جعل الالمان يقومون بنشاط في كل منطقة الالزاس في الجنوب ليقللوا ضغطنا عنهم في الشمال • وبما أننا أضعفنا جبهتنا هنا ، استوجب الامر مراقبتهم بحذر ودقة ، وامرت الجنرال دفرز بأن لا يسمح بتطويق أي من وحداتنا هنالك وله أفضل عند الضرورة أن ينسحب من أن يطوق • ولما درى الفرنسيون بهذا الامر تجدد خوفهم على ستراسبورغ ، وطلب الجنرال ديغول مقابلتي في ٣ كانون الثاني ، ولما أخبرته عن خطتي وافق على صحتها من الوجهة العسكرية ولكنها قال انها خاطئة من الوجهة المعنوية لان الشعب الفرنسي يتطلع الى مدينة ستراسبورغ منذ سنة ١٨٧٠ ، كرمز لعظمته ، فاذا سمحنا بسقوطها موقتا في أيدي الالمان نثير نقمتهم علينا وحنقهم ، وليس مستبعدا أن يثور الفرنسيون ويسببوا لنا كثيرا من المشاكل ، واضاف بأنه مضطر من أجل ذلك أن يسحب كل الجيش الفرنسي من أمكنته في الجبهة وينفرد بالامر من أجل الدفاع عن ستراسبورغ • فأفهمته عندئذ بأنه حر أن يفعل ما بدا له ونحن أحرار في أن نمنع عنه كل سلاح ومؤن ، وفوق ذلك ان الذنب في تعريض المدينة للخطر هو ذنب الفرنسيين انفسهم لانهم لو قضوا على جيب كولمار لما نشأت هذه الحالة •

أعدت النظر في الموقف فوجدت اننا نمون جميع خطوط جبهتنا بواسطة المواصلات التي تسير في الاراضي الفرنسية ، فأية خطوة تودي الى اثارة الفرنسيين علينا تؤدي الى اندحار في المعركة ، وعليه قبل أن ينصرف ديغول

أخبرته بأني سأصدر اوامري الى الجنرال دفرز بأن ينسحب اذا اضطر من الشمال ويركز قواته حول ستراسبورغ ليمنع العدو من الاستيلاء عليها ، فسري عنه وودعني منشرح الخاطر ٠

حدث ، صدفة ، ان المستر تشرشل كان في مركز قيادتي عندما جرى النقاش بيني وبين ديغول لكنه لم ينبس ببنت شفة ٠ وبعد أن انصرف الجنرال قال : « أعتقد أنك فعلت عين الحكمة والصواب في ما قررت » ٠

عندما كانت المعركة البرية في ذروتها أبدى الطيران الالماني نشاطا لم نألفه منذ وضعنا ارجلنا في فرنسا ، ووجه الى مطاراتنا ضربات مؤلمة عطل ودمر بها عددا كبيرا من طائراتنا في اوائل شهر كانون الثاني ، فردت عليه مقاتلاتنا بسرعة ، وتمكنت من تدمير نصف ما استعمل من طائرات ٠

في ٣ كانون الثاني قام رأس حربة الجيش الاميركي الاول المؤلف من الفيلق السابع بهجومه على الالمان من الشمال ، وهكذا تلاشى كل خوف من اندفاع آخر ، ومن تلك اللحظة أصبحت القضية متوقفة على الطقس ، فاذا صفا استطعنا انزال أكبر ضربة بالعدو ، وان تجهم ساعده على التواري والانسحاب ٠

جعل فكا كماشتنا يطبقان على العدو من الشمال والجنوب على أن يلتقيا في مدينة هوفاليز ٠ غير أن التقدم كان بطيئا بسبب ما أبداه العدو من مقاومة وبسبب رداءة الطقس وتراكم الثلوج ، وعندما تلاقت طلائعنا في المكان المعين في ١٦ كانون الثاني كانت معظم قوات العدو قد استطاعت الافلات بانسحابها شرقا ٠

كانت الخسائر فادحة من الجانبين في معركة الاردن ٠ وقدر خبراؤنا يومئذ بأن خسائر الالمان بلغت ١٢٠٫٠٠٠ مابين قتيل وجريح واسير ، وبعد أن انجلت الحقائق تبين أنها بلغت تسعين ألفا فقط ، كما خسر ستمئة دبابة

و ١٢٠٠ طائرة و ٦٠٠٠ عربة ، وبلغت خسائرنا ٧٧٫٠٠٠ ٨٠٠٠ منهم قتلى ، ٤٨٠٠٠ جرحى و ٢١٠٠٠ بين أسير ومفقود ، كما خسرنا ٧٣٣ دبابة .

بعد انتهاء معركة الاردن واجبار العدو على العودة من حيث أتى ، لاح لنا أنه قد أصبح في وضعية حرجة لما أصابه من خسائر في الرجال والمعـــدات وانحطاط المعنويات ، فقر قرارنا على أن نبادره بضربات متلاحقة لا تتيح له فرصة للاستجمام والراحة ، لاسيما وان الجيش الروسي بدأ هجومـــه الشتوي في ١٢ كانون الثاني وجعل يتقدم بسرعة ٠ فكلما اسرعنا بالزحف قطعنا عليه فرصة ارسال قوات جديدة ضدنا ، لان الخطر عليه من الشرق أعـــم وأعظم ٠

# الفصل السابع عشر

# اجتياز نهر الراين

في أثناء معركة الاردن كنا ندبر الخطة التي يجب أن نسير عليها لنتمكن من ضرب العدو والاجهاز عليه . واعتمدنا ثلاث مراحل لذلك ، اولاها القضاء على كل القوات الالمانية التي تقاتل غربي الراين وثانيتها اجتياز الراين واقامة رؤوس جسور كبرى لنا عبرة ، وثالثتها التغلغل في داخل المانيا والاجهاز عليها تماما .

وبما اننا بعد التغلغل في المانيا ، كنا سنلتقي في مكان او أكثر بالقوات الروسية الزاحفة من الشرق ، رأينا أن نتصل بالقيادة الروسية ونتفق معها على الخطة التي يجب أن نعمل بموجبها، نعم اننا كنا على اتصال دائم بالروس من قبل لنتعرف على نواياهم وخطط زحفهم ، لكن الآن بعد أن أصبح خط الاتصال قريبا بين الاثنين ، فقد صار من الضروري تبادل وجهات النظر والمعلومات والاهداف .

ارسلت في اوائل ١٩٤٥ ماريشال الجو تدر ، يصحبه الجنرال بول والجنرال بيتس الى موسكو بعد أخذ موافقة القيادة العليا المتحدة ، ليجري الترتيبات اللازمة مع القيادة الروسية على الخطط والاهداف ، وفوضته أن يطلعها على ما رسمناه من خطط لما تبقى من أشهر الشتاء والربيع على أن يزوده الروس بمخططاتهم .

وصلنا خبر من القيادة العليا المشتركة بأن الروس يعبئون قواتهم ومعداتهم ليقوموا بهجومهم الشتوي في اوائل سنة ١٩٤٥ ، لكن ما تكاثف في جبهتهم

على نهر الفستيولا في بولندا من غيوم وضباب جعلهم ان يتأخروا قليلا عن الموعد المضروب • وأخيرا بدأ الزحف المنتظر في ١٢ كانون الثاني وجعل يتقدم ويتطور بسرعة •

وصل تدر ومرافقوه موسكو عندما بدأ الهجوم الروسي ، واستقبلهم الجنراليسمو ستالين وسائر السلطات الروسية هنالك بأجمل مظاهر المودة والترحاب ، وتبادلو معهم المعلومات بكل دقة • وأكد الماريشال ستالين لوفدنا بأن الزحف الذي بدأه الروس سيستمر حتى لا يتيح أي فرصة للالمان لان ينقلوا شيئا من قواتهم في الشرق الى الجبهة الغربية •

حدث نتيجة لذلك ان القيادة العليا المتحدة خولتني السلطات اللازمة للاتصال والتفاهم مع الروس على المسائل العسكرية البحتة ، وفيما بعد قام المستر تشرشل ينتقد بشدة ما خولته من سلطات ، وما قمت به من ترتيبات واثبت بذلك الحقيقة الواضحة بأن الحملات العسكرية هي جزء لا يتجزأ من النشاط السياسي •

اصبح التفاهم والتعاون بين قوتين حليفتين ، زاحفتين الى وسط مشترك أكثر ضرورة مما في السابق حين كانت الحرب تقتصر على جبهة برية محدودة يلتحم فيها عدد قليل من الجيوش • لان المقاتلات والقاذفات الجوية المساندة للجيوش البرية تغير على مساحات واسعة من اراضي العدو لتدمر منشآته ومستودعاته وجسوره وما لديه من وحدات احتياطية • فاذا لم تتخذ الترتيبات بين قيادة الجيشين المتحالفين فقد ينشأ من الاخطاء ما تؤدي الى جعل طائرات الحليف تضرب معسكرات وخطوط الحليف الآخر •

لم تكن قضية التمييز بين صفوف المتحاربين أبدا سهلة • ففي حربنا الاهلية كان جيش الشمال يلبس البدلات العسكرية الزرقاء ، وجيش الجنوب البدلات الرمادية اللون ومع ذلك كثيرا ما جرى التحام بين صفوف قوة الشمال أو الجنوب ، لا لشيء سوى قلة التمييز بين الصديق والعدو • فكيف يكون الحال في حرب حديثة تحرص كل دولة أن تجهز جيشها باللباس الذي يشبه طبيعة ولون الارض التي يقاتل فيها • في هذه الحال يصبح اللباس

متشابها ٠ وان لم تكن القيادة متيقظة نشأت الحالات التي يضرب فيهـا الحليف حليفه والجيش نفسه ٠ واذا اشتركت الطائرات بالمعركة فـلا تستطيع أبدا أن تفرق بين العـدو والصديق ٠ فواجب القيادة أن تحـدد بالتدقيق الامكنة التي تستطيع الطائرات ان تدقها ٠ هذا بالاضافة الى أننا رغبنا في التفاهم مع الروس على الخطط المرسومة ليأتي العمل منسجما متكاملا في سبيل القضاء على العدو المشترك ٠

اصبحت غاراتنا على المانيا شديدة التأثير في انقاص انتاجها الحربي ، في اوائل سنة ١٩٤٥ ، كما أن زحفنا السريع الى حدود المانيا الغربية وضع في ايدينا الامكانيات بأن نقيم لمقاتلاتنا مطارات قريبة من المانيا نفسها ، تستطيع أن تحمي قاذفاتنا من الطائرات الالمانية اينما توجهت ٠ فقل بذلك الخطر على قاذفاتنا التي أصابت العدو بخسائر فادحة بكل ناحية من نواحي نشاطه العسكري والاقتصادي ، حتى أحاقت بـه الكارثة ٠ فنسفنا مستودعـات الزيت التي كانت منذ البداية هدفا لغاراتنا ٠ فأحدثنا أزمة وقود شديدة في المانيا حتى أوشكت آلات النقل فيها أن تتوقف وتعذر على القيادة أن تنقـل الجنود والمؤن من مكان الى مكان ، كما ان افتقار سلاح الطيران الالماني للوقود وضع حدا لتعليم طيارين جدد يعوضون بهم عما يفقدون ٠

وصلتنا المعلومات من عملائنا في شتاء تلك السنة بأن الالمان بدأوا ينتجون الطائرات النفاثة ٠ فاعتقد قادة الجو عندنا بأنه اذا استطاع العدو انتاج عدد كبير من هذه الطائرات ، امكنه أن ينزل بقاذفاتنا الخسائر الباهظة التي لا نستطيع التعويض عنها ٠ اما نحن في دورنا فقد قطعنا شوطا بعيدا في انتاج الطائرات النفاثة في أميركا وبريطانيا ، لكننا لن نستطيع استعمال عدد كبير منها قبل فصل الربيع ٠ ولذلك صممنا على أن نقوم بمحاولـة فعالة لنؤخر عملية انتاج هذا النوع من الطائرات في المانيا ، بقصف منشآتها في كل مكان حامت حوله الشبهات ، فأثمرت محاولتنا لانها منعت الالمان من استعمال الطائرات النفاثة باعداد تكفي لتغيير ما قد كتب ، فزاد يقيني بأن المصاعب التي تعانيها المانيا يجعل أمر قيامنا بهجوم عام سهلا لنكيل الضربة المميتة لالمانيا الهتلرية ٠

أدهشني قيام بعض القادة السياسيين والعسكريين البريطانيين بانتقاد خطتي ، فهناك فرق شاسع في الوضعية بين القيادة العليا والقيادة الحربية في ساحات القتال عند الاميركيين والبريطانيين • فالاسلوب الاميركي ينص على تعيين القائد وتزويده بالرجال والمعدات ليقوم بمهمة خاصة • وبعد ذلك لا يتدخل أحد في شأنه بل تترك له الحرية في أن يتصرف حسب الظروف • وذلك للاعتقاد بأن القائد المحلي يحيط بالظروف الفنية والاحوال الطارئة أكثر من القيادة العليا التي تكون على مسافة آلاف الاميال • فاذا أخفق يصار الى ابداله بقائد أكفأ ، بينما الاسلوب البريطاني ينص على أن للقيادة العليا الحق في التدخل في شؤون القائد المحلي واصدار التعليمات اليه يوما فيوما • قد يكون هذا الاسلوب قائما على اسس صحيحة غابت عني معرفتها بتاتا • لكني أعلم انني كنت أصاب بصدمة كلما رأيت السلطات البريطانية تحاول أن تتدخل في شؤوني وشؤون القادة البريطانيين في الجبهة •

حدث بعد أن رسمت خطة العمل لسنة ١٩٤٥ وعرضته على القيادة العليا المشتركة أن صديقي الفيلد مارشال بروك قدم احتجاجات غير رسمية عليها ولكنها جدية • وتركزت انتقاداته على أنني سمحت بموجبها بنشروتشتيت قواتنا أكثر من اللازم وقال بوجوب تجميد الجبهة والتزام خطة الدفاع لاتمكن من جمع قوة احتياطية كبيرة استطيع التغلغل بها في قلب المانيا •

اني أقر وأعترف بأن بعثرة القوات على مدى واسع جريمة كبرى لا يلتجيء اليها الا قائد بليد • لكن لكل حالة ظروفها الخاصة • ففي الحالة التي كانت تواجهنا في شهر كانون الثاني تمتع الالمان بميزة خاصة لوجود خط سيغفريد الحصين في حوزتهم • فاذا سمحنا لهم بالبقاء فيه استطاعوا حمايته بعدد قليل من الجنود • بينما يجمعون معظم قواتهم في نقطة معينة • فاذا قمنا بهجوم كبير على نقطة ضيقة استطاعوا أن يكروا علينا بها • ولما كنا لا نستطيع دفع أكثر من خمس وثلاثين فرقة في المعركة على جبهة ضيقة ، ففي امكان الالمان

أن يواجهونا بقوات أعظم من ذلك ويحبطوا خطتنا . وبناء على ذلك لم أجد أصوب من الزحف على جبهة عريضة لاتمكن من طرد العـــدو اولا من تلك الحصون ، فنضيع عليه تلك الميزة . وبعد ذلك نفعل ما تمليه علينا الظروف في سبيل النصر .

حاولت بكل مشقة أن أقنع الفيلد مارشال بروك بأن طردنا لجيش العدو من كل الاراضي الواقعة غربي الراين يضعنا في ميزات متساوية مع العدو . وعند ذلك نستطيع أن نقذف الى المعركة بخمس وسبعين فرقة كاملة العدد والعدد ، يحميها سلاح طيران متفوق كثيرا على طيران العدو . فيصعب عليه مواجهتنا . وتتضعضع قواه ، ويمنع عليه سلاح طيراننا التنقل من مكان الى مكان . ويقع بين أمرين لا ثالث لهما وهما اما التسليم او الفناء . وظهر انه لم يقتنع تماما ولذلك قال : « اني أتمنى عليك ان تضع القوات البريطانية في الوسط ليتسنى لها اللعب بأقوى قسط من المعركة » فأجبته مباشرة : « اني لست متشوقا ولا راغبا بقذف أميركيين الى وطيس المعركة ليقتلوا ، ولا أهوى التضحية بالجنود البريطانيين . ولما وضعت خطتي لم يدر في خلدي أن أعطي الفرصة لقائد أو أمة ما ان تجني الامجاد دون غيرها . وان كنت تعتقد بكسب المجد على حساب دم الشبان فاني أقول لك أنه لا يوجد مجـد يضاهي بقيمته ما يسفك من دماء لاجله ».

أخيرا لم يجد بروك بدا من أن تجري الامور على ما أهوى ، لكنه أبدى شكه في مقدرتنا على القضاء على القوات الالمانية المعسكرة غربي نهر الراين . ولما أثيرت مسألة تعيين قائد عام للقوات البرية ثانية ، رفضتها بتاتا ، لاعتقادي بأن الجهاز الذي أعددناه كفيل بأن يقضي على كل مقاومة المانية بأسرع الطرق .

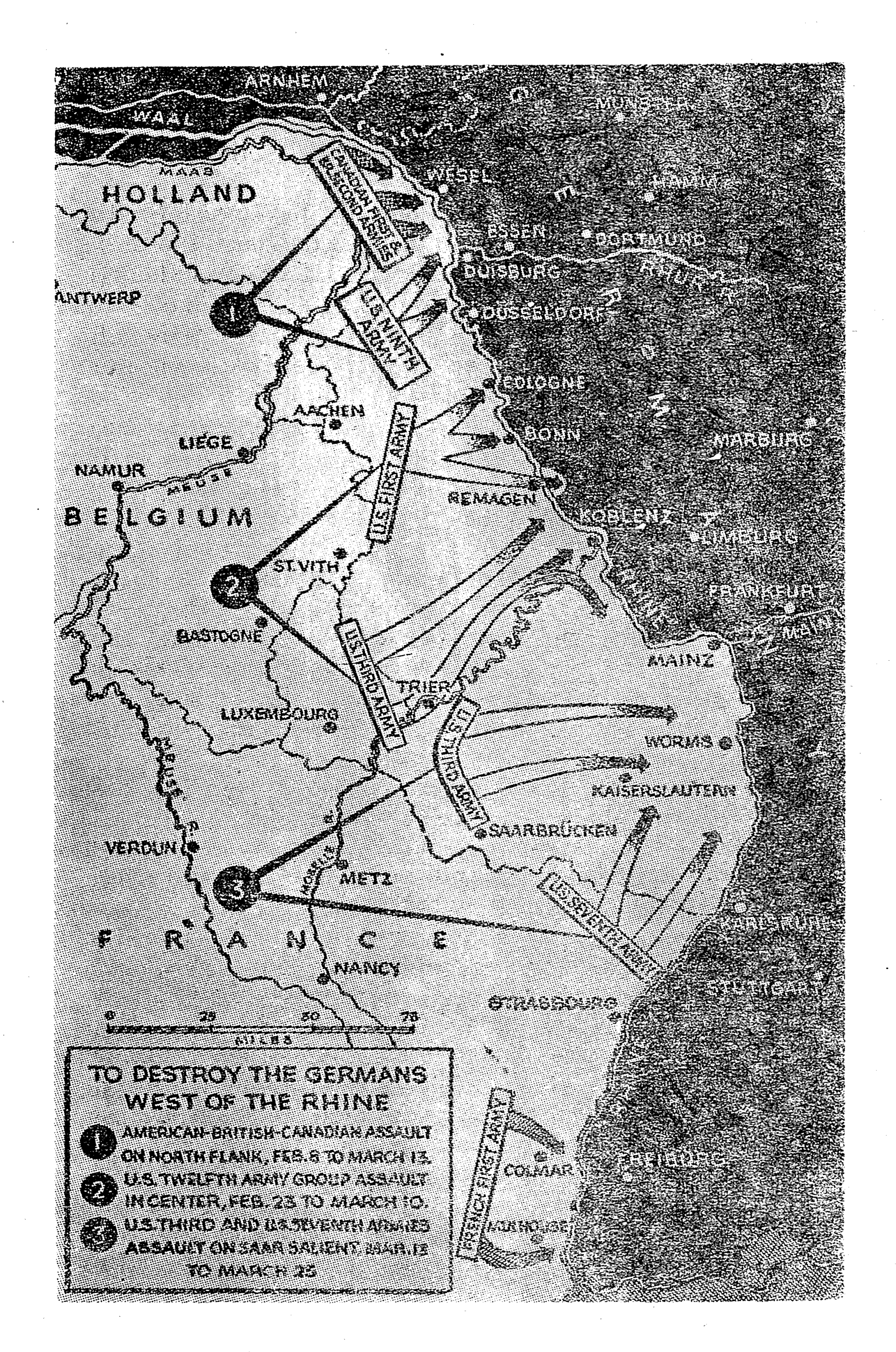
علمت في كانون الثاني ان الرئيس روزفلت والرئيس تشرشل قد صمما عـلى أن يجتمعا بالمارشال ستالين في يالطا . وبالطبع كان لابد من مرافقـة عدد كبير من الخبراء والمساعدين والمستشارين لكل من الرئيسين . وانفرد الجنرال مارشال بالمرور بأوروبا حيث اجتمعت به سرا في مدينة مرسيليا

في ٢٥ • فأخبرني عن صدى ما تحدثه تذمرات البريطانيين واحتجاجاتهم على عدم تعيين قائد بريطاني لينوب عني في قيادة الجنود البرية في واشنطن • فأطلعته على جلية الامر وشرحت له ما وضعت من خطط فأبدى موافقته الكلية •

من الامور التي اعرناها قسطا كبيرا من اهتمامنا قضية اجتياز نهر الراين • وقد وقع مهندسونا بأخطاء فنية في حساباتهم ، واتفقوا على انه لا يستطاع اقامة جسور عليه قبل شهر ايار • ولما توافرت هذه المعلومات من الخبراء في كل ناحية قنعت بنصيبي واكتفيت بأن اطهر كل ما تبقى بيد الالمان غربي الراين ، على أن نقوم ببناء الجسور لاجتيازه في شهر ايار • لكن لما بدأنا بتنفيذ الخطة التي رسمت جاء ما وقع من حوادث مكذبا لتقارير خبراء المهندسين • لاننا استطعنا اقامة الجسور واجتياز النهر قبل ايار بزمن طويل •

تأثر الجنرال مارشال بالخطة التي عرضتها عليه حتى اقترح علي ارسال الجنرال سميث مساعدي الشخصي الاول في القيادة الى مالطا حيث قرر عقد اجتماع بين الرئيس روزفلت وتشرشل وكبار مساعديهما ومستشاريهما العسكريين ، وذلك ليتمكن من عرض خطتي المقنعة على المؤتمرين ، وتبرع هو نفسه بأن يتبناها ويدافع عنها لتكسب موافقتهم • فسرني ان انزل عند رغبته لانه خير من يكفل قبولها والسير بموجبها •

كانت اعتراضات الفيلد مارشال بروك على خطتي مجرد اعتقاد لايستند الى حجج عملية • والبرهان على ذلك هو اننا لما استطعنا القضاء على القوات الالمانية غربي الراين ، وجاء هو ووقف الى جانبي على ضفاف النهر ليشاهد اجتياز جيشنا التاسع ، والحادي والعشرين على جسرين لم يستطع العدو نسفهما ، التفت الي وقال :« اشكر الله يا أيك لانك تشبثت بخطتك وسرت بموجبها • لقد كنت على حق في ما ذهبت اليه ، واني آسف لما اثرت من مخاوف شخصية اضافت عبئا جديدا على ما تتحمل من اعباء • أما الآن فقد غلب الالمان على أمرهم ولم يبق لهم الا ان يختاروا ساعة التسليم • اشكر الله ثانية على الصلابة التي دافعت بها عن خطك ».




القضاء على القوات الالمانية غربي الرين

اقتضى منهج القضاء على القوات الالمانية غربي الرين القيام بثلاث عمليات متتابعة ، اولاها قيام قواتنا في اقصي الشمال بهجوم ساحق على العدو ، واجتياز نهر الرين • ثانيها مهاجمة جيوش برادلي في الوسط ، وثالثها اشتراك قوات برادلي ودفرز في تطهير حوض السار •

حالما التقى الجيش الاول الزاحف من الشمال بالجيش الثالث الزاحف من الجنوب في هوفاليز في ١٦ كانون الثاني ، رجع مونتغمري الى الشمال ليهيء للعملية الاولى • ان خط سيغفريد يمتد غربي الرين من نقطة التقاء نهر الموز بنهر الرين في الشمال ، الى حوض السار جنوبا ، ولم يبق للالمان جنوبي السار الا قوات متفرقة في الالزاس ، وجيب كولماز الى الجنوب من ذلك •

بعد انتهاء معركة الاردن حصرت اهتمامي في جيب كولمار لأزيله من الوجود لشدة ما ازعجني • فقام الجيش الفرنسي الاول بمهاجمته في العشرين من الشهر ، ( ك ٢ ) ولما رأيت ان تقدمه بطيء امرت الجنرال دفرز بأن يدعم الفرنسيين بفيلق اميركي مؤلف من اربع فرق ، ففعل ، وجعل الفيلق الاميركي رأس حربة الهجوم فانهارت تحصينات الالمان سريعا ، ووقعت كولمار في ايدينا في ٣ شباط بعد ان تكبد العدو ٢٢٫٠٠٠ اصابة ، وخسارة فادحة في المعدات •

تبعا للخطة التي رسمناها في حملتنا ضد الالمان ، توجب على الجيش الكندي والجيش التاسع الاميركي التابع لقيادة مونتغمري ان يتحركا على ان يهاجم الاول في الشمال قرب نهر الموز الاسفل ويهاجم الثاني في منطقة نهر الرور متجها شمالا بشرق بعد ان يجتاز النهر • على امل ان تدفع هاتان الحركتان الالمان للتقهقر الى نهر الرين •

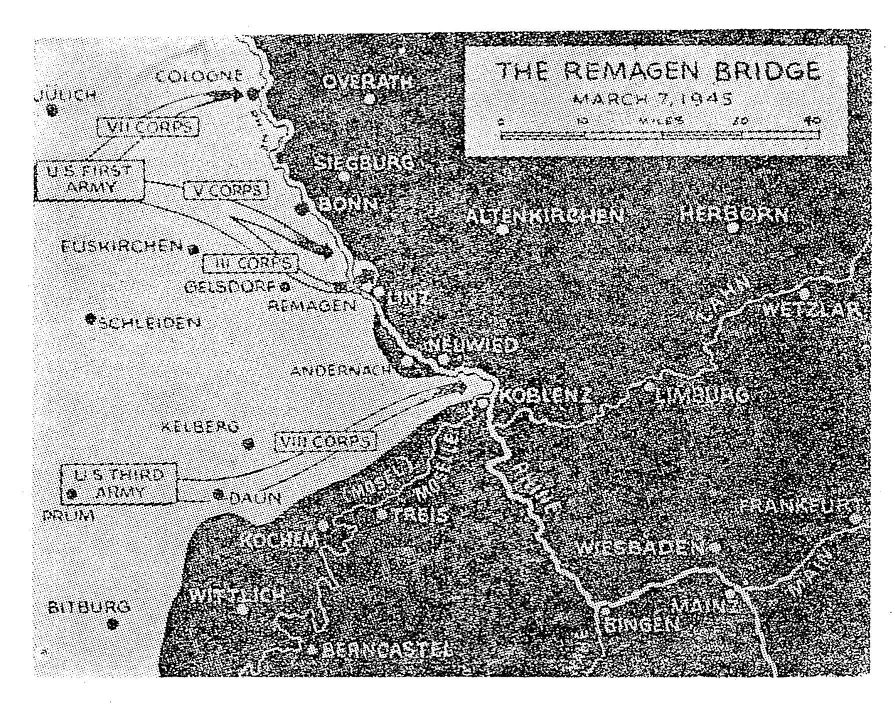
كان لا يزال للعدو في هذه الناحية جنود متمرسون في القتال مدربون على الحرب متمركزون في امكنة حصينة ، فلما رأى الجنرال برادلي ذلك امر الجنرال هودجيز بمهاجمة السدود التي تمنع الجيش التاسع من اجتياز نهر الرور ، فوجه الجنرال هودجيز الفيلق الخامس من الجيش

الاميركي الاول ليهاجم ويحتـل السدود في ٥ شباط ، وبعد نشوب قتال عنيف لمدة ستة ايام احتل الجيش الاول السدود ولكن الفيضان الـذي أحدثه الالمان في النهر اخر اجتيازنا له بضعة أيام ٠

عندما كـان الجنرال مونتغمري يهيئ لهجومه في الشمال رجاني أن آمر برادلي أن يوقف تحركات الجيش الاول والجيش الثالث لاستطيع مده بقوة فعالـة تمكنه من زحف سـريع ، فرفضت طلبه لاعتقادي بأن ضغط برادلي على الالمان في الاردن يضطرهم الى تخفيف قواتهم في الشمال ٠ ولمـا بدأ الجيش الكندي تحركاته في ٨ شباط على اسفل الموز وجد نفسه يقاتل في ارض موحلة يغوص الرجال فيها الى أوساطهم ولذلك كان التقدم بطيئا وعسيرا ،لاسيما ان مقاومة الالمان أخذت تشتد في تلك الناحية عندما سحبوا جزءا كبيرا من قواتهم المعسكرة على نهر الرور وجاءوا بها الى نهر الموز ، فسر الجنرال مونتغمري من هذه البادرة الالمانية ، لانها تسهل عـلى الجيش التاسع تقدمه في الرور ٠

قمت في هذه الاثناء بزيارة للجنرال سمبسن قائد الجيش التاسع ، فوجدت المعنويات ممتازة وكل شيء على اهبة الاستعداد ٠ اذا بدرت غلطة من الجنرال سمبسن كقائد لجيش في مدة الحرب الاوروبية فاني لم أدر بها ٠ فهو قائد يقظ ، ذكي الفؤاد ، ذو كفاءات متنوعة ، تجعله مبرزا في قيادة الرجال والفنون العسكرية ، وان كنت آسف لشيء فاني آسف لمـا اصابه من اعتلال في صحته اضطره الى أن ينسحب من الجندية بعد الحرب مباشرة قبل أن يضع النجمة الرابعة على كتفيه ٠ وتألف جيش سمبسن من ثلاثة فيالق ، الفيلق السادس عشر بقيادة الجنرال اندرسن ومركزه الميسرة والفيلق التاسع عشـر بقيادة الجنرال ماكلين ومركزه الميمنة ٠ والفيلق الثالث عشر بقيادة الجنرال الفان جليم ومركزه القلب ٠

بعد أن بدأ الجيش الكندي هجومه لم يفعل الجيش التاسع شيئا سوى مراقبة نهر الرور ٠ وفي ٢٣ شباط رأى سمبسن انمياه النهر قد انخفضت فأمر بالهجوم ، بعد أن مهد لذلك بقصف شديد من الطائرات والمدفعية ، فاجتاز جيشه النهر بنجاح وأخذ يزحف شرقا بسرعة ، ولاشك ان مما سهل




جسر راميجن أو جسر لودندورف ٧ آذار ١٩٤٥

عليه مهمته أن قسما كبيرا من قوات العدو التي كانت معسكرة في هـــذه الناحية قد انسحبت لتواجه الهجوم الكندي الذي وقع قبل اسبوعين في الشمال وفي أقل من اسبوع استطاع الجيش التاسع احتلال مدينة مونتشن كلادباخ وهي أول مدينة المانية كبرى وقعت في أيدينا ٠

بينما كنت أتجول في المدينة أنا والجنرال سمبسن شاهدت أول طائرة نفاثة في حياتي تطير على مستوى عال جدا ، ففتحت مدفعيتنا نيرانها عليهـا من كل جهة ، وبعد عدة ثوان أخذت بقايا القنابل المتفجرة في الجو تتساقط حولنا مما جعلني أن أضع الخوذة الفولاذية على رأسي لأول مرة منذ بدأت الحرب ، ولو لم أفعل لاضطررت الى الاختباء تحت سيارتي « الجيب » ومن حسن الحظ أن الطائرة رأت في هذا الاستقبال الحار ما جعلها تولي الادبار ٠

عندما أحس الالمان بعنف الهجوم الذي قام به الجيش التاسع أخـذوا يتقهقرون بسرعة ٠ ولم يطل الوقت حتى كانت الميسرة تشق طريقها نحـو الشمال الشرقي وتتصل بالجيش الكندي ، ويشكل الجيشان جبهة واحدة

متراصة تزحف وئيدا الى أن بلغت الضفة الغربية لنهر الرين · ولما بلغت قواتنا الرين أخذ مونتغمري يتهيأ لاجتيازه ، ولأسهل عليه مهمته أمرت الجيش التاسع الاميركي بأن يبقى تابعا لقيادته ·

لما بدأ سمبسن زحفه في ٢٣ شباط ، هب الجنرال برادلي في الوسط وقام بسلسلة هجمات سريعة وموفقة · ولما كان يتبع قيادة برادلي يومئذ الجيش الاميركي الاول في الميسرة بقيادة الجنرال هودجيز والجيش الاميركي الثالث بقيادة الجنرال باتون في الميمنة ، بدأت ميسرة الجيش الاول الهجوم لمؤازرة الجنرال سمبسن ، وذلك لنتمكن من زحزحة ميمنة الالمان في تلك الناحية ، لنقوم عليهم بهجوم جانبي من الشمال ثم بدأ كل الجيش الاول بالتحرك شرقا ، وانتقلت العدوى الى الجيش الثالث الى الجنوب فبدأ يتحرك أيضا نحو الشرق وهكذا بدت الجبهة كأنها قطعة واحدة في التحرك شرقا من مصب نهر الرين شمالا الى الموز جنوبا ·

استطاع الفيلق السابع ان يتقدم بسرعة ، وصادف في البدء مقاومة شديدة قرب قنال ارفت غربي مدينة كولون ، فتغلب عليها وواصل زحفه شرقا الى ضواحي كولون التي بلغها في ٥ آذار · وفي السابع تمكنا من احتلال كل المدينة وبلوغ نهر الرين ، ولما كان قد حدث ذلك قبل الوقت المضروب أصبح لدينا هنالك أربع فرق غير مشتركة بأي عمل ، فساعدنا ذلك على استغلال اشراكها في الجنوب كما سيلي ·

بينما كان الفيلق السابع يزحف الى كولون في الشمال بقيادة الجنرال كولينز ، أمر الجنرال هودجيز الفيلقين الثالث والخامس بالتحرك أيضا ، فوصل الفيلق الثالث نهر الرين عند مدينة راميجن في ٧ آذار ، وصادف هنا فرصة من أمجد الفرص التي يتمناها ويطمع بها كل قائد طموح ، لانه اذا عرف كيف يستفيد منها تمهد أمامه الطريق لعمليات أكبر وأوسع مدى في المستقبل · وهذه الفرصة السعيدة هي أن الفيلق الثالث وصل نهر الرين ووجد أن جسر لودندورف لا يزال قائما سليما ·

المعتقد أن الالمان كانوا قد أعدوا الامر لاتلاف كل الجسور القائمة على نهر الرين بعد انسحابهم بما فيها جسر لوندورف ولكن تقدم الاميركيين السريع في تلك المنطقة أصاب الجبهة الالمانية بالهرج والمرج وفوت على المسؤولين مهمة اتلاف الجسر · وعلى الاغلب انهم ابقوه الى أن تعبر عليه بعض القوات

الالمانية المتأخرة فأتت القوات الاميركية وسبقتها باحتلال الجسر وارسال بعض الوحدات لاجتيازه ٠

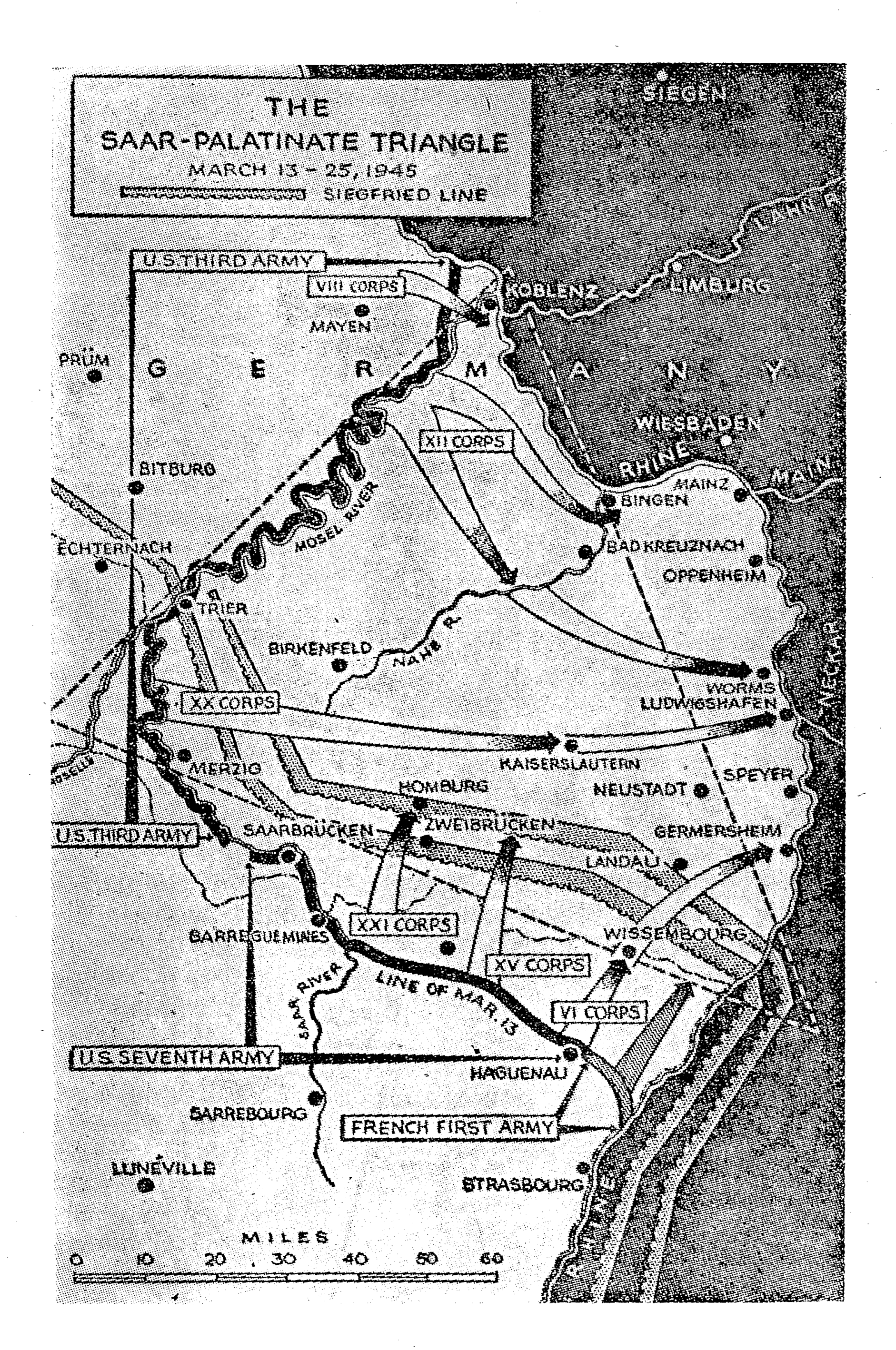
علم برادلي بوقوع الجسر في أيدي الاميركيين ، بينما كان يتحدث الى ضابط كبير من أركان حربي فباحثه فيما يجب أن يفعل ، أيكتفي بارسال قوة صغيرة الى الضفة الشرقية أم يأمر بارسال قوة كبيرة ؟ اذا أرسل قوة صغيرة فهنالك احتمال أن يركز الالمان عليها هجوما قويا ويبيدوها ، وان أرسل قوة كبيرة فقد يؤثر ذلك على قواتنا في غير قطاعات ويحدث تشويشا في ما رسم من خطط ٠ وأخيرا رأى أن يستشيرني ٠

كنت أتناول طعام الغداء في مركز قيادتي في مدينة ريمز مع بعض قواد فرق المظلات لما رن تلفون برادلي وأخبرني بما جرى ٠ ولم آكد أصدق أنه قد أصبح في حوزتنا جسر ثابت قائم على نهر الرين ٠ فصرخت بالتلفون : « كم لديك من القوات التي تستطيع ارسالها الى الجانب الشرقي من النهر » فأجاب : « أربع فرق ٠ ولكنني ترددت في ارسالها خوفا من أن أحدث تشويشا في خطتك » ٠

وأجبت ثانية : « حسننا يابرادلي ، ان لنا في كولون أربع فرق عاطلة عن أي عمل ، فارسل الآن الاربع او الخمس فرق التي في حوزتك الى ضفةالنهر الشرقية ، على أن تستدعي فرق كولون لتحل محلها » ٠ فجاء صوته يرن رنين الفرح : « هذا بالتمام ما أردت فعله لولا خوفي من معاكسة خطتك » ٠

كانت تلك من أسعد اللحظات التي مرت بي في أثناء الحرب ، كيف لا وقد وقع في يدنا ذلك الجسر الثابت الذي يمكننا من اجتياز النهر الذي كنا نحسبه عقبة كأداء في طريقنا ، وكيف لا أسر وأتفاءل وأنا أرى ما كان حلما قد أصبح حقيقة مجسمة ؟

ما أقبل التاسع من شهر آذار حتى كان لنا رأس جسر على الضفة الشرقية لنهر الرين يبلغ عمقه أكثر من ثلاثة أميال ، ولذلك لم يصح العدو من عامل المفاجأة ويبدأ بهجماته المعاكسة للقضاء على رأس جسرنا الا بعدما أصبحت قواتنا هنالك قوية يصعب سحقها ٠




مثلث السار ــ بلاتينت
من ١٣ ــ ٢٥ آذار ١٩٤٥

ما فتيء العدو يقوم بمحاولاته لتدمير الجسر منذ أول وقوعه في أيدينا ، وقد عبأ لذلك مدفعية بعيدة المدى وطائرات ركزت مجهودها على اسقاطه في النهر ولكنه لحسن الحظ لم يتعرض لاي اصابة مباشرة فاتسع أمامنا المجال لارسال المزيد من قواتنا ومعداتنا عليه • على أننا لم نكتف بجسر لودندورف وحده ، بل أقمنا لانفسنا عدة جسور اصطناعية عائمة تتحمل أثقال مدفعيتنا الكبرى ودباباتنا •

بلغ من اتقان مهندسينا لبناء مثل هذه الجسور العائمة أن الجنرال كولنز قائد الفيلق السابع دعا رئيس مهندسيه الزعيم ميسن يونغ وقال : « يايونغ اني أعلم أنك تستطيع اقامة جسر على نهر الرين بظرف اثنتي عشرة ساعة ، فأية جائزة تريد أخذها مني ان استطعت انهاء العمل بوقت أقل من ذلك ؟ » فكر يونغ قليلا ثم قال : « شخصيا لا أريد شيئا سوى صندوقين من الشمبانيا للورشة التي تعمل معي » • قال كولنز : حسنا ! « صندوقان وحبة مسك » اذا بنيت الجسر في أقل من اثنتي عشرة ساعة •

تم الجسر الذي طوله ٣٣٠ ياردة على نهر الرين بظرف عشر ساعات واحدى عشرة دقيقة • فدفع كولنز الثمن المتفق عليه ، وبدأت النقليات تسير عبر النهر •

أضعفت مجهودات الالمان جسر لودندورف ، ورغم محاولات المهندسين الاميركيين لاصلاحه ، سقط وسطه في النهر في السابع عشر من شهر آذار وحمل معه عددا من أمهر مهندسينا • وعبثا حاولنا انتشالهم من النهر المتجمد

بدأ الجيش الثالث زحفه شرقا الى الجنوب من زحف الجيش الاول ليطهر جميع الاراضي التي يحتلها الالمان غربي الرين • فاستطاع الفيلق الثامن الذي اتجه شمالا بشرق أن يخترق مقاومة الالمان ويصل الرين في ٩ آذار حيث اتصل بالجيش الاول • وفي نفس الوقت قام الفيلق الثاني عشر بهجوم آخر ، ووصل الرين في العاشر من الشهر ، بعد أن غنم معدات المانية كثيرة وحاصر عدة وحدات المانية • واتجهت الفيالق السادس والخامس عشر والواحد والعشرون من المنطقة الواقعة الى الشمال والشمال الغربي من مدينة ستراسبورغ شرقا ، وطردت الالمان من جميع الاراضي الواقعة غربي الرين • وسقط حوض السار في أيدينا •

بعد أن اشترك كل الجيش الثالث في الزحف ، انتقلت الحركة جنوبا وشملت الجيش السابع • بدأ الفيلق الثاني عشر هجومه من أسفل الرين متجها نحو الجنوب الشرقي ، وبعد أن قطع الموزيل في ١٤ من الشهر واصل زحفه دون أن يلاقي مقاومة تذكر • فجاءت حركته مباغتة للالمان ، الذين كانوا ينتظرون أن يزحف هذا الفيلق الى الشمال الشرقي • فتهيأوا لصده هنالك • لكن لما اتجه نحو الجنوب الشرقي كانت طريقه مفتوحة فتغلغل في قلب دفاع وادي السار ، وصدع بذلك مراكز العدو الدفاعية • وعندما بدأت سائر القطاعات الاميركية تضغط على الالمان الى الغرب من ذلك ، وجد هؤلاء أنفسهم بين قوتين أميركيتين ، الفيلق الثاني عشر في الشرق ، وباقي الفيالق في الغرب والجنوب والشمال • فانقطع خط مواصلات العدو • ودبت الفوضى بين الجنود الالمان حتى أن الجنرال باتون حينما وصل نحو نهر الرين لم يتوقف ، بل أمر الفرقة الخامسة باجتياز النهر • فنجحت في الثالث والعشرين من الشهر دون أن تمنى بخسائر تذكر • وفي الخامس والعشرين انهارت كل مقاومة المانية الى الغرب من الرين •

جرت كل تلك العمليات السريعة بالتعاون بين قوات الجو وقوات البر ، حين راحت طائراتنا تهاجم أهداف العدو ، وتشل حركة تنقلاته ، وتدمر مغداته الحيوية ، ومخازن تموينه • وقام سلاح الجو الاميركي يوم عيدمولد وشنطن بعملية لم يسبق لها مثيل من حيث الاتساع ، وأنزل الاضرار بأكثر من عشرة آلاف نقطة من المانيا ، بقصد تدمير جهاز المواصلات في داخل المانيا على أن يكون الدمار مركزا وشاملا حتى يصعب اصلاحه في مدة قصيرة • وقد اشتركت تسعة آلاف طائرة في الهجوم أتت من انكلترا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولندا ، وقصفت كل نقطة حساسة • ولم تستطع القوات الالمانية الجوية أن تبدي مقاومة تذكر لعدة أسباب ، أولها أن الغارة كانت واسعة جدا يصعب حصرها ، ثانيها أن زيت الوقود عند الالمان أصبح قليلا ، ثالثها أنها لم تجرؤ على مواجهة مقاتلاتنا وقلاعنا ، فتعززت بذلك الفكرة بأن تدمير آلة الحرب الالمانية قد أصبح وشيكا •

سارت العمليات الحربية طبقا للخطط المرسومة ، ومما سهل علينا المهمة في ذلك ، أن كل انتصار أحرزناه زاد جنودنا ثقة بأنفسهم ، بينما زعزع ثقة الالمان بأنفسهم • وكلما أسرعت قواتنا في الزحف ، أسرعت قوات الالمان بالفرار • نعم ان استيلاءنا على جسر لدندورف عزز من مركزنا ، لكنه لم يغير ماقد كتب من قبل وهو أن نهاية الالمان قد قربت • وبعد شهر من العمليات

الحربية استولينا على عدد كبير من الالمان اذ بلغ الاسرى عشرة آلاف جنـدي في كل يوم ، وذلك يعني ان العدو خسر نحوا من عشرين فرقة في شهر واحد ما عدا من سقط قتيلا او جريحا ٠ وما عدا ما عاناه من خسارة في المـؤن والمعدات وتدمير مواصلات ومصانع ٠

بلغ من اتقان جهاز مواصلاتنا وادارتنا أن مكننا من تسهيل نقل الاعداد الكبيرة الكبيرة من الاسرى دون أن نعطل الحركات العسكرية ٠ ولو قابلنا بين حالتنا في تونس وحالتنا في الالزاس واللورين لرأينا التقدم الذي أحرزناه في هاتين الناحيتين ٠ فعندما استولينا في تونس على ربع مليون مقاتل من جنود المحور تضايقت الى درجة توجهت فيها الى بعض معاوني بهذا السؤال : « لماذا لم يذكر أحد من مؤلفينا العسكريين كيف يجب أن نتصرف اذا ما وقع في أيدينا ربع مليون أسير من جنود الاعداء اذا كانت الطرق معطلة لا تساعد كثيرا على اطعامهم او نقلهم بسرعة »٠

أصبح لنا في الرابع والعشرين من شهر آذار ثلاثة فيالق على ضفة نهر الرين الشرقية في منطقة راميجن على قدم الاهبة والاستعداد لتضرب في أية جهة اذا ما صدرت الاوامر ٠ كما أصبح لنا رأس جسر آخر الى الجنوب من ذلك حيث انهارت قوات العدو ، وبتنا قادرين على أن نقيم رؤوس جسـور بقدر ما نريد في تلك النواحي ٠

يقع الى الشمال من رأس جسرنا في منطقة راميجن نهر صغير يجري من الشرق الى الغرب يدعى نهر سيغ ، يفصل واديه قواتنا عن منطقة وادي الرور تلك المنطقة الصناعية التي تمون القوات الالمانية جميعها في حربها ضدنا وضد الروس ٠ ولما تحسبت القيادة الالمانية من قيامنا بهجوم على الرور أخذت تجمع كل مقاتل وترسله للدفاع عن وادي نهر السيغ ٠

لما وجد هتلر نفسه في تلك الوضعية المضعضعة التجأ كعادته الى احداث تغييرات بين القواد ٠ فعزل الجنرال فون رونشتات الذي لم يشترك في أيـة عملية حربية بعد ذلك ٠ وحل فون كسلرنغ مكانه ٠ والمرشال فون رونشتات هو في نظرنا أقدر القادة الالمان ، كان القائد الاعلى للقوات الالمانية في الغرب عندما نزلت جيوشنا في فرنسا في ٦ حزيران ٠ ولما عجز عن قذفنا الى البحر حسب ما أمر هتلر ، أعفي من منصبه ، ثم سلم القيادة ثانية ، لما عجز خلفه فون كلوغ عن ايقاف زحفنا ٠ ولكن اذا تضعضعت الدولة في الداخل فـان تغيير القواد في الجبهات لا يجدي نفعا ٠

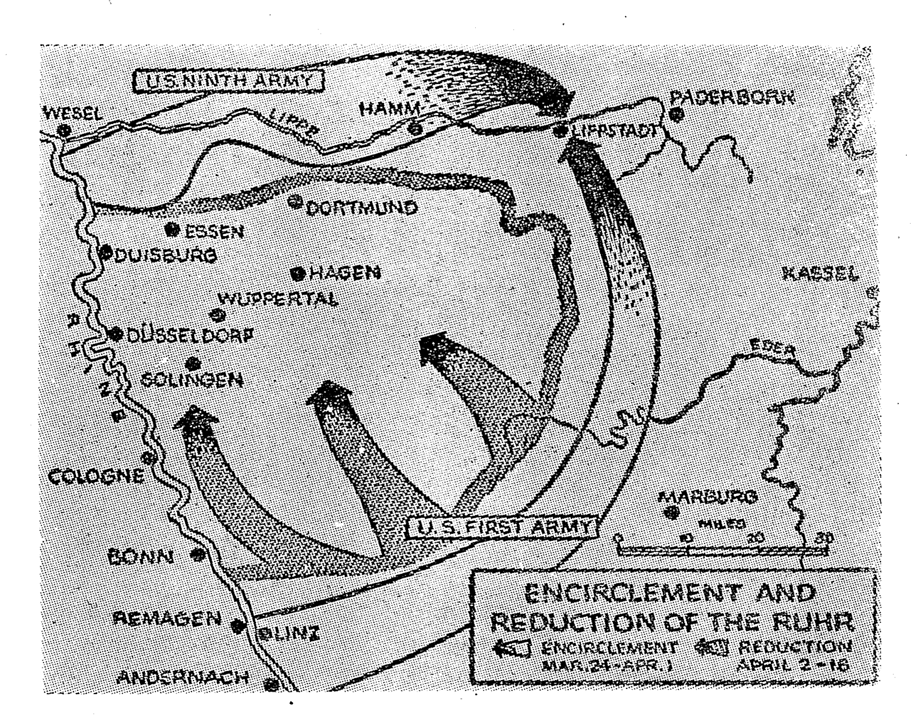
# الفصل الثامن عشر

# احتلال المانيـــــا

ان الأهمية الصناعية التي كان الالمان يعلقونها على حوض الرور قد بدأت تفقد مكانتها قبل أن تزحف قواتنا عليها وتهددها بالتطويق · وذلك ليس لان طائراتنا قد أغارت على تلك المصانـع مرارا وتكرارا ، وحدت من قـوة انتاجها ، بل لان طائراتنا قامت في شهر شباط من سنة ١٩٤٥ بغارات مركزة على مواصلات الرور بسائر الاجزاء الالمانية · عرفنا على أثرها أن النقليات قد أصبحت معوقة بين الرور وبين ما تبقى لالمانيا من قوات ، نتيجة لذلك القصف · فلاح لنا أن الالمان سيعمدون الى نقل القوات المدافعـة عن ذلك الحوض لتقاوم زحفنا في المناطق الاخرى · ولكن القيادة الالمانية تشبثت بما سبق ووضعت من خطط ، وأبقت قوات الرور في مراكزها رغم ما كنا نقوم به من محاولات لتطويق المنطقة بكاملها ·

قامت قوات برادلي في الجنوب ، وقوات مونتغمري في الشمال بزحفهـــا للالتقاء في منطقة مدينة كاسل ، ولكن قوات الجيش التاسع الاميركي صادفت مقاومة عنيفة فتباطأ تقدمها ، بينما لم تصادف قوات برادلي الزاحفـة من الجنوب مقاومة تذكر ، فتم الاتصال بين الجيشين في مدينـة ليبشتادت ، وهكذا عزلت جيوشنا منطقة الرور عن المانيا في أوائل شهر نيسان ·

عانى الالمان سلسلة متلاحقة من الانكسارات ، بدأت بفشل هجوم الاردن وما زال الحلفاء ينزلون بهم الخسارة تلو الخسارة ، والاندحار تلو الاندحار وأصبحنا نتساءل لماذا يواصل هتلر الحرب ولا مجال لذرة من الامل في النجاح ، لان الزحف من الشرق ومن الغرب بقوات ضخمة يتطور بسرعة ،




تطويق واخضاع منطقة الرور
التطويق ٢٤ آذار الى ١ نيسان
الاخضاع من ٢ ـ ١٨ نيسان

وقد طارت من يده كل المناطق الصناعية من سيليزيا في الشرق الى الرور والسار في الغرب • وما تبقى له من مصانع لا يستطيع تموين الجيوش مدة طويلة ، هذا بالاضافة الى أن الطرق في المانيا قد باتت مدمرة ، والمواصلات معطلة • ولا نعلم اذا بقي من وسيلة لدى القيادة الالمانية لايصال أوامرها الى القطاعات • واذا بقيت بعض الوحـدات الالمانية مصممة على الحرب والمقاومة فعلى ما تعول لتتفادى الكارثة ؟ •

وجهت في ٣١ آذار نداء الى الجنود الالمان ، والى الشعب أيضا أن يلقـوا السلاح وينشطوا للعمل السلمي ، وأوضحت لهم عدوى الجدوى من العناد والمقاومة اللذين يزيدان في ثقل الكارثة عليهم ، ولم يكن قصدي من ذلك الا وضع حد لهذه المجزرة البشرية الرهيبة • لكن لسوء الحظ كانت قبضـة هتلر لا تزال قوية ، فذهب ندائي أدراج الرياح •

حدث في أثناء زحف الجيش الاول ان انعزل ١٥٠٠٠ ألماني في جبال هارتس فقاوم هؤلاء بعناد وحموا ساحتهم الى الحادي والعشرين من شهر نيسان •

وفي الشمال استطاع الجيش التاسع بقيادة الجنرال سمبسون أن يواصل زحفه ويجتاز نهر الفيزر في السادس من نيسان • واندفع من هنالك شرقا الى نهر الالب ، فوصل مدينة ماغدبرغ في ١١ ، وفي اليوم التالي قامت الفرقة المدرعة الثانية باجتياز الالب واندفعت شرقا ثم قامت فرقة أخرى باجتياز النهر ، ولكن الجيش الالماني تمكن من نسف الجسور واجبار هاتين الفرقتين على الرجوع الى الضفة الغربية • ولكن الفرقة ٨٣ اجتازت النهر في ١٤ من الشهر واستقرت على الضفة الشرقية •

عندما وصلت قواتنا نهر الالب شمالي برلين بدأ الجيش الروسي يزحف من جديد على نهر الاودر غربا في جبهة ينوف طولها عن المئتي ميل ، وجعل الهجوم الاحمر يتقدم بسرعة في كل مكان ، وراحت ميمنته تهدف الوصول الى قاعدة شبه الجزيرة التي تقوم عليها بلاد الدانمارك ، بينما اتجه قلب الهجوم الاحمر نحو برلين ، استهدفت ميسرته منطقة درسدن • وفي ٢٥ من نيسان استطاعت طلائع فيلقنا الخامس أن تصافح طلائع الجيش الروسي على نهر الالب بقرب مدينة تورغاو الى الجنوب من برلين فأحرز هذا الفيلق نصرا آخر لانه من وحداتنا الاولى التي وطئت الارض الاوروبية ، وحافظ على سيره دائما في الطليعة الى أن التقى بالجيش الروسي ، وراح يضيق الخناق على هتلر • وكلما اقتربنا من الجيش الروسي أصبحت مهمة القيادة صعبة ، خوفا من أن تبطش وحداتنا ببعضها عوضا من أن تبطش بالالمان •

كانت مصيبتنا في اللغة ولم ينفع معه التفاهم ، لا بواسطة الراديو ولا اللاسلكي • فبقي الحل الوحيد تعيين الوقت والامكنة التي يستطيع أن يقوم فيها كل فريق بنشاطه ، لا سيما انه بدأ يحدث بعض الاشتباكات الجوية بين طائراتنا وطائرات الروس منذ أوائل نيسان ، نجم عنها نتائج سيئة • حاولنا أن نتفق على انشاء جهاز من الاشارات المعينة لتكون واسطة التفاهم بين الطيارين • ولم ينجح هذا الا بعد العشرين من نيسان • وعلى كل أصدرت القيادتان أوامرها بالحد من النشاط الجوي الا في الامكنة التي لا تزال في قبضة الالمان ، وبذلك تفادينا كثيرا من الحوادث وخيمة العاقبة ، كما اتفقنا مع الروس على أنه عندما تلتقي وحداتنا البرية ببعضها يستطيع القواد المحليون أن يضعوا الترتيبات المانعة لاي احتكاك بين الفريقين ولهذا جعلنا حدا جغرافيا ظاهرا يكون فاصلا بين قوتينا • ويسير هذا الخط في محاذاة

نهري الالب والمولد في الوسط ، وبعد أن تم الاتفاق على المناطق التي يحتلها كل فريق بات من السهل أن تتراجع الجيوش الى الامكنة المعينة لهـــا اذا اقتضت الضرورة الحربية اجتياز تلك الحدود ٠

عندما كان الزحف في الوسط على أشده ، كانت مجموعــة جيوشنا في الشمال وفي الجنوب تقوم بعمليات باهرة ٠ فتقدمت قوات مونتغمري شرقا واحتلت مدينتي برمن وهامبورغ ، واندفعت وحدة الى ابعد من ذلك حتى وصلت نهر الالب لتغطي جنــاح الجنرال برادلي الايسر ٠ أسندت مهمة تطهير جميع الاراضي الهولندية الى الجيش الكندي ، بينما زحف الجيش الانكليزي شرقا ، فوصل نهر الفيزر في نيسان ، وفي ١٩ وصل الالب ، وقد أبدى الالمان مقاومة شديدة قرب مدينة برمن ، لكن تلــك المقاومة انشلت في ظرف اسبوع وسقطت المدينة في أيدي البريطانيين ٠

بعد أن استقرت قوات برادلي على نهر الالب ، لــم يبق أمام الحلفاء الا الدور الاخير من المسرحية الدامية ، لان قوات العدو انشطرت الى شطرين، شطر في الشمال وآخر في الجنوب ، وانحطت معنويات الجندي الالماني ، وراح يفضل الاستسلام على القتال ، الا فيما ندر ، ولذلك تمكنا من أسر أكثر من مليون جندي الماني في الثلاثة أسابيع الاولى من شهر نيسان ٠

عرفنا ان الحكومة الالمانية بدأت تتهيأ للانسحاب من برلين قبـــل أن نتغلغل في داخل المانيا ٠ وعرفنا ان الادارة الحكومية اعدت مكاتب لها في الجنوب في منطقة برشغادن ولـــكن عندما زحف جيش الجنرال برادلي بسرعة الى اواسط المانيا ، قطع عــلى الحكومة الالمانية طريق انسحابها ، فأقفل الباب في وجه هتلر الذي عزم ان يثبت في برلين الى النهاية ، و لــم يبق أمامنا من خوف الا في امكانية انسحاب بعض الوحدات من متعصبي النازية الى المناطق الجبلية والتحصن فيها الى أمد طويل ٠ فصممنا عــلى احتلال الطريق المؤدية الى الامكنة المنيعة في طبيعتها في الجنوب ،كما صممنا على احتلال مدينة لوبك لنلقي القبض عـلى ما تبقى لالمانيا من غواصات في قواعدها ، حتى لاتستطيع القوات الالمانية التي لا تزال في الدانمرك الاتكال على الغواصات ومواصلة القتال ٠ ولما كانت المساحات التي احتلتها الفرق

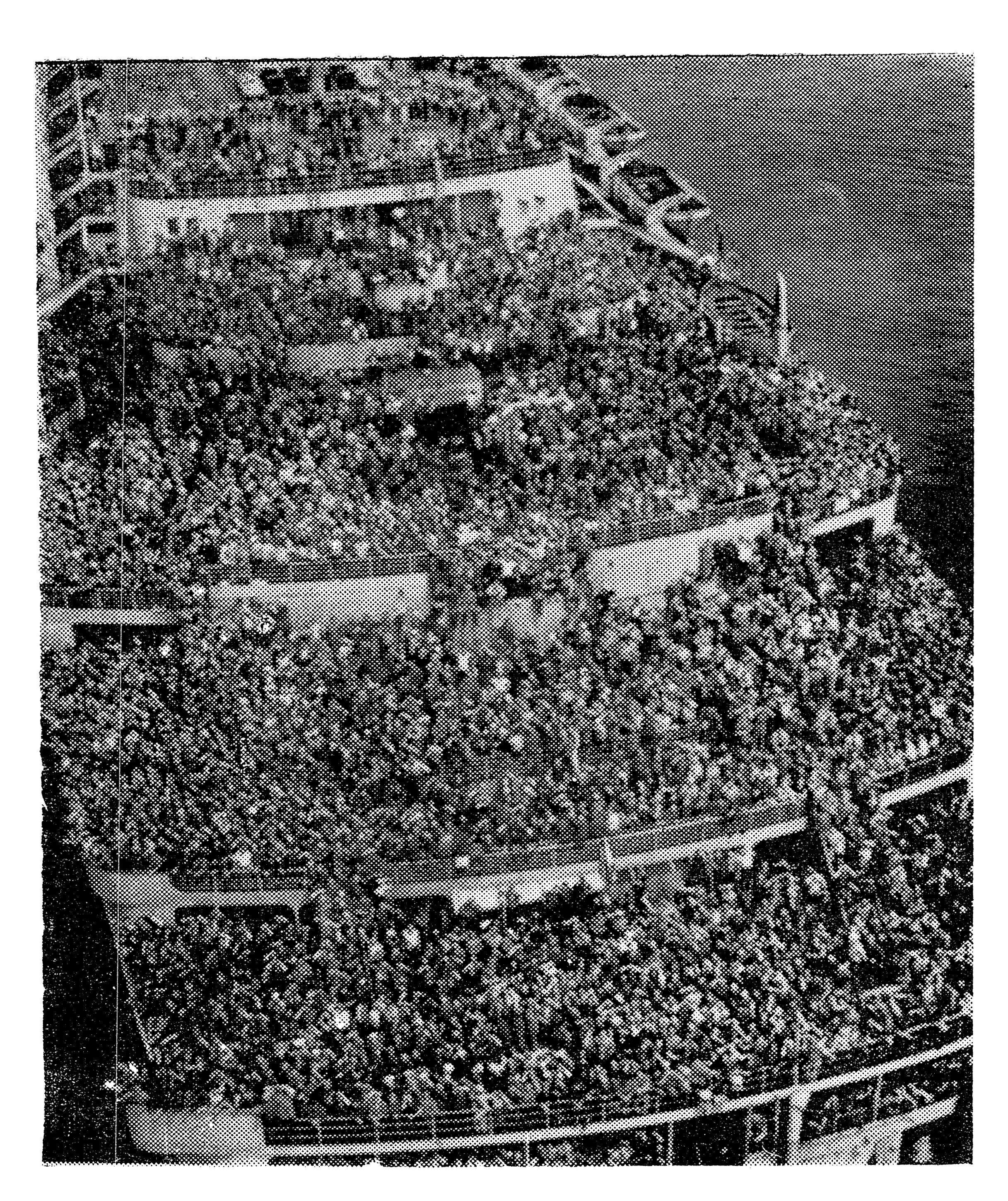
السبع عشرة التابعة لقيادة مونتغمري واسعة جدا ، دعمته بوضع فيلق قوات الجو الثامن عشر بقيادة الجنرال ريدجوي ، على انه اذا ابدى الالمان في الدانمرك مقاومة عنيدة ، نمده بقوات أكثر ٠

عندما استسلمت مدينة برمن الى قـــوات مونتغمري في ٢٦ نيسان ، انهارت كل مقاومة في طريقه ٠ فنقل الجزء الاعظم من قواته الى عبر الالب في ٢٩ منه ٠ وفي أول أيار قامت الفرقة المدرعة البريطانية الثانية عشرة بزحف موفق وبعد أن اخترقت مقاطعتي شلزويك هولشتين دخلت مرفأ لوبيك على بحر البلطيق في ٢ منه ، فحالت بذلك دون أي اتصال للقوات الالمانيـــة في الدانمارك وسائر القوات الاخرى ٠ وفي الثالث منه التقت القوات العاملة تحت قيادة مونتغمري بالقوات الروسية ٠

عندما كانت برلين كتلة من اللهيب وميمنة الجيش الروسي تطبق من الشرق بقوة أخذ القوات الالمانية تفر مذعورة وتستسلم بكثرة الى الجيشين الاميركي والانكليزي ٠ فجعلنا نلتقطهم بالآلاف يوميا ٠

وفي هولندا قام الجيش الكندي بمهمته خير قيام ونظف المنطقة مـــن فلول الالمان ، لكنه لم يشأ الرجوع غربا لاجبار الجيش الالماني الحادي والعشرين المعسكر في الزاوية الغربية من البلاد على الاستسلام ٠ ولمـــا كانت قد وصلتني الاخبار بأن الحالة فيهولندا آخذة بالانهيار وبأن الجوع قد سيطر على السكان ، لم أشأ أن أزيد في الكارثة وأفتح ساحة حرب في البلاد ، ولذلك وجهت انذارا الى الجنرال بلاسكوتز قائد الجيش الالماني هنالك اطلب اليه أن يوقف كل نشاط حربي ، وأن يخلد الى السكينة رفقا بالشعب الهولندي ، فمهما كانت البادرة التي يلعبها في هولنـــدا فانها لاتستطيع أن تنجي المانيا من المصير المحتوم ٠

عرض زالس انكرت المندوب السامي الالمـاني في هولنـــدا هدنـــة لحـــل وسط ، على أن لا يزحف الحلفاء لاحتلال الزاوية الغربية ، ومقابل ذلـــك يتعهد الالمان بعدم دك السدود وبالتعاون مع الحلفاء على انعاش الهولنديين بالمؤن والكساء ٠ فأرسلت مساعدي الجنرال سمث لمقابلة زالس انكرت والاتفاق معه على طريقة توزيع المؤن على الهولنديين ٠ فبدأت الامدادات تصل بكميات كبرى بعد أن كانت تصل بالمظلات على دفعات صغيرة ٠ وفي نفس الوقت ارسلت انذار الى القيادة الالمانيـــة هنالـــك بأن أي تلاعب



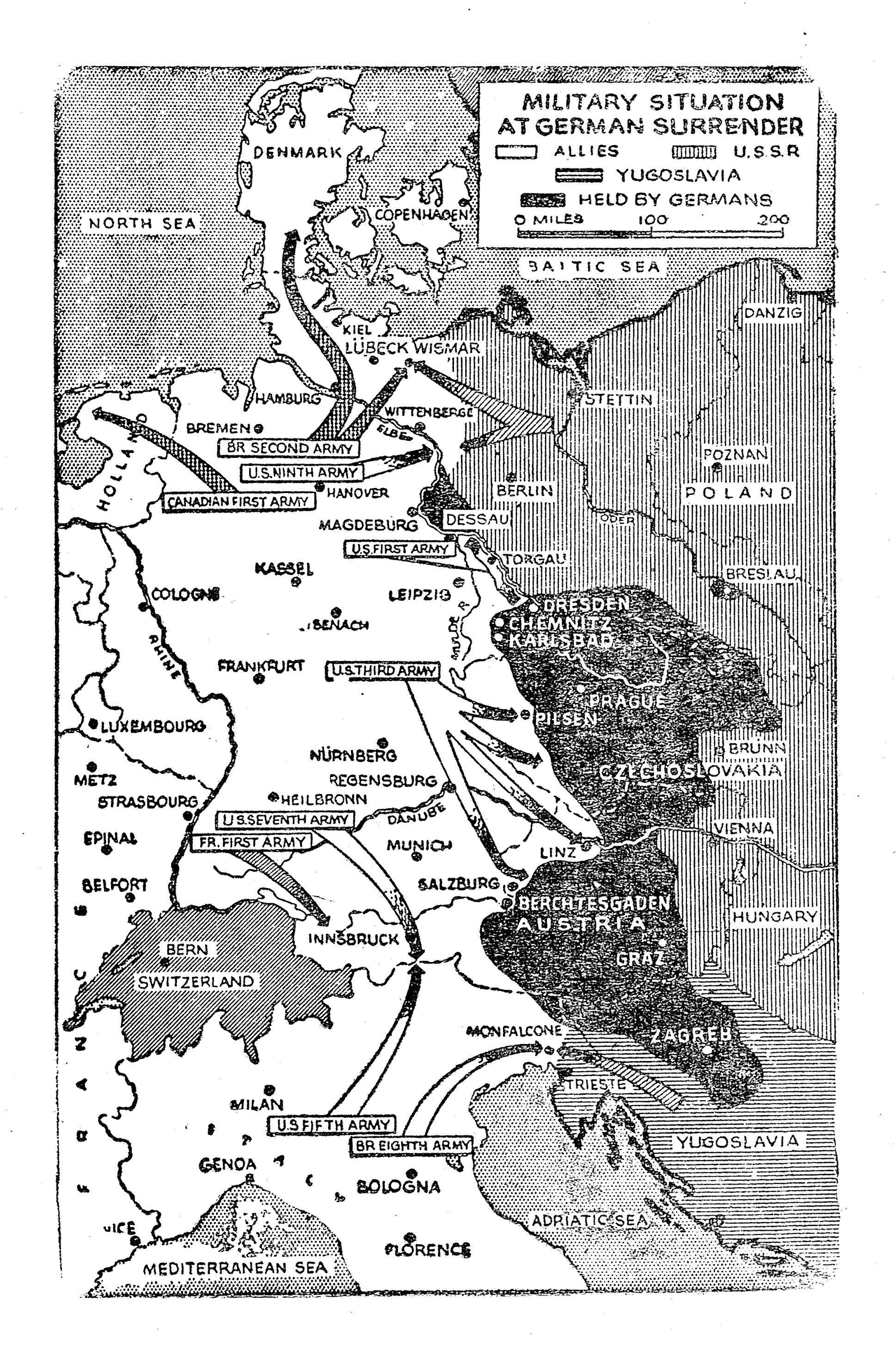
سفينة « الملكة اليزابيت » تدخل ميناء نيويورك

يقع من قبل الالمان في المؤن المرسلة خصيصا للهولنديين ، يعرضهم لمعاملة وخيمة ، ولن اعاملهم كأسرى حرب • ولمـــا طالبنا الجنرال بلاسكوتز بالاستسلام أجاب انكرت بأن الجيش الحادي والعشرين الالماني لا يسعه أن يستسلم قبل أن تستسلم الدولة الالمانية •

جرى احتلال اواسط المانيا وشمالها بسهولة وسرعة ، وبقي القسم الجبلي في الجنوب ، فقام الجيش الاميركي السابع والجيش الفرنسي الاول باحتلال الاراضي الواقعة الى الشمال والشرق من سويسرا ، وقام الجيش الثالث بحركة التفافية نحو الجنوب الشرقي واخترق الاراضي الالمانية حتى دخـل مدينة لنز النمساوية الواقعة على ضفاف الدانوب ، بينما زحف الجيش الخامس الاميركي والجيش البريطاني الثامن من ايطاليا واحتلا الاجزاء الجنوبية من المانيا ، وتقدمت وحدات من الجيش الاميركي الثالث لاحتلال الاجزاء الغربية من تشكوسلوفاكيا • فتذكرت جملة فهمت بها عندما ودعت جنود جبهة المتوسط اذ قلت يومئذ : « بعد سنة ونصف سألتقي بكم ثانية في قلب المانيا • فتمت النبوءة في أواخر نيسان وأوائل ايار عندمـا التقت جيوشنا الزاحفة من فرنسا بجيوشنا الزاحفة من ايطاليا في قلب المانيا •

بالاتفاق مع الروس احتل جيش باتون بلزن كارلسباد ومن هنالك اتجه جنوبا الى لنز وسالزبورغ • وقام الجيش السابع بقيادة الجنرال باتشز بتحركاته الكبرى في ٢٢ نيسان اذ احتل أحد فيالقه مدينة مونيخ في ٣٠منه ومن المعلوم أن في مونيخ ولد الحزب النازي • واندفعت فرقة منه واحتلت برشتسغادن مقر هتلر الجبلي في ٤ أيار ، وهكذا انهارت الجبهة الالمانية •

بلغنا جميع أهدافنا الكبرى في أواخر نيسان في كل الجبهات واحتللنـا جميع المدن والمراكز الالمانية الحساسة • فتضاعفت بذلك التبعات الملقـاة علينا من الناحية الادارية والنقلية وصيانة الاجهزة والتموين • ولو اتكلنـا على النقليات البرية فقط لفشلت رؤوس حرابنا عن بلـوغ أهدافهـا • لكن جهاز النقل الجوي قام بالمستحيل في سبيل ايصال المؤن والمعدات الى أهدافها لان أكثر من ١٥٠٠ طائرة نقل كانت تعمل النهار بطوله طيلة شهر نيسان




الوضعية العسكرية عند استسلام المانيا

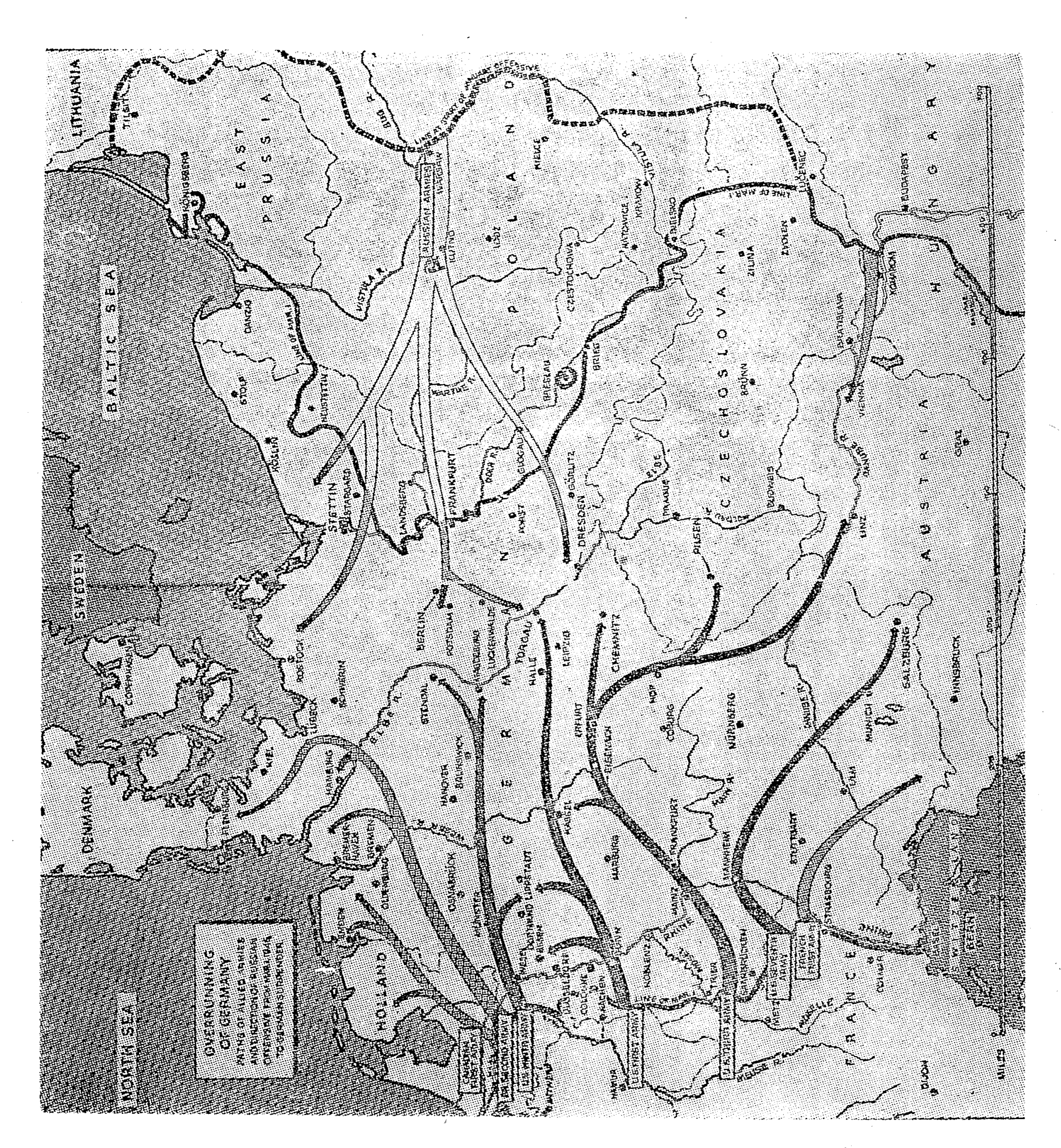
لتنجز مهماتها ، هذا بالاضافة لما جردناه من قاذفاتنا الكبرى لنفس الغرض٠ وقد استطاعت طائراتنا نقل ما ينوف على الستين ألف طن من المؤن والزيوت لطلائع قواتنـــا ٠

انتشرت قواتنا في أكثر أنحاء المانيا الكبرى حتى لم يبق مجال لقاذفاتنا أن تقصف هدفا ما دون الخوف من أن تصيب اما جنودنا أو جنود الروس على أن سلاحنا الجوي قام فقط بغارتين كبيرتـين في أواخر أيـام الحرب : الاولى قام بها سلاح الجو البريطاني على جزيرة هليغولند وذلك مؤازرة منه للجنرال مونتغمري عندما كان يحاول اجتياز قنال كيال ، والثانية قام بهـا الطيران الاميركي حينما وجـه قصفا شديـدا الى برتشسغادن معقل هتلر ومتعصبي النازية ، خوفا من أن يتخذه المتطرفون حصنا ٠ وبعد ذلك أرسلنا فرقة من جيشنا لاحتلاله ٠

كانت الطائرات كلما رجعت من الجبهة تحمل معها أسرى من الحلفاء وقعوا سابقا في أيدي الالمان ، فجعلنا نقيم المعسكرات الملائمة لهم قبل ترحيلهم الى الوطن ٠ وقد بلغ عدد الاسرى في معسكر واحد أقمنـــاه قرب مدينـــة الهافر ٤٧٠٠٠ أميركي ٠ وقد أقام البريطانيون في غربي فرنسا وبلجيكا معسكرات مماثلة لاسراهم ٠ ولاشك أن استرجاع عدد كبير من الاسرى في وقت قصير سبب لنا مشكلة في الجهاز الطبي والنقلي لانه كثيرا ما حدث أن بعض الاسرى كانوا في حالة انحلال جسماني يفتقرون الى معالجة دقيقة وسهر طويـــل ٠ فأرسلنا الضعفاء منهم الى المستشفيات حيث أقاموا مـــدة قبـــل أن نسمح بارجاعهم الى وطنهم ، وقد انقذنا عددا من الاسرى الاميركيين الذين وقعوا في تونس سنة ١٩٤٢ ، بينما انقذ البريطانيون عددا من اسراهم الذين اخذوا في دانكرك سنة ١٩٤٠ ٠

ظهر أن نهاية الحرب قد قربت ، وان النزاع لن يطول أكثر من بضعة أيام وجعلنا نتساءل ، هل تأتي النهاية بالتقاء جيوشنا بجيوش الروس في كل مكان من المانيا واواسط اوروبا ، أم أن أحدا من الالمان المسؤولين سيقوم بمفاوضتنا لوضع حد لهذه المجزرة البشرية الرهيبة ؟

أخذ بعض المتنفذين من الالمان يجسون النبض في العواصم المحايدة ليعرفوا عما نضعه من شروط اذا ما ألقوا السلاح ، ولكن لم يكن لهتلر صوت في تلك المحاولات ، بل على العكس من ذلك ، اذ أن كل من قال بالاستسلام كـــان




احتلال المانيا

يهمس همسا في الزوايا البعيدة خوفا من أن يدري به النازيون ، فيسكبون جام غضبهم عليه . واول من جس النبض من قبل الحكومة الالمانية قصد السفارة البريطانية في ستوكهلم . وعرض اعلان الهدنة في الغرب حتى يتمكن الالمان من التفرغ لمقاتلة الروس . فرفضت حكومتانا العرض بشدة .

جاء عرض آخر من رجل يدعى وولف ، اذ قصد سويسرا وعرض على الجنرال الكسندر تسليم الالمان في الجبهة الايطالية . فأثارت هذه الحادثة الشكوك بين بعض دول الحلفاء وخصوصا عند الروس الذين ظنوا بأننا نحاول الاتفاق مع الالمان من وراء ظهورهم . فأخذت المسألة جهدا كبيرا ووقتا طويلا حتى اقنعناهم بحسن نوايانا نحوهم .

على ان اول عرض صريح وصل مركز قيادتي مباشرة جاء عن طريق هملر الذي اتصل بالكونت برنادوت في السويد ، على ان يتصل هذا بدوره بالمستر تشرشل . فاستلمت انا في السادس والعشرين من شهر آب رسالة من رئيس الوزراء يشرح فيها اقتراح هملر بالقاء السلاح في الجبهة الغربية . فرأيت فيه محاولة من قبل الالمان لشق جبهة الحلفاء . واطلعت المستر تشرشل على رأيي هذا ، وطلبت بالحاح أن لايقبل باستسلام الالمان في الجبهتين الشرقية والغربية معا خوفا من قيام سوء تفاهم مع الروس الذين يتهموننا بسوء النية . من الممكن لقائد الماني ما ان يلقي السلاح في الجبهة التي يشاء ، ولكن الحكومة الالمانية يجب أن تستسلم الى جميع الفرقاء دون قيد أو شرط . فوافق رئيس الوزراء على وجهة نظري هذه ، كما وافق على ذلك رئيس الولايات المتحدة الذي شرح القضية بكاملها للمارشال ستالين .

لم يقنط الالمان حتى آخر دقيقة من المحاولات للتفريق بيننا وبين الروس ، وجعل التسليم على دفعات في الجبهة الغربية قبل الشرقية . وكلما اخفقت المحاولات زادت القادة الالمان في الجبهات قلقا على مصيرهم ومصير جنودهم ، فراحوا يأمرون بالقاء السلاح الواحد بعد الآخر . ووقع اول استسلام كامل في ايطاليا في ٢٩ نيسان . وتوقفت العمليات الحربية هناك تماما في ٢ ايار . ثم استسلم قائد القوات الالمانية المعسكرة في جنوبي المانيا في ٥ أيار .

رأى القائد الالماني في الجبهة الشمالية أن المقاومة باتت لا تجدي نفعا ٠ ولذلك جاء رسول من قبله الى ستوكهولم في ٣٠ نيسان ليقول أن الجيش الالماني المعسكر في الدانمارك مستعد لان يلقي السلاح ٠ وبينما كانت مفاوضات القواد الالمان تجري مع الحلفاء من أجل وضع حد لسفك الدماء، دون قيد أو شرط ، اذ بالاشاعات تنتشر بأن هتلر قد انتحر ٠

لما رأى هتلر ان ابواب النجاة قداقفلت فيوجهه ارتكب جريمةالانتحار٠ فوقعت مسؤولية انقاذ البناء المتصدع على كاهل الاميرال دونتس الذي أمر كل جيوشه بأن تستسلم الى الحلفاء الغربيين فبدأت الالوفوعشرات الالوف من الجنود الالمان تدخل خطوطنا وتلقي سلاحها ٠ وفي ٣ ايار قصد الاميرال فرايدبرغ وزيرالبحرية الالمانية الجديد ـ قصد مقر الجنرال مونتغمري يصحبه احد مساعدي المرشال بوش قائد الجبهة الشمالية ، وقال ان مقصده تسليم الجيوش الثلاثة التي تقاتل الروس فرفض مونتغمري ذلك ، فأخبرته انا ان يقبل استسلام أي جيش شريطة انلايكون ذلك صادرا عن الحكومة الرسمية الالمانية ٠ وبناء على ذلك قبل مونتغمري في اليوم التالي استسلام القوات الالمانية في الدانمارك وهولندة وشمالي المانيا ٠

في اليوم الخامس من شهر ايار وصل ممثل من قبل دونتس الى مركز قيادتي يعلن بأن الاميرال مستعد أنيأمر جميع الغواصات الالمانية بأنترجع الى قواعدها وتستسلم ٠ فأرسلت واخبرت الروس بهذا العرض وطلبت ان يرسلوا من يمثلهم الى مركز قيادتي لكي يشترك في المفاوضة التي قد تنشأ بيننا وبين الحكومة الالمانية الجديدة ٠ فأرسلت القيادة العامة الروسية الجنرال ايفان سوزلباروف فأعلنت عندئذ أن لا سبيل للمفاوضة معي الا بالاستسلام العام في جميع الجبهات دون قيد او شرط ٠

ارسل المارشال كسلرنغ قائد الجبهة الالمانية العام في الغرب يسألني اذا كنت اسمح له بأن يرسل نائبا مفوضاً عنه ليباحثني في شروط الاستسلام ٠ فأجبته انني لن ادخل في أية مفاوضة لا تشمل استسلام القوات الالمانية جميعها ٠ وفي ٥ أيار جاءني الاميرال فرويدبرغ وقال انه يرغب في أن يوضح عددا من النقاط ٠ فأنبت مساعدي الجنرال سميث لمباحثته ٠ وافهامه ان لا مجال لأية مباحثات لان قصدنا الوحيد هو

الاستسلام دون قيد او شرط • فاحتج فرويدبرغ على ذلك قائلا انـــه لا صلاحية له ليوقع على وثيقة الاستسلام العام • وعندما سمح له سميث ان يتصل بدونتس ، اخبره هذا بأن الجنرال بودل في طريقه الى مقر قيادتي •

اتضح لنا ان الالمان يماطلون ويتلاعبون بالالفاظ حتى يتمكنوا من ربح الوقت لارسال جميع ما تبقى من قواتهم الحربية الى ما وراء خطوطنا خوفا من ايقاع الروس بهم • ولذلك عندما وصـــل الجنرال بودل أوعزت الى الجنرال سميث بأن يحذره بأننا من الآن فصاعدا سنقفل خطوطنا في وجه كل جندي الماني يحاول الدخول ، حتى يوقع وثيقة الاستسلام • فاتصل هو وفريدبرغ لاسلكيا بالاميرال دونتس يستأذنانه بالتوقيع على الاستسلام العام • ولما أدرك هذا أن لا فائدة من المماطلة أوعز الى بودل بان يوقع على وثيقة الاستسلام في السابع من شهر أيار ، على ان تنتهي كل العمليات العسكرية في منتصف ليل ٨ أيار •

بعد ما تمت جميع المعاملات الضرورية ، وانتهى الجنرال بودل والجنرال سميث والجنرال الذي يمثل الجانب الفرنسي ، والجنرال الذي يمثـــل الجانب الروسي من التوقيع على وثيقة استسلام الالمان ، طلبت من الجنرال بودل ان يقابلني في مكتبي ، وسألته بواسطة ترجمان قدير عما اذا كـــان قد فهم معنى كل كلمة جاءت في شروط الاستسلام • فأجاب نعم • عنـــد ذلك قلت له : « انك ستكون مسؤولا رسميا وشخصيا فيما لو عمد أحد المسؤولين الالمان الى الاخلال بهذه الاتفاقية ، أو بأي بند من بنودها » • فحيا بالطريقة العسكرية وانصرف •

# الفصل التاسع عشر

# درس في العمليات الحربية

مع أن جل مجهودنا في صيف سنة ١٩٤٥ كان منصرفا نحو نقل الجنود من مسرح حربي الى آخر ، وايجاد أعمال لعدد كبير من الرجال ، واتمام الواجبات الكثيرة المتنوعة المتعلقة بمهمتنا ، فقد وجدنا أنفسنا مضطرين الى أن ننغمس في ما خلفته الحرب من دروس وتقديرات وعبر . ولا يخفى أن الجوهر في هذه الناحية ضخم وكبير . ذلك لان الحملات التي قمنا بها في المتوسط وفي اوروبا لم يكن لها مثيل في تاريخ الحروب منذ نشأت دولة الولايات المتحدة سنة ١٧٧٥ .

لقد عبأت الولايات المتحدة قوة منظمة للقيام بالحملة الافريقية والحملة الاوروبية ، مؤلفة من سبع واربعين فرقة مشاة ، بما يلزمها من سلاح المدفعية وست عشرة فرقة مدرعة ، واربع فرق جوية ، وفرقة جبلية ، بالاضافة الى وحدات بحرية ترافق القوات البرية في نزولها من السفن وركوبها . ووحدات هندسية وأخرى لمقاومة الغارات الجوية ، وتدمير الدبابات . هذا ناهيك عما أنشأناه من قوة جوية مدهشة ، أخذت تعمل في المسرحين بقوة وبأس ضد الالمان ، فاكتسحت الاجواء واجبرت الطيران الالماني على الاختفاء .

اضطرتنا الحرب الى انشاء جهاز مواصلات عبر القارات لم يكن له مثيل في التاريخ ، وانشاء جهاز حكومي عسكري يدير شؤون الشعوب المقيمة في مناطق احتلالنا ، من رجال يحسنون التفاوض والتفاهم مع الغير . وكل من

اشترك في الحرب العالمية الثانية وتسلم مسؤولية كبرى يدرك المهام المتشعبة التي تفرضها الحرب على القيادة العامة في كل ناحية من النواحي الحربية والسياسية والاجتماعية وغيرها وغيرها •

من الناحية العسكرية كان مبدأنا أبان حملتينا في افريقيا واوروبا تجنب تجميد الجبهة ، والابتعاد عما يشبه حرب الخنادق ، والالتجاء الى سرعة الحركات والمفاجآت • واستعنا في ذلك بسلاح مدفعيتنا ودباباتنا وطائراتنا فتمكنا من التغلب على العقبات الطبيعية والحصون الاصطناعية التي ظن أنها أمنع من أن تقهر • وكم من جبل وواد وحصن كان يظنه العدو أمنع من جو العقاب ، اجتزناه بمدة قصيرة ان كان في افريقيا أو ايطاليا او فرنسا اوالمانيا نفسها • فقد كان الراين يشكل عقبة طبيعية في سبيل كل غاز مدة ثلاثة قرون ، فاجتزناه بسهولة وقعت كالصاعقة على هام الخصم • وفي غربي أوروبا استطاعت قوات الحلفاء مرتين ان تشق طريقها في وسط تحصينات أعدت بطرق علمية فنية بكل مهارة • اولاها شق طريقنا في التحصينات التي أقامها الالمان على الشواطيء ، وثانيتها انتصارنا على خط سيغفريد الذي أعده الالمان في مكان ذي منعة طبيعية ، وجهزوه بأقوى ما ابتدعت مخيلة مهندسيهم • فبأقل من عشرة أشهر اجتزنا العقبتين واحتللنا كل فرنسا وبلجيكا ، وتغلغلنا في المانيا نفسها وفرضنا عليها القاء السلاح والتسليم دون قيد أو شرط •

من السهل أن يقول المرء بأن التحصينات الثابتة ذهبت أيامها عندما ظهرت الاسلحة الحديثة ، ويورد أمثلة من التاريخ كالانتصار على أسوار الصين واسوار روما وخط ماجينو وغيرها من أجهزة الدفاع • ولكن يجب أن يعلن بوضوح انه اذا تساوت الاعتبارات لدى جيشين متحاربين ، يبقى النصر لمن أقام حصونا أمنع •

لما انتصرنا على الحصون الغربية التجأنا الى عنصر المفاجأة او بنزولنا في الشواطىء التي كان يستبعد العدو اختيارنا لها ، وثانيا بتركيز قوات ضخمة في جبهة ضيقة جعلت تتوسع تدريجيا • ولما تكاملت الاعداد والمعدات ساعدتنا الطائرات والمصفحات على فتح ثغرات في خطوط العدو والانطلاق بعد أن قصفت طائراتنا خطوط مواصلات العدو ودمرتها وجعلت وصول المدد اليه عسيرا • بينما كانت السفن والطائرات تواصل حمل المدد الينا •

أما خط سيغفريد فكان أمنع واضخم لما حواه من وسائل دفاعية وحقول ألغام ، ومصائد وخنادق وعقبات طبيعية واصطناعية ، وبطاريات مدفعية مختلفة المدى ، واعشاش رشاشات ، وملاجيء للجنود يجري تموينها بطرق خاصة تذهب عدة أميال في الغمق لما يتخللها من أنهار ووديان ووهاد عرف الغدو كيف يستغل تحصينها على أكمل وجه ، مما جعل اجتيازها من أصعب ما يتصوره العقل ٠

لا شيء سهل في الحرب ، والاخطاء يدفع ثمنها دما ، والجنود يشعرون بسرعة بما يرتكب قادتهم من أخطاء ٠ فأصبح على القيادة أن تدرس كل شيء بدقة وامعان لتوفر ارواح جنودها وتقلل ما أمكن من انتقاداتهم لها ٠

ان الانتصار الذي أحرزناه في المتوسط وفي اوروبا جاء مكذبا لكل ادعاء سابق ولا حق بأن المعسكر الديمقراطي يسير في طريق الانحطاط لخوفه من الحرب ، ولعدم مقدرته على السير مع ركب ما تتطلبه الحرب الحديثة من سرعة في الاحكام وسرعة التنفيذ ٠ واول درس تعلمناه في هذه الحرب هو امكانية اقامة معاهدات بين أمم مختلفة في سبيل خوض معركة طويلة ضد عدو قاس متجبر ٠ لان وجود عدو مشترك خطر جعل دول الحلفاء أن يخصصوا أقوى مؤسساتهم وجهاز اقتصادهم ، وميول ساستهم وانبغ علمائهم في سبيل القضية الاولى والاهم ، وهي سحق العدو والتخلص من خطره ٠ فزالت بذلك الاختلافات الصغيرة والغايات الشخصية ، وتلاشت روح الاتكالية والانهزامية وعمل الجميع كفريق واحد في سبيل غاية واحدة ٠ وان ما جرى من تعاون مخلص بين الفرقاء المعنيين سيبقى مضرب الامثال ٠

مع أن وحدة الحلفاء والطرق التي اتبعت لاقامة تلك الوحدة تشكل أكبر درس للشعوب ، قيمة التعاون ، فاننا نحن الجنود اتخذنا دروسا عسكرية بحتة في طبيعتها ٠ واذا اتسع المجال لدرس عناصر كل موقعة قبل أن تغطيها مملكة النسيان ، ووازنا بين ما ارتكب فيها من أخطاء واحرز فيها من أمجاد

وتفحصنا العوامل التي نتج عنها الانكسار والانتصار استطاعت الاجيال القادمة أن تستفيد منها وتوفر على نفسها كثيرا من الاخطاء • فلذلك عينا لجنة خاصة من كبار الضباط ممن اشتركوا فيعمليات حربية وادارية تسجل ما أمكن من حقائق عن كل معركة خضناها ، على أن تؤخذ قضية التموين والصيانة والادارة بعين الاعتبار •

كان أهم درس تعلمناه من الحرب العالمية الثانية هو أهمية الطائرة وذلك في قصف جبهة العدو وتدمير مواصلاته ومصانعه ووقوده ، واستكشاف تحركاته والاطلاع على ما يجري وراء خطوطه ، وصد طائراته عن مدننا ومنشآتنا ، وحماية جنودنا ، بالاضافة الى ما تستطيع الطائرات نقله بسرعة من جنود ومعدات ومؤن ومنشورات وغيرها وغيرها من انواع النشاط ، فاصبح الاعتقاد عميقا بأن كسب معركة حديثة يستحيل على من ليس لديه طائرات ، لانها تمون ما عزل من وحدات ، وما تقدم من طلائع • والطائرات على ثلاثة أنواع : قاذفة ، وناقلة جنود ، ومقاتلة • لا تتمم الاولى وظيفة الثانية فحسب ، بل انها جميعا تشكل وحدة يجب أن تندمج في نشاطها مع نشاط القوات البرية والبحرية لتصبح الوحدات الثلاث قوة واحدة تعمل لغرض واحد •

لقد استطاع العلماء والمخترعون تغيير وجه الحروب بعدة عوامل ، منها الدبابات التي اقتحمت الشاطيء الفرنسي عائمة كالبط على وجه البحر ، والصواريخ ، والآلات الحربية التي استنبطت لأول مرة في الحرب الاخيرة ، ولعبت دورا كبيرا في تقرير مصيرها ، هذا ناهيك عن القنبلة الذرية التي فجرناها في آخر الحرب فمن الدروس التي تعلمناها ، هو الاستعانة بالعلماء والمفكرين لما لهم من تأثير على مصير الحروب •

اكتشفنا أيضا أن مدى الشبان الاميركيين من ميزات المبادرة والتعقل ، وتحمل المشاق والمقدرة على تكييف النفس ، والشجاعة وروح التعاون ، وتحمل المسؤوليات ما يجعلهم من أنسب رجال الدنيا للجندية اذا ما تسنى لهم التدريب الكافي •

علمنا الاختبار أن أثر المعارك طويلة الامد يكون على الغالب سيئا على الجنود من الناحيتين الجسدية والنفسية · ومثلا على ذلك اذا أخذنا وحدة ما وجعلناها تخوض معركة ، ثم سحبناها قبل أن تنتهك قواها ، ويتملك منها التعب ، وتفقد عددا كبيرا من أفرادها فانها تستطيع أن تخوض معركة ثانية بعد مدة وجيزة · لكن اذا أبقيناها في الجبهة تعاني المشقات والخسائر أمدا طويلا ، فانها ينال منها الاجهاد وتضعف معنوياتها حتى يصعب استخدامها معركة ثانية الا بعد مرور وقت طويل · وقد ظهر لنا في مستهل الحملة الافريقية ان القوة المعنوية ، والثقة بالنفس ، لا تقل في أهميتها عن الاسلحة في المعارك · فالجندي اذا ما تحلى بالشجاعة ورباطة الجأش والثقة بالنفس لا يتعرض للاصابة بما يسمى « شلل المعارك » ، وهي حالة نفسية تصيب الجندي عندما تكثر الانفجارات حوله من كل ناحية ، فتشل يده او رجله او تعمي بصره دون أن يصاب الجسد بأي ضرر حقيقي · فعلى القائد أن يواجه مثل تلك الاحتمالات بالصبر وحسن التوجيه والتشجيع ، لا بالخشونة والقسوة اللتين تولدان أثرا معكوسا ، وكم من مرة كنت اذا فهت بكلمة تشجيع تصيب منهم وترا حساسا · اسمع المصابين بهذه الحالة النفسية يقولون : « أيها الجنرال نرجوك ارجعنا الى صفوفنا ، لنتمكن من القيام بما يحتم علينا الواجب » ·

من القضايا التي يجب أن تعيرها القيادة العامة الاهتمام اللازم هي افهام الجنود الغاية التي أعلنت الحرب من أجلها ، والمبادىء التي يجب أن ندافع عنها لا تعمل على صيانة الامة وحماية الحريات ، وانقاذ المجتمع من سيطرة عدو قاس ظالم · وبكلمة يجب أن يفهم القائد الجندي عما لدى امته وشعبه من ميزات وخصائص تؤول الى اسعاده واسعاد اقربائه ومواطنيه · فمن أجل حماية ما يعمل على اسعاده واسعاد مواطنيه يجب أن يشترك في الدفاع ضد الطامع المغتصب · ومن أهم الامور ابداء الاهتمام بكل جندي ودرس وضعيته والعمل على انعاش معنوياته وازالة ما قد يقوم في سبيله من مخالطات قد تؤدي الى اضعافه وانحطاط معنوياته ·

ان جميع ما أنشأنا من آلات ومعدات ، وما ادخلناه من تحسينات في وسائل الهجوم والدفاع يكاد لا يسوى شيئا اذا ما قوبل بمفعول القنبلة الذرية ··

نعم اننا لم نستعملها ولم يفكر أحد باستعمالها في المسرح الاوروبي • ولم نشاهد انفجارها وقوة تدميرها • لكن التقارير التي وصلتنا بعد تفجير القنبلة الذرية في هيروشيما في ٦ آب لم تترك شكا في اننا دخلنا عتبة عصر جديد من مصادر القوة التدميرية • وظهر أن كثيرا من العلوم العسكرية التي تعلمناها قد انهار في لحظة وحلت مكانه آراء ومبادىء جديدة ، منها أن على الامة التي تفكر بالاعتداء على غيرها أن تعمل على اعداد عدد لا يستهان به من تلك القنابل ، وتقذفها بصورة مفاجئة على مصانع ومدن ومراكز تجمعات الخصم ويجب على الفريق المهاجم بأن يتفهم المقدار اللازم من المتفجرات لاصابة الهدف وتدميره عن آخره • بينما على الدفاع أن يحاول منع الهجوم ، ثم ان يقوم هو بدوره بقذف ما يملك من قنابل ذرية على منشآت ومراكز سكان العدو الذي يهاجمه • ان ما شاهدت من دمار في المانيا لا يحسب شيئا اذا قيس بالدمار الذي تستطيع الحروب المقبلة احداثه •

اني آمل من صميم القلب ان هذا الدرس الذي تعلمناه من قنبلة هيروشيما بالاضافة الى ما عشنا فيه من تقتيل وكوارث وتدمير مدة ست سنين أن نقنع كل ذي مسؤولية وعقل سليم اينما كان بأن استعمال القوة لحسم النزاع بين الدول والامم يجب أن يحرم ويطرد من كل بال ويخرج من كل ضمير • واني وانا أتخيل ما شاهدته من فظائع في مدة الحرب ، وما اتصوره عما أصاب سكان هيروشيما على أثر انفجار القنبلة ، لا أستطيع الا أن أتوجه بنداء الى الدول والشعوب ان تعمل على منع الحروب وتحريمها اذا كانت تريد ان تحافظ على بقائها وما أنشأته من مؤسسات لاسعادها ورفاهيتها • وليس بعيدا أن الخوف ، الخوف من الفناء والزوال سينجح في وضع حد للحروب أكثر مما تنجح محاولات ارباب السياسة والدبلوماسية حتى والدين نفسه •

# فهرس الكتاب

ترجمة كتاب

Crusade in Europe

by

Dwight Eisenhower